

منهج أولي العزم من الرسل في الدعوة إلى الله

مقدمة من

محمد طالب خالد الشيخ حسن

المشرف

الدكتور سعيد سليمان القيق

عميد كليتي الدعوة والقرآن - جامعة القدس

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير

في الدراسات الإسلامية المعاصرة

جامعة القدس

العاشر من آذار 2007م

برنامج الدراسات الإسلامية المعاصرة

كلية الآداب

عمادة الدراسات العليا

جامعة القدس

منهج أولي العزم من الرسل في الدعوة إلى الله

اسم الطالب: محمد طالب خالد الشيخ حسن

الرقم الجامعي: 20311936

المشرف: د. سعيد سليمان القيق

نوقشت هذه الرسالة بتاريخ 2007/7/7 وأجيزت وكانت لجنة المناقشة

المدرجة أسماؤهم وتواقيعهم

- | | |
|---------|---|
| التوقيع | 1- د. سعيد سليمان القيق، رئيس لجنة المناقشة |
| التوقيع | 2- د. موسى إسماعيل البسيط |
| التوقيع | 3- د. حسن عبد الرحمن السلوادي |

جامعة القدس

2007 - 2008م

الإهداء

إلى والدي الإمام الشيخ طالب رحمه الله، وجعل الجنة دار الخلود مأواه، الذي كان من أمانيه أن يراني متعلماً العلوم الشرعية، تلك العلوم التي حملها والده وجده الذي تخرج من جامعة الأزهر عام 1870م وإلى والدي أمد الله في عمرها وأحسن خاتمتها . . . ، اللهم لا تحرمني من دعائها .

إلى زوجتي أم حمزة والتي أشهد أنها الزوجة الوفية حيث أنها سهرت معي الليالي الطوال، فساعدتني في إنجاز هذه الرسالة فتحملت الكثير لأجلي، فلولا تحفيظها لي، لإكمال هذه الرسالة لما مرأت النور .

إلى أبنائي وبناتي، حمزة وعمر وعلي وعثمان وأبو الوليد ودعاء وهاجر وأسماء الذين ملؤوا قلبي حباً، فأشكرك يا الله على هذه النعمة والتي أسأل الله أن لا تحجبني هذه النعمة عن شكرك، فأسأله سبحانه أن يجعلهم من جند الإسلام، دعاء مخلصين إلى الله .

وإلى أخواني الذين قدموا لي الدعم المعنوي والمادي، سفيان وطلبيع وخالد ومهدي ونزار، ومروان، وشقيقتي مريخة ورسومية وطلبيعة وعابدة وختام والتي هي مسك الحتام .

إليهم جميعاً أهدي هذا الجهد المتواضع مراجياً القبول من الله عز وجل وأن يجعل ذلك في ميزان حسناتي
اللهم آمين .

إقرار

أقرُّ أنا مقدم هذه الرسالة لجامعة القدس لنيل درجة الماجستير، وأنها نتيجة أبحاثي الخاصة، إلا ما تم الإشارة إليه وأن هذه الرسالة لم يتقدم أحد وكتب فيها لنيل درجة عليا لأية جامعة أو معهد.

محمد طالب خالد الشيخ حسن.

التوقيع:

التاريخ:

الشكر والتقدير

... اتقدم بالشكر والتقدير بأسمى المعاني الى استاذي الفاضل الدكتور سعيد سليمان القيق الذي تكرم بالإشراف على هذه الرسالة، حيث كان لتوجيهاته دورٌ مهمٌ في إنجازها حتى رأيت النور، فقد زودني بالعديد من الملاحظات القيمة النافعة، حتى أتممت هذه الرسالة.

كما لا يسعني إلا أن أتقدم بوافر الشكر لكل من قدم لي العون لإنجاز هذا العمل الجليل، وإلى الأستاذين الفاضلين الدكتور موسى إسماعيل البسيط والدكتور حسن عبد الرحمن السلوادي، على بتفضلهما بقبول مناقشة هذه الرسالة، وكذلك الأستاذ الفاضل والباحث نبيل علقم الذي زودني بالمراجع ذات الصلة. والله أسأل أن يجزي الجميع خير الجزاء، والحمد لله رب العالمين.

كما لا أنسى بالشكر مدير مكتبة كلية الدعوة والقرآن / الأستاذ الأخ محمود عبدالله عودة الله الذي وفر لي ما احتاج اليه من مراجع.

ملخص الرسالة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسولنا الأمين، سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين وبعد.

فإني أحمدُ الله تبارك وتعالى الذي وفقني لإتمام هذه الرسالة حيث قمت بتقسيمها إلى أربعة أبواب:

الباب الأول: وقد اشتمل أربعة فصول

الباب الثاني: فصلين

الباب الثالث: أربعة فصول

الباب الرابع: فصلين

أما الباب الأول فقد قمت فيه بتعريف الدعوة لغة واصطلاحاً. وتعريف الداعي، وعُدّة الداعي وزاده الذي ينطلق فيه للدعوة إلى الله، وحكم الدعوة إلى الله، كذلك بينت في هذا الباب الأسس التي تقوم عليها الدعوة إلى الله، بالعقيدة والإخلاص والبصيرة، والقوة والأمانة، والأساليب الدعوية من الحكمة والموعظة الحسنة والجدال والتي هي أحسن، وإقامة الحجة والإعذار إلى الله وبينت أن الدعوة إلى الله سبيل النجاة بما تتميز بها من مصدرها الإلهي والغاية منها.

أما الباب الثاني: فقد قمت بالتعريف بأولي العزم من الرسل، من هم أولو العزم من الرسل، ولماذا سمّوا بهذا الاسم؟

وكذلك الباب الثالث: تحدثت عن ملامح المنهج الدعوي لأولي العزم من الرسل من نوح عليه السلام مروراً بإبراهيم وموسى وعيسى محمد عليهم السلام.

أما الباب الأخير: تناولت فيه سمات الدعوة المطلوبة في هذا العصر والمشكلات التي تعترض الداعية إلى الله وكيفية إعداد الدعاة إلى الله.

أما الخاتمة فقد تناولت فيها أهم النتائج التي توصلت بها في هذا البحث والتوصيات التي أوصيت بناء على ما توصلت إليه. سائلاً المولى عز وجل ان يكون جهدي هذا لله العلي القدير والله الهادي إلى سواء السبيل.

Abstract

In the name of God the Compassionate, the merciful, praise be to allah, lord of the word and peace be upon his prophet Mohammad and upon his companions:

Thanks allah God of the universe, we talk in this research about the famous prophets and messengers of allah. If we want to save our selves from fire we have to obey these prophets. So I praise allah, who quided me to finish this research.

I have divided my thesis into four units, every unit has several semesters. The most important unit is "how these prophets invite people to allah?"

Prophet – Nuh

Prophet – Ibrahim

Prophet – Musa

Prophet – Isa

Prophet – Mohammad " peace be upon there ".

First of all:

Prophet Nuh,

Allah sent him to his people who had become bad, they didn't worship allah, and they were unkind and cruel.

They refused to listen to him, then 950 years of struggle, inviting them during the day and night... prophet Nuh prayed to allah to destroy these people, who were spreading evil on the earth.

Prophet Ibrahim:

The people of that time had forgotten the worship of the one God, ad prophet Nuh, they worshipped the sun, the moon, the stars.

Allah chose Ibrahim, then he has done his to our Gods? Who attached them?

Prophet Ibrahim had a few followers, who also believed allah, but the people and the priests hated him, and his message peace be upon prophet Ibrahim and all the other prothets.

Prothet Musa:

The people in this time, they were worshipping many Gods. Then they began to hate Musa before his laboure, many many babies were Killed, when they were born.

In this time Musa was born, when Musa is become young, allah sent him and his brother Hroun, to invite Pharaon, to remind him with allah, and to worship allah.

Musa was a great prophet, an ordinary man, who struggle from the time he grew up until his death.

He had affirm faith which gave him courage, and endurance as a leader of men.

Prophet Isa:

The son of mary, that she was very good woman, she after prayed to allah, prophet Isa grew up and began preaching to his people, allah gave him a gift of speaking in a beautiful way, he taught the people when he was child, but they should obey allah, love one another.

Allah gave him a gift, like healing the sick, he become famous, then many people follow him, but others they planned to kill him, some of the people who followed prophet Isa claimed that allah was the father of Isa, Others... Isa was also a God. But Muslims respect Isa, and allah has no sons or daughters.

Prophets Mohammad:

Prophet Mohammad was born about 570 years after the birth of Isa he was an orphan his father was died before he was born, his mother when he was only sixty years old, he learned the work of trading, he is honesty and have good character, he was given the nick name of Al Amin " Trust worthy " when he was 40 years old, he was in a cave on mount " Hira " where he often went to sit and think. Then the angel Jibril suddenly appeared before him, and held him in his arms, and commanded him " Iqra " Mohammed replied: I can't read! And sqeased him again and commanded him to read. In the 3rd time " Iqra B Ism Rabikaallathi..... Kulam....., Jibril told him I am the angel. Mohammad was chosen messenger of allah.

Then he made the new stat of islam in madina. The Moslems at madina welcomed the Muslims who arrived from makka.

He build a mosque and a house beside it. Then he continue struggle, and he destroyed all the Idols in " Kaaba " and Said the God is one and we are his surrenders, and from his recommendation as follows.

- 1- Remain conscious of allah.
- 2- Speak justly whether angry or pleased.
- 3- Show moderation both when poor and when rich.
- 4- Re-unite friend ship with those who have proken it of with me.
- 5- Give to him who refuses me.
- 6- Forgive him who has wronged me.
- 7- You should commanded what is wright.

Finally, I have talked about the conclusion which contained the recommendations and these results on my research hoping I have done well, have given its right in completion and efforts I am grateful to allah.

المقدمة

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، الحمد لله ثم الحمد لله وما توفيقى وتقتي واعتصامي إلا بالله عليه توكلت واليه أنيب، وأشهد أن لا إله إلا الله خلق الدنيا والآخرة، والجنة والنار، وبعث الأنبياء والرسل مبشرين ومنذرين - وأصلي وأسلم على من لا نبي بعده محمد - ٢ - وعلى من اتبع هداه واهتدى بهديه أفضل الصلاة إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن هذا البحث "منهج أولي العزم من الرسل في الدعوة إلى الله"، يأتي في هذه المرحلة الصعبة التي تعاني منها البشرية جمعاء، حتى صارت في حيرة من أمرها، فكان لزاماً على كل موحد بالله سبحانه وتعالى أن يحمل هذه الرسالة الحقّة، وينشر تعاليمها السمحة، ولهذا رأى الباحث أن يكتب في هذا الموضوع، الذي يعدُّ نقطة الارتكاز لصلاح البشرية، وبخاصة أن بعض ما جاء فيه من مقتضيات العقيدة الإسلامية، فوق اختياره على ما بذله أنبياء الله من جهود في مجال الدعوة وهم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم السلام، والذين هم النموذج الذي يجب أن يحتذى بهم، ويقتدى به الدعاة إلى الله، حيث أن مخالفتهم يترتب عليها الخسران المبين في الدنيا والآخرة، وان الذي يمعن النظر في هذا البحث ويتدبره يعرف يقيناً أن المهمة الحقيقية التي خلقنا الله من أجلها، هي الدعوة إلى الله على منهاج رسله، وبذلك نحقق الفلاح في الدنيا والآخرة. قال تعالى: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنَجِّ الْمُؤْمِنِينَ﴾⁽¹⁾.

دوافع الكتابة في هذا البحث:

أولاً: إظهار الصورة الصحيحة لمنهج الأنبياء في الدعوة إلى الله حتى تسعد البشرية جمعاء.

ثانياً: تبيان منهاج الأنبياء في نسق واحد حتى يسهل على الدعاة إلى الله معرفة هذه المناهج والإقتداء بها.

ثالثاً: إظهار زيف من يدعون أنهم يسرون على منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله.

رابعاً: التأكيد على أهمية الدعوة إلى الله وضرورتها للمجتمعات البشرية.

خامساً: كثير من الدعاة إلى الله يعتبرون أنفسهم على حق في دعوتهم وغيرهم على باطل، وأنهم يسرون على منهج الرسل.

سادساً: التأسّي بمنهج الأنبياء والرسل في الدعوة إلى الله بعيداً عن الغلو والتفريط.

(1) سورة يونس آية رقم 103.

الدراسات السابقة لهذا الموضوع:

في حدود معرفتي واطلاعي على الكثير من الكتب المتعلقة بمجالات الدعوة إلى الله لم أجد كتاباً أفرد بهذا البحث من جميع جوانبه في كتاب واحد، لذلك اجتهدت بالكتابة في هذا الموضوع.

منهجية البحث:

أولاً: اعتمد الباحث في منهجه التحليلي في البحث على القرآن الكريم فكانت الآيات الكريمة ذات الصلة بالموضوع هي المنهل العذب والمصدر الأساس الذي استنبط منه منهجه.
ثانياً: اعتمد الباحث الالتزام بالحقائق القرآنية والأحاديث النبوية الصحيحة، وقام بتخريجها من مظانها.
ثالثاً: اعتمد الباحث على مناهج علمية في البحث، منها المنهج الاستقرائي الوصفي والتحليلي واستنقاءً من المعطيات.

مشكلة البحث:

الوقوف على منهج أولى العزم من الرسل في الدعوة إلى الله وتعرّف أساليبهم وطريقتهم المثلى في دعوة الناس، حيث تنوعت أساليب العاملين في حقل الدعوة، فمنهم من جانب الصواب، وخرج عن منهج الرسل الكرام، فوقع في الغلو والتشدد، أو التفريط والتساهل، إلى الحد الذي تجاوز فيه مقاصد الشارع الكريم في هداية الناس، مما أوقع الناس في حيرة من أمرهم، وأدخلهم في حالة من الاضطراب والتهيء، فكان لزاماً على كل غيور على دين الله ان يتصدى لهذه الظاهرة الخطيرة، ويعمل على تصويبها وإعادتها إلى مسارها الصحيح الذي رسم معالمه الرسل الكرام، ونعني بالدرجة الأولى أولي العزم منهم.

مصادر البحث ومراجعته:

اعتمد الباحث على المصدر الأول الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ألا وهو القرآن الكريم، ثم رجع إلى مختلف كتب التفسير والعديد من كتب السيرة والعقيدة، والكثير من كتب العلماء والمجتهدين في هذا المجال، التي قام الباحث بتبويبها في قائمة المصادر والمراجع.

الصعوبات التي واجهت الباحث:

أولاً: قلة المراجع المتوفرة بين يدي ذات الصلة بالموضوع.
ثانياً: صعوبة التنقل بين المدن في ظل الظروف المحيطة بنا.

الفوائد المرجوة من البحث:

أولاً: يرجو الباحث تحقيق الأهداف والغايات التي من أجلها قام باختيار هذا البحث وهي تصحيح المسار لهؤلاء الذين انحرفوا عن عقيدتهم ليعودوا إلى الحق، ويتجنبوا الانزلاق وراء المغالين والمفرطين فيكونوا منصفين ومقسطين.

ثانياً: يرجو الباحث أن يكون هذا البحث نوراً يستضيء به كل من وقع بين يديه لإحقاق الحق وإبطال الباطل.

ثالثاً: استفادة الدعاة إلى الله في العصر الحديث من وسائل التقدم العلمي والتكنولوجي واستخدام هذه الوسائل لتعريف الناس بأصول دينهم ومنهجهم القويم.

تقسيم البحث:

لقد قام الباحث بتقسيم بحثه إلى مقدمة وأربعة أبواب وخاتمة كما يأتي:
تناول الباحث في المقدمة دوافع الكتابة في هذا البحث، والدراسات السابقة فيه و المنهج الذي اتبعه، ومشكلة البحث، ومصادر البحث ومراجعته، والصعوبات التي واجهته، والفوائد المرجوة من البحث، وكانت الأبواب والفصول والمباحث مُقسمةً كما يأتي:

الباب الأول: المقصود بالدعوة إلى الله ويشتمل على أربعة فصول:

الفصل الأول: تعريف الدعوة إلى الله ويشتمل على أربعة مباحث:

- المبحث الأول: (أ) تعريف الدعوة لغة. (ب) تعريف الدعوة اصطلاحاً.
- المبحث الثاني: تعريف الداعي إلى الله.
- المبحث الثالث: عدة الداعي إلى الله.
- المبحث الرابع: حكم الدعوة إلى الله.

الفصل الثاني: الأسس التي تقوم عليها الدعوة إلى الله وتتضمن أربعة مباحث:

- المبحث الأول: الدعوة إلى الله بالعقيدة والتوحيد.
- المبحث الثاني: الدعوة إلى الله بالبصيرة.
- المبحث الثالث: الدعوة إلى الله بالإخلاص.
- المبحث الرابع: الدعوة إلى الله بالقوة والأمانة.

الفصل الثالث: أساليب الدعوة إلى الله ويشتمل على أربعة مباحث:

أولاً: الدعوة إلى الله بالحكمة.

ثانياً: الدعوة إلى الله بالموعظة الحسنة.

ثالثاً: الدعوة إلى الله، بالمجادلة بالتي هي أحسن.

رابعاً: الدعوة إلى الله بإقامة الحجّة والإعذار إلى الله.

الفصل الرابع: الدعوة إلى الله سبيل النجاة. ويتضمن مبحثين:

المبحث الأول: ما تتميز به الدعوة إلى الله.

المبحث الثاني: غاية الدعوة إلى الله.

الباب الثاني: تعريف بأولي العزم من الرسل ويتضمن فصلين:

الفصل الأول: من هم أولو العزم من الرسل.

الفصل الثاني: لماذا سمّوا بهذا الاسم.

الباب الثالث: ملامح المنهج الدعوي لأولي العزم من الرسل ويتضمن خمسة فصول:

الفصل الأول: منهج نوح عليه السلام في الدعوة إلى الله.

الفصل الثاني: منهج إبراهيم عليه السلام في الدعوة إلى الله.

الفصل الثالث: منهج موسى عليه السلام في الدعوة إلى الله.

الفصل الرابع: منهج عيسى عليه السلام في الدعوة إلى الله.

الفصل الخامس: منهج محمد عليه السلام في الدعوة إلى الله.

الباب الرابع: سمات الدعوة إلى الله المطلوبة في هذا العصر وتتضمن فصلين:

الفصل الأول: التحديات التي تعترض الدعوة والدعاة في هذا العصر.

الفصل الثاني: كيفية إعداد الدعاة إلى الله.

وأما الخاتمة: فقد تتأوّلت أهم النتائج التي توصل إليها الباحث وتلخيص ما جاء في البحث، والتوصيات التي أوصى بها الباحث بناءً على ما توصل إليه.

محمد طالب خالد الشيخ

الباب الأول

المقصود بالدعوة إلى الله ويتضمن أربعة فصول

الفصل الأول: تعريف بالدعوة إلى الله ويشتمل على أربعة مباحث

المبحث الأول: (أ) تعريف بالدعوة لغة (ب) تعريف بالدعوة اصطلاحاً

المبحث الثاني: تعريف الداعي إلى الله

المبحث الثالث: عدة الداعي إلى الله

المبحث الرابع: حكم الدعوة إلى الله

المبحث الأول تعريف الدعوة لغة واصطلاحاً

تعريف الدعوة لغة:

الدعوة: الصيحة، النداء.

المدعاة: المحاجة.

إِدعى: زعم.

دعوتَه زيداً: سميته زيداً.

دعاهُ : ساقه.

داعي الله: المؤذن.

تداعواً عليه: تجمعوا.

تداعى العدو: أُقبل⁽¹⁾.

تَدعون: تطلبون... ولكم فيها ما تَدعون⁽²⁾.

الادّعاء: توجيه الطلب ضد الخصم أمام القضاة.

الدّعاءُ: الكثير الدعاء⁽³⁾.

دعاه دعاءً: ناداه.

دعوة: دعاه ليأكل عنده.

تداعي القوم: دعا بعضهم بعضاً.

استدعاه: صاح به.

ادعى إلى غير أبيه: انتسب.

تداعت الحيطان: تهدمت وتصدعت من غير أن تسقط.

دواعي الدهر: صروفه.

دواعي الدهر: همومه.

والفعل المجرد من الدعوة: "د ع و" على وزن فَعَلَ وفي اللغة العربية إذا سبق حرف العلة الواو حرف مفتوح قلب الواو ألفاً فتصبح دعا⁽⁴⁾ وهذا الإعلال بالقلب.

(1) أبادي الفيروز، مجدي الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، دار البيان للتراث، بيروت، ط2، 1987م.

(2) الأصفهاني، أبي القاسم الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، ص 17.

(3) مذکور، إبراهيم، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، ط3، باب دعو، جمهورية مصر العربية، د.ت.

(4) أبو فارس، محمد عبد القادر، أسس الدعوة إلى الله، دار الفرقان، ط 1، عمان، الأردن، 1992م، ص21.

والداعي: جمعها دُعاةٌ، كقاضٍ قضاةً، ورامٍ رماةً.

والداعي: هو الذي يحاول دعوة الناس بالقول والعمل إلى الإسلام.

والداعي والداعية: هو الذي يقوم بأمر الدعوة ويحمل أعباءها ليلبغها إلى الناس.

الداعي: في النحو أيضاً اسم فاعل من الفعل دعا يدعو.

الداعية: اسم فاعل مع تاء تلحق بآخره لتدل على المبالغة والتكثير.

دعاة: جمع.

فيكون التعريف على هذا النحو جامعاً كما رأينا حسب موقعه في المناسبات.

تعريف الدعوة اصطلاحاً:

الدعوة إلى الله تعني الدعوة إلى دينه الإسلام. والدعوة قد تعني مثلاً: دعوة أولي العزم من الرسل فتعني رسالة نوح، ورسالة إبراهيم، ورسالة موسى، ورسالة عيسى، ورسالة محمد عليهم السلام. وقال بعض الفقهاء، الدعوة اصطلاحاً تعني: الذين يحتسبون، أي يقومون بمهمة الحسبة، بمعنى احتساب الأجر عند الله في أداء النصيحة، والأمر والنهي⁽¹⁾.

وقال أبو الأعلى المودودي: الدعوة تعني الانقياد، والامتثال لأمر الله ونهيه بلا اعتراض⁽²⁾. وتأتي دعوة الله أدعوه، دعاءً، أي ابتهل إليه بالسؤال، وأرغب فيما عنده من الخير، فهي الابتهاال، والسؤال. ومنها قوله سبحانه وتعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾⁽³⁾. وتأتي أيضاً: دَعْوَةٌ إِلَى النَّارِ، ودَعْوَةٌ إِلَى الْجَنَّةِ، قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ﴾⁽⁴⁾. وتعني الحث على طلب شيء، أو الدعاء إلى شيء، قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ السَّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾⁽⁵⁾. وتأتي الدعوة بمعنى "صرف أنظار الناس وعقولهم إلى فكرة أو عقيدة، وحثهم عليها، وهي بمثابة دعوة لإنقاذ الناس من ضلالة كادوا يقعون فيها، وتخليصهم من مصيبة أهدقت بهم". أو تعني نقل أمة من محيط إلى محيط، تلك هي مهمته وفيها تدرج مناهجه، ومن ظن غير ذلك فقد جهل نفسه ورسالته⁽⁶⁾.

(1) الراشد، محمد أحمد، المنطلق، إحياء فقه الدعوة، مؤسسة الرسالة، ط8، 1987م، ص85.

(2) المودودي، أبو علي، مبادئ الإسلام، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، ط1، 1977م، ص7.

(3) سورة الإسراء، آية رقم 110.

(4) سورة البقرة، آية رقم 221.

(5) سورة يوسف، آية رقم 33.

(6) زكي الدين، محمد، الدعوة إلى الله فقهاً ومنهجاً، دار الصفا للطباعة والنشر، القاهرة، ط1، ص16.

ومن المعاني الاصطلاحية لكلمة الدعوة: " أنها تحكيم منهج الله في الأرض"⁽¹⁾، وبهذا المعنى الاصطلاحي والغوي نستطيع الربط بينهما.

(1) جمعة أمين عبد العزيز، الدعوة قواعد وأصول، دار الدعوة، الإسكندرية، ط 2، ص 39.

المبحث الثاني

تعريف الداعي إلى الله

(أ) **الداعي إلى الله:** هو ذلك الإنسان الذي أحسَّ بالمسؤولية وشعر بالمخاطر التي تهدد دينه وأمته وعالمه... ثم قام بتنمية قدراته وشعر أنها أمانة فأداها على وجهها⁽¹⁾ ويأتي تعريف الداعي إلى الله: " بأنه المكلف شرعاً بالدعوة إلى الله"⁽²⁾ وقد ورد في كتاب الله تبارك وتعالى أن خاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ هو الداعي الأول: قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ، وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ يَأْذَنُ بِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾⁽³⁾.

وجاء هذا التكليف من الله تبارك وتعالى حيث أن الداعية بعمله هذا، ينفي الشرك عن نفسه، قال تعالى: ﴿وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾⁽⁴⁾. وقد ورد في تعريف الدعاة أنهم: " الهداة إلى الله، الدعاة إلى كلمته، القوامون على دينه، الذائدون عن حرماته، الواقفون على مفترق الطريق، يُرشدون الحيارى ويبصرونهم معالم الطريق، هؤلاء الذين يبلغون رسالات الله، والذين اصطفاهم الله لحمل أمانته ودعوة الخلق للحق"⁽⁵⁾.

فالداعي إذن هو الذي يقوم بالتكليف الشرعي والواجب الديني، فهو بحاجة إلى عدة تعينه على أداء هذا التكليف المهم، وأن أقوى عدة يتسلح بها هي الأخلاق الإسلامية.

(ب) **المدعو:** بعد تعريف الداعي لا بد من تعريف المدعو وذلك للأهمية العضوية التي تربط بينهما، فالمدعو: هو الذي يُدعى إلى الإسلام. والداعي الذي يحمل هموم الناس، فيعتبر المدعو الرئة الثانية في الجسم الواحد، خاصة عندما يعرف الداعي قبل أن يدعو، من هو المدعو؟ وما هي قناعاته؟ وما هي أصناف هؤلاء المدعويين؟ هل هذا المدعو من الأشراف والنخبة؟ حيث لهم أسلوبهم الذي يناسبهم في الدعوة.

هل هم من عامة الناس؟ هل هم من المنافقين؟ هل هم من العصاة؟⁽⁶⁾

(1) الصباغ، محمد، من صفات الداعية، المكتب الإسلامي، دمشق، ط 4، ص 9.

(2) زيدان، عبد الكريم، أصول الدعوة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 9، ص 207.

(3) سورة الأحزاب، آية رقم 45-46.

(4) سورة القصص، آية رقم 87.

(5) زكي الدين، محمد ، الدعوة إلى الله فقهاً ومنهجاً، مصدر سبق توثيقه.

(6) زيدان، عبد الكريم، أصول الدعوة مؤسسة الرسالة، مصدر سبق توثيقه.

فالمأ من القوم لهم أسلوبهم، فيعدون أنفسهم عليه القوم والبارزين والأكابر، فنجدهم هم الذين يتصدون للدعوة، ودليل ذلك ما قال قوم نوح عليه السلام لنوح وهو يدعوهم إلى الله. قال تعالى: ﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾⁽¹⁾.

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ، وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ﴾⁽²⁾.

وأما الصنف الثاني من المدعوين فهم جمهور الناس وعامتهم حيث هم الأسرع استجابةً من غيرهم، وعامة الناس هم عامة الناس في كل زمانٍ ومكان، وغالباً، تكون الاستجابة من عامة الناس، وخاصة الضعفاء، فقد كان أتباع الرسول محمد ﷺ في مكة من الضعفاء⁽³⁾ والواقع أن من يتبع الحق هم ضعفاء الناس، قال تعالى: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتَضَعُّوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾⁽⁴⁾.

وكذلك المنافقون: الذين يُظهرون غير ما يبطنون، فالمنافقون هم المنافقون في كل زمان ومكان. فيجب على الداعي أن تكون عنده البصيرة التي تكفيه لمعرفة هؤلاء فيعرف كيف يدعوهم، فقد وصفهم سبحانه وتعالى، بقوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ﴾⁽⁵⁾. فسيماهم يكاد يعرفها المؤمن حيث قال سبحانه: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾⁽⁶⁾ والذي يقرأ كتاب الله يعرف أوصافهم ولا يخدع بهم إلا من ران على قلبه الصدأ.

أما الصنف الرابع من المدعوين فهم العصاة: هؤلاء يُقررون بكلمة التوحيد لكنهم يجحدون بآيات الله، فنجدهم تارة يؤمنون ببعض الكتاب وتارة يكفرون ويرتكبون المعاصي، فمنهم الظالم لنفسه ومنهم المقتصد فهم على شتى الأصناف في إنكارهم وجحودهم. هؤلاء، آثروا الحياة الدنيا على الآخرة، قال فيهم سبحانه وتعالى: ﴿بَلْ تُؤْتِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾⁽⁷⁾. وقال تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ﴾⁽⁸⁾، لأنهم يؤمنوا بمتاع الدنيا الفاني، ولا يرضون بمتاع الآخرة الأبدي.

(1) سورة الأعراف، آية رقم 60.

(2) سورة سبأ، آية رقم 34 - 35.

(3) ابن هشام، أبي محمد عبد الملك بن هشام المغافري، السيرة النبوية، دار الجيل، بيروت، ج 1، 1975م.

(4) سورة الأعراف، آية رقم 75.

(5) سورة البقرة، آية رقم 13.

(6) سورة محمد، آية رقم 30.

(7) سورة الأعلى، آية رقم 16.

(8) سورة القيامة، آية رقم 20.

أما موقف الداعية إلى الله من هؤلاء العصاة: فإنه ينظر إليهم بإشفاق ورحمة، ويكون عند الداعية إلى الله الرغبة في إصلاحهم. أسوة برسول الله محمد ﷺ .
وخلاصة القول في الداعية إلى الله وموقفه من المدعو ما يلي:
قال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعِيَ﴾⁽¹⁾.
"هذه البصيرة تظهر على شكل أنواع من السلوك وألوان من التصرف والتعامل، وطرائق من الاختيار تتقرر بعد معرفة المدعويين وإدراك أحوالهم الاجتماعية والاقتصادية والفكرية والنفسية، ومن المعروف أن التعامل مع المجهول شاق وصعب في حين التعامل مع المعروف يوفر الكثير من الجهد. فيتعرف الداعية على المدعو من خلال المناسبات الأفراح والأفراح، فتفتِّح له ميادين الدعوة إلى الله، فمثلاً يسأل الداعية عن مريض، أو تهنئة بمولود، أو فوز حققه طالب، ذلك كله قد يكون سبباً في تحويل اتجاه، أو تبديل قرار، ولا يعدم الداعية المتبصر من وسائل كثيرة تساعده على كسب القلوب وتكثير الأنصار"⁽²⁾.

(1) سورة يوسف، آية رقم 108.

(2) همام، عبد الرحيم سعيد، قواعد الدعوة إلى الله، دار العدوي، عمان - الأردن، ط 1، 1983م، ص 132-135.

المبحث الثالث

عدة الداعي

إننا نعيش في عصرٍ كثرت فيه التخصصات في كل مجالٍ من مجالات الحياة، هذه التخصصات هي بمثابة الأرضية التي ينطلق منها كل إنسان في مجال عمله، ويترتب على هذا القول مؤهلات، أو ما يمكن تسميته بالعدة التي يتسلح بها الإنسان في مواجهة الحياة. أما عدة الداعي إلى الله فنجدها في مقوماته...

المقوم الأول: العلم

حيث أن خير الأمم في الدنيا والآخرة في العلم، وشر الأمم في الدنيا والآخرة في الجهل، ولكن أي علمٍ هذا؟ انه العلم الشرعي أولاً. فالمتعلم في أي مجال، إذا لم يقتزن علمه بالإخلاص والخشية من الله، فإن علمه هذا لا يكون في سبيل الله. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾⁽¹⁾. والله جل جلاله يسأل في كتابه العزيز سؤالاً استتكارياً في التساوي بين الذي يعلم والذي لا يعلم قال تعالى: ﴿أَمْ مَنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾⁽²⁾. فالداعية أياً كان علمه، يستخدمه في تأييد الدين بحيث يترجم علمه إلى واقع عملي، فيكون العلم أولاً ثم العمل بما علم ثانياً، عندئذ يتولد الإيمان الراسخ⁽³⁾.

المقوم الثاني: اليقين

هكذا نجد الداعية إلى الله بعد أن يتسلح بالعلوم ويؤمن بها، يتولد عنده اليقين بالنصر في نهاية المطاف، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْتَدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾⁽⁴⁾. من المسلم به أن طريق الداعية ليست مفروشة بالورود والرياحين، بل لا بد من المعاناة، فبالرغم من هذه المعاناة، فإن الداعية عنده اليقين التام بوجود النور في نهاية الطريق، النور الذي يهتدي به الناس. وهذا يعدُّ ثمرة من الثمار التي يقطفها الداعي إلى الله. وقد عرّف عبد الكريم زيدان عدة الداعي بأنها... "الفهم الدقيق، الإيمان العميق، الاتصال الوثيق بالله تبارك وتعالى"⁽⁵⁾.

(1) سورة فاطر، آية رقم 28.

(2) سورة الزمر آية رقم 9.

(3) عمر حمزة، أسس الدعوة إلى الله في القرآن الكريم، الدار المصرية اللبنانية. ط 1، 1994م، ص 7.

(4) سورة السجدة، آية رقم 24.

(5) زيدان، عبد الكريم، أصول الدعوة، ص 325. مصدر سبق توثيقه.

المقوم الثالث: الوسائل التي يعتمد عليها الداعية إلى الله

لا شك أن الوسائل الحديثة التي يستعملها الداعية جعلت العالم بأسره بمثابة قرية صغيرة فأصبح الداعية إلى الله بإمكانه ممارسة الدعوة إلى الله وهو في بيته بحيث لم تبق منطقة في الكون بمعزل عن وصول الدعوة إليها ومن هذه الوسائل:

- 1- الآلة الالكترونية بما فيها التكنولوجيا التي دخلت في صميم الحياة.
- 2- الإعلام بكافة فروعها وخاصة الثقافة الالكترونية، فيجب استغلالها، فالداعية إلى الله في أيامنا هذه يستطيع مخاطبة الملايين عبر الانترنت، فيستطيع الداعية اقتحام بيوت الناس بل عُرفهم الخاصة، وكذلك أصبح من الواجب استغلال هذه الثقافة في المدارس والمعاهد والجامعات⁽¹⁾. وفيما يلي بعضاً من العناوين الكثيرة التي أضعها بين يدي القارئ، وتُقدم الصورة الحسنة عن الإسلام والمسلمين.

- 1- موقع الإسلام: www.al-islam.com
- من أفضل المواقع الإسلامية بسبع لغات، العربية، الإنجليزية، الفرنسية، الألمانية، التركية، المالوية، الاندونيسية.
- 2- موقع وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية. www.islam.org
- 3- صفحات القرضاوي على الانترنت: www.qaradawi.net
- 4- شمس الإسلام: ويحتوي هذا الموقع على القرآن الكريم، الحديث النبوي الشريف، التفسير، العقيدة، الطهارة، الصلاة، الزكاة، الصيام، المناسك، الفقه العام، السيرة النبوية، الرقائق، التراجم، أبحاث علمية، موسوعة الفتاوى.
- 5- شبكة الصحوة الإسلامية: www.Islam_sun.com
- 6- الأزهر الشريف: www.sahwa.com
- 7- إرشادات: www.alazhar.org
- 8- فتاة الإسلام: www.irshadat.org
- 9- شبكة الإسلام الدعوية: www.islamgirl.homepage.com
- 10- وحي السماء: www.aldawah.net
- 11- الدليل الإسلامي: www.wahy.org
- 12- البوصلة: www.adleel.com
- www.bowsalah.com

(1) المطيري، منصور بن زيد ، مصطلحات الخطاب الغربي اتجاه الإسلام، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، بحوث المؤتمر التاسع، المملكة العربية السعودية- الرياض، 2002م، ص 186.

.... فالحمد لله الذي وهب البشر اكتشاف هذه الوسائل الحديثة ليستفيدوا منها في سبيل الخير. وبالرغم من هذه الوسائل الحديثة وأهميتها، إلا أن الداعية لا يستغني عن الوسائل التي استعملها خاتم الأنبياء محمد ﷺ. ألا وهي:

أ - الاتصال الشخصي: ويحدث بين فردين أو أكثر.

ب - الاتصال الذاتي: ويكون بالمشاهدة.

ت - الاتصال الجمعي: وهو لقاء خطابي أسبوعي.

ث - الاتصال الموسمي: في الأعياد والحج الأكبر والمناسبات⁽²⁾.

وتعدُّ هذه الوسائل من أهم الطرق للاتصال الجماهيري الذي سبق به محمد ﷺ جهابذة الإعلام في هذا العالم منذ بدء الرسالة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ولا شك أن هذه الوسائل تشدُّ الهمم وتغرس الثقة بين الداعي والمدعوي وتقوي الصلة بينهما، والدليل على ذلك: " أن الرسول ﷺ أنجز في عشرين عاماً من حياته ما عجز عن انجازه كبار المصلحين في يومنا هذا، رغم السلطة التي تساند جهودهم، ووجود تراث وأجيال من الوثنية والجهل والخرافات، واضطهاد الضعفاء وكثرة الحروب بين القبائل ومئات من الشرور الأخرى"⁽³⁾.

المقوم الرابع: اللغة

يجب على الداعية أن يفهم لغة القوم الذين يخاطبهم، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾⁽⁴⁾، معنى اللسان المشترك بين الداعي والمدعو وقال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾⁽⁵⁾، فبالرغم من هذا التهكم، الذي شبّه حال من يريد إطفاء نور الله بفيه كحال من يريد إطفاء ضوء الشمس بفيه⁽⁶⁾.

(1) الهواس، عبد السلام، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، المحور 3، 4، 5، المؤتمر العالمي التاسع، المملكة العربية السعودية 23-26/8/1423هـ وفق 29-10-2002م.

(2) كحيل، عبد الوهاب، الجوانب الإعلامية في حياة الرسول، دار الهداية، جامعة أسيوط، مصر، 1986م ص 285.

(3) حافظ محمود، الإعلام العربي والأعلام الصهيوني، المنظمة العربية للتربية، القاهرة، ط4، 1973م، ص 51.

(4) سورة إبراهيم، آية رقم 4.

(5) سورة الصف، آية رقم 8.

(6) الصابوني، محمد علي، صفوة التفاسير، دار القرآن الكريم، بيروت، مجلد 3، ط 4، 1981م، ص 372.

وفيه دلالة أيضاً على أن اللغة والنطق بها، فيهما من دلائل البرهان والحجة، ما هو أقوى من السيف، لذلك وجب على الداعية أن يهتم باللغة ومعانيها، وليس فقط اللغة العربية، حتى يخاطب الناس باللغة التي يريدونها، فإن لم يتقن اللغة التي تناسب القوم يوكل غيره في الحديث، حيث يُقبل عليه الجلساء، بهذا يستثمر الداعية هم المدعويين بما يفتح قلوبهم⁽¹⁾.

وقد أشار القرآن الكريم إلى دور قوة المنطق قبل الحديث عن منطق القوة، فالداعية إلى الله يأتي بالألفاظ التي يفهمها الناس. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا﴾⁽²⁾، وكان السبب في هذا النهي عن استعمال كلمة "راعنا" أن سفهاء اليهود كانوا يميلون ألسنتهم في نطق هذه الكلمة، عندما كانوا يُوجهونها إلى رسول الله ﷺ. فكانت تؤدي معنى آخر وهو مشتقاً من الرعوننة⁽³⁾، ولهذا أمر رسول الله ﷺ المؤمنين أن يتركوا هذه الكلمة وهي "راعنا" لأنها تعني الباطل وأن اليهود كانوا يقصدون بها رسول الله ﷺ.

لذلك هناك ضوابط للقول واللغة والمصطلحات اللغوية، حيث يجب على الداعي أن يتلطف بالقول، سواءً أكان حديثاً عاماً، أم مجادلةً أم مناقشةً أم خطبةً أم محاضرةً. قال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ﴾⁽⁴⁾ "الدعوة فرض عين على كل مسلم، فكل مسلم مأمور بالدعوة إلى الله بالصورة والطريقة التي تختلف من شخص لآخر حسب الاستطاعة: فهناك من يدعو إلى الله بتأليف كتاب، أو إلقاء محاضرة، أو إلقاء خطبة في مسجد، أو إلقاء درس ديني، أو الكلمة الطيبة، أو بالصحة الجميلة الصالحة والأسوة الحسنة، أو بالإنفاق على الدعاة ونشر إنتاجهم"⁽⁵⁾.

(1) الصباغ، محمد، من صفات الداعية، ص 41. مصدر سبق توثيقه.

(2) سورة البقرة، آية رقم 104.

(3) قطب، سيد، في ظلال القرآن، دار التراث العربي، بيروت لبنان، ج1، ط 7، 1971م، ص 134.

(4) سورة يوسف، رقم 108.

(5) القرضاوي، يوسف، خطابنا الإسلامي في عصر العولمة، دار الشروق، القاهرة، ط 1، ص 29، 2004م.

المبحث الرابع

حكم الدعوة إلى الله

الدعوة إلى الله تكليف دائم بالنسبة لهذه الأمة، أما الدليل فهو من كتاب الله، قال تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (1)، هذا الحكم له شقان الأول في حق المؤمنين. حيث قال تعالى: ﴿وَذَكَرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (2). وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَيَّ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ﴾ (3).

أما التكليف الآخر فهو موجه لغير المؤمنين، قال تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَأْتُمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ لَتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ﴾ (4) هذا التكليف منه ما هو موجه لخاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ، ومنه ما هو شواهد في حق الناس. ومن الشواهد في حق رسولنا محمد ﷺ. قوله تعالى:

﴿وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ﴾ (5).

﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ (6).

﴿وَأَوْحَى إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنَ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾ (7).

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ (8).

﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ (9).

ومن الشواهد في حق الناس: قال تعالى: ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ ، فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ﴾ (10). وقال تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (11).

(1) سورة آل عمران، آية رقم 104.

(2) سورة الذاريات، آية رقم 55.

(3) سورة النساء، آية رقم 136.

(4) سورة الحديد، آية رقم 8.

(5) سورة الحجر، آية رقم 89.

(6) سورة الفرقان، آية رقم 1.

(7) سورة الأنعام، آية رقم 19.

(8) سورة الأحزاب، آية رقم 45.

(9) سورة المائدة، آية رقم 67.

(10) سورة الأعراف، آية رقم 6-7.

(11) سورة الحجر، آية رقم 92.

وقال تعالى: ﴿تَاللَّهِ لَأَسْأَلَنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ﴾ (1). وقال تعالى: ﴿وَقَفَّوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْتَوْلُونَ﴾ (2).

أما حكم الدعوة إلى الله، فنرى أن للعلماء في المسألة رأيين.

الفريق الأول: يرى أن الدعوة إلى الله فرض على الجميع ابتداءً، ولكنه يسقط عنهم إذا قام به بعضهم. وأما الفريق الثاني: فيرى أن الدعوة إلى الله فرض عين على المستطيع، وأن الواجب على كل مسلم أن يدعو حسب مقدرته، وأن المسلم إذا ترك ما يقدر عليه من الدعوة إلى الله، فهذا هو الهلاك، قال تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ (3).

لذلك واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو واجب الداعية إلى الله، وأن فرضه لا يسقط مع القدرة عليه إلا بقيام قائم به (4)، أما سيد قطب رحمه الله فيقول في الضلال: "لا بد من جماعة تدعو إلى الخير وتأمّر بالمعروف وتنهى عن المنكر، ولا بد من سلطة في الأرض تدعو إلى الخير وتأمّر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وأن هذا الأمر ليس بالهين ولا باليسير، ولا بد من جماعة تتلاقى على الإيمان بالله، والأخوة في الله، لتقوم على هذا الأمر العسير الشاق، بقوة الإيمان والتقوى والحب والألفة، لتقوم بهذا الدور الذي ناطه الله بالجماعة المسلمة وكلفها بهذا التكليف" (5).

لقد شاعت حكمة الله تبارك وتعالى أن يجعل لكل نبي ورسول أتباعاً وحواريين، وأشياًعاً يدعون بدعوة أنبيائهم، لأنه لو وقف الأمر في الدعوة إلى الله على الأنبياء والرسل فقط، لانقطعت الدعوة، لذلك فإن هؤلاء الأتباع كانوا يقومون بالوظيفة نفسها.

قال تعالى: ﴿لِنَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةً بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ (6).

وفي قول لعليّ بن أبي طالب رضي الله عنه "ومن يبلغ عن الله بعد رسل السماء إلا البشر" خلاصة القول: أن أعباء هذا التكليف الرباني إلى الأمة الإسلامية التي عبّرت عنها الآية بمصطلحين:

الأول: الدعوة إلى الخير، والآخر: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. قال تعالى: ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (7).

والخير بأجمعه، وليس الخير الجزئي من أجزاء الدين، لذلك نرى أن الأمة مكفلة بالدعوة، فلن تستطيع الأمة الإسلامية أن تؤدي حق الدعوة إلى الله إلا إذا وقفت نفسها لنشر الإسلام وتبليغه للناس أجمعين، عندئذ يعلم الله صدق هذه الأمة فينصرها (1) كما قال سبحانه:

(1) سورة النحل، آية رقم 56.

(2) سورة الصافات، آية رقم 24.

(3) سورة التغاين، آية رقم 16.

(4) الغزالي، أبو حامد، أحياء علوم الدين، دار الفكر للنشر والتوزيع، المجلد، ط 1، 1975م، ص 14.

(5) قطب، سيد، في ضلال القرآن، ج 6، ص 521. مصدر سبق توثيقه.

(6) سورة النساء، آية رقم 165.

(7) سورة آل عمران، آية رقم 104.

﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾⁽²⁾.

وبما أن تكليف الرسول محمد ﷺ هو تكليف لأُمَّته، وذلك يسميه العلماء فرض كفاية إذا قام به بعضهم سقط عن الآخرين، وبما أن الدعوة واجبة لذلك لا يُعذر منها أحد، إلا من كان معذوراً لا يحسن النطق ولا يُحسن التدبير⁽³⁾.

(1) عمر حمزة، أسس الدعوة إلى الله، ص 175. مصدر سبق توثيقه.

(2) سورة الحج، آية رقم 40.

(3) الراشد، محمد أحمد، المنطق، ص 92. مصدر سبق توثيقه.

الفصل الثاني

الأسس التي تقوم عليها الدعوة إلى الله

الأساس الأول: الدعوة إلى الله بالعقيدة والتوحيد

الأساس الثاني: الدعوة إلى الله بالبصيرة

الأساس الثالث: الدعوة إلى الله بالإخلاص

الأساس الرابع: الدعوة إلى الله بالقوة والأمانة

الأساس الأول: الدعوة إلى الله بالعقيدة والتوحيد.

قبل الحديث عن الدعوة إلى الله بالعقيدة، لا بد من تعريف جامع للعقيدة، فالعقيدة: "ما يعقد المرء عليه قلبه ويدين به، فهي من الأمور الإيمانية التي يجب على المسلم أن يعتقد بها في قلبه، فتسهم في بناء المسلم الفكري والثقافي، فتعقد عليها القلوب، وتطمئن إليها النفوس، بيقين قطعي وإخلاص، لأنها عقيدة ربانية، فالإيمان بالله عمادها، والعبودية محورها، من خلال أركانها الستة، الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر حيث فيها الإجابة على تساؤلات الإنسان الحائرة، من أنا؟ ومن أين جئت؟ ولم جئت؟ وإلى أين المصير"⁽¹⁾. فكانت هذه المعطيات منطلقات الأنبياء والرسل في مخاطبتهم لأقوامهم.

أ) المقصود بالدعوة إلى الله بالعقيدة والتوحيد

يقصد بالدعوة إلى الله بالعقيدة والتوحيد، دعوة الناس باسم الله إلى دين الله عز وجل، الذي لا يقبل في الآخرة من أحد عبادة إلا بإقامة دين الله، ودين الله هو الإسلام قال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾⁽²⁾، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾⁽³⁾.

معنى ذلك: إنه من يطلب ديناً أو شريعة غير الإسلام بعد بعثة محمد ﷺ فطلبه باطل ومرفوض فلن يقبله الله منه، وأن مصيره إلى النار مخلداً فيها⁽⁴⁾.

ب) الهدف من الدعوة إلى الله بالعقيدة :

إن أي عمل يعمل الإنسان يجب أن يضع له هدفاً، والهدف هنا هو إعلاء كلمة الله، والتزام أوامره، واجتتاب نواهيه، فنحصل على الإيمان ونفوز بالجنان.

ج) أساس قيامها:

تقوم الدعوة إلى الله بالعقيدة على أساس التوحيد، بمعنى: أن الدعوة ينبغي أن تبدأ أولاً بتوحيد الله عز وجل، لأنه الأساس الذي لا تقبل الأعمال إلا به.

(1) العقيدة الإسلامية، "1" برنامج التعليم المفتوح، القدس، 5123، 1993م.

(2) سورة آل عمران، آية رقم 19.

(3) سورة آل عمران، آية رقم 85.

(4) الصابوني، محمد علي، صفوة التفاسير، مجلد 1، ص 215. مصدر سبق توثيقه.

معنى ذلك أن يفرّدوا الله تبارك وتعالى بجميع أنواع العبادة من دعاء، واستغاثة، واستعانة، وتوكل، وخوف، وإنابة، وذبح، ونذر، وحلف، وتعظيم، مع إفراده تعالى بأسمائه الحسنی وصفاته العلی على ما وصف به نفسه، ووصفه به رسوله محمد ﷺ، من غير تحريفٍ ولا تعطيلٍ ولا تكييفٍ، ولا تمثيلٍ ولا تشبيهه⁽¹⁾.

قال تعالى: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾⁽²⁾. وقال تعالى: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ، فَوَرَبَّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطَفُونَ﴾⁽³⁾، ففي هذه الآيات حقيقتان إيمانيتان يجب أن تستقرّا في قلب المؤمن: الأجل والرزق، فأراد الرسول ﷺ أن يُربي أصحابه على أن الأجل بيد الله، والرزق بيد الله، فلا يملك مخلوق أيّاً كان النفع أو الضر إلا بأمر الله تبارك وتعالى، وهذا فيه خضوع وانقياد لله واستقامة في السيرة والسريرة، والظاهر والباطن، وان العبادة حق خالص لله، جامع لكل ما يحبه الله من الأعمال والأقوال الظاهرة والباطنة.

(د) الدعوة إلى الله بالعقيدة بدأها الأنبياء:

لقد تجلّت البصيرة في دعوة الأنبياء والرسول، وخاصة أولي العزم، وكذلك لم يبعث الله نبياً ولا رسولاً إلا أمره سبحانه وتعالى أن يدعو إلى العقيدة والوحدانية، وعبادة الله ونبذ الطواغيت. قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾⁽⁴⁾. وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾⁽⁵⁾. هذه النصوص تدل على أن وظيفة الأنبياء كلهم دون استثناء هي: "الدعوة إلى الله بالعقيدة والتوحيد". وخاصة أولي العزم من الرسل فقد تجلّت بصيرتهم في الدعوة إلى الله بالعقيدة والتوحيد. ونكتفي بمثال واحد على كل نبي من أولي العزم.

فهذا "توح" عليه السلام يخاطب قومه قائلاً أنه لا يرجو من دعوته لهم أجراً لأن أجره على الله، قال تعالى: ﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾⁽⁶⁾.

(1) الذهبي، محمد حسين، بحث مشكلات الدعوة والداعية في العصر الحديث، المؤتمر العالمي لتوجيه الدعوة والدعاة، المملكة العربية السعودية، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، 24-29/2/1997م

(2) سورة التوبة، آية رقم 51.

(3) سورة الذاريات، آية رقم 22-23.

(4) سورة الأنبياء، آية رقم 25.

(5) سورة النحل، آية رقم 36.

(6) سورة يونس، آية رقم 72.

وكذلك "إبراهيم" عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (1).

و"موسى" عليه السلام، قال تعالى: ﴿إِن كُنتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُمْ مُسْلِمِينَ﴾ (2).
و"عيسى" عليه السلام، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّكَ مُسْلِمُونَ﴾ (3).

ومحمد ﷺ "خاتم الأنبياء" والمرسلين، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ﴾ (4).

هذه النصوص تدل على أن الإسلام هو دين أهل السموات والأرض، ودين أهل التوحيد من أهل الأرض، حيث لا يقبل الله من أحد ديناً سواه، فأديان أهل الأرض ستة: واحد للرحمن وخمسة للشيطان، فدين الرحمن هو: دين الإسلام. والتي للشيطان هي: "اليهودية، والنصرانية - لتحريفهما - والمجوسية، والصابئة، ودين المشركين" (5).

ويقول تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَانِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (6). لذلك: بالعقيدة وكلمة التوحيد، يدخل العبد في الإسلام، فهي أول واجب، وآخر واجب، فمن كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة، فهؤلاء الرسل، وخاصة أولي العزم، يعتبرون أطباء القلوب، وعلاج القلوب أصعب من علاج الأبدان، فمن يريد تزكية نفسه بنفسه بمنأى عن الرسل، فهو كالمريض الذي يعالج نفسه برأيه، وأين يقع رأيه من رأي الطبيب العارف؟ فلا سبيل لتزكية هذه النفس وصلاحها إلا بامتثال أوامر الله عن طريق هؤلاء الأنبياء، لأنهم ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمُ افْتَدَى﴾ (7).

فها هو رسول الله محمد ﷺ يأمره الله بالإقتداء بهؤلاء الأنبياء، ونحن أمة محمد مأمورون بإتباع سنة محمد ﷺ وهدية، لأن في طاعته طاعة لله، حيث هو الأسوة الحسنة لمن كان يرجو الله واليوم

(1) سورة البقرة، آية رقم 132.

(2) سورة يونس، آية رقم 84.

(3) سورة آل عمران، آية رقم 52.

(4) سورة فصلت، آية رقم 6.

(5) العلي، عبد المنعم صالح، تهذيب مدارج السالكين، ص 678.

(6) سورة آل عمران، آية رقم 18.

(7) سورة الأنعام، آية رقم 90.

الآخر وذكر الله كثيراً، فالإيمان بالكتب والرسل واليوم الآخر والرزق والأجل والبعث هو من مقتضيات العقيدة الصادقة⁽¹⁾.

هـ) الدعوة إلى الله بالعقيدة تكون بالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره:

لاشك في أن الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر، يُمثل ثقافة المسلم المؤمن فهي بمثابة رؤيا وفكر وعقيدة وفلسفة للوجود كله، وعلى ضوء هذه الرؤية الإيمانية العفائية تتشكل القيم والضوابط التي يتصرف فيها الإنسان، فالذي يؤمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتب والرسل والقدر في دُنياه يترتب عليه سلوك، نابع من الرؤيا الإيمانية، بأن هناك بعد الموت قيامة وحساباً وثواباً وعقاباً وجنةً وناراً، وأن الموت الذي نشاهده ليس فناء، بل انتقالاً من عالم إلى عالم. هذه الرؤيا جاءت بها رسالات الأنبياء وخاصة أولي العزم من الرسل، فالأنبياء من آدم عليه السلام إلى خاتم الأنبياء محمد ﷺ كلهم أرسلهم الله إلى البشرية ليقولوا: انكروا الله، اذكروا أيام الله، اعبدوا الله وحده. فهذا نبي الله موسى يأتيه الأمر في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ﴾⁽²⁾. أي من ظلمات الجهل والكفر إلى نور الإيمان والتوحيد، أما محمد ﷺ قال له ربه: ﴿الر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾⁽³⁾.

فإذا كان موسى بعثه الله تعالى ليخرج قومه من ظلمات الكفر والجهل، إلى نور الإيمان والتوحيد، فكذلك محمد ﷺ، أرسله الله ليخرج الناس كل الناس من الظلمات إلى النور. وعندما يؤمن المسلم بالأعمال التي يمارسها على أنها واجبٌ ديني تظهر عليه بركات هذه الأعمال في الدنيا والآخرة، وأن هذا المسلم لم يخلق عبثاً، ولن يترك سدى، هذه الثقافة الدينية أو "الواجب الديني" تبني في شخصية المسلم شيئاً اسمه "ثقافة الالتزام"، فيتصرف بناءً على هذه الثقافة، لأنه يعلم أن الله سيسأله ويحاسبه وهذا يندرج في نطاق المسؤولية حيث يعرف المسلم كيف يتصرف في حياته التي هي دار ممرٍ ليصل إلى دار المقر، فيعرف كيف يتصرف في الصحة، والمال، والأمن، والشباب، والقوة، والضعف، والفقر، والغنى، إنها ترجمة للرؤية والعقيدة والأفكار التي بُنيت منها شخصيته. عندئذ، يعرف أن الله سيسأله بعد الموت. فيتصرف في حياته، بناءً على هذه الرؤيا، فعلى هذا الأساس يُبنى رجل العقيدة الذي يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر.

(1) يكن، فتحي، ماذا يعني انتمائي للإسلام، مؤسسة الرسالة، بيروت، ص 18، 1977م.

(2) سورة إبراهيم، آية رقم 5.

(3) سورة إبراهيم، آية رقم 1.

فمثلاً موسى عليه السلام، قال تعالى: ﴿حَقِيقٌ عَلَىٰ أَنْ لَا أَقُولَ عَلَىٰ اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ بَيِّنَةً مِّن رَّبِّكُمْ﴾ (1).

فلا يقولون إلا الحق، لأن جميع رؤاهم كانت قضايا إيمانية ترسخت في القلب، فلم يخالطها ريب، ولم يمازجها شك. وبهذا تتجلى بعثة الأنبياء صلوات الله عليهم في دعوة الخلق إلى الحق (2).
وتعزيزاً لهذا الفهم، قال تعالى: ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ، فَلَنَقْصُنَّ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ﴾ (3).

وأن الكتاب يوضع يوم القيامة، فيتكلم بما كانوا يعملون، قليل أو كثير، جليل أو حقير، والسؤال كذلك للرسول أولاً هل بلغوا الرسالة وأدوا الأمانة؟ (4)
والسؤال الثاني للأمم، قال تعالى: ﴿وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا، أَقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ (5).

بهذا نجد أن العقيدة الإسلامية أعطت تصوراً كاملاً عن علاقة الإنسان مع خالقه ومع نفسه ومع الكون، بهذا يدرك الإنسان قدر خالقه سبحانه، ويعلم أن لا سلطان حقيقياً في الكون غير سلطان الله، فيعرف الإنسان أنه عبد لهذا الإله العظيم الواعد، بهذا يسعد الإنسان في ذاته وفي تنظيم علاقته مع الناس على أساس المساواة والأخوة أمام عبوديتهم لله (6). ويوضح سيد قطب رحمه الله هذه الحقيقة بقوله: "بهذا الفهم فإن العقيدة لن تموت لأنها من روح الله فهي تتبنى كل قضايا التحرير في الأرض، وتشد أزرها في كل مكان، وتدعو معتققيها إلى الاستعلاء، وعدم الخضوع للطواغيت، أياً كانت قوتهم فهي المناخ الذي يبني الشخصية التي تقول للمحسن أحسنت، وللمسيء أسأت" (7).

فلا بد من كلمة عند الانتهاء من الحديث عن الدعوة إلى الله بالعقيدة والتوحيد: فسبحان الله العظيم، الذي خلق الخلق بقدرته، ونورهم بأحكامه، وأعزهم بدينه، النافذ أمره في أرضه وسمائه، المهروب إليه من عذابه، قدر للناس أقداراً، وضرب لهم آجالاً، وكتب لهم أرزاقاً، فالأعمال والأعمال والأرزاق كلها بيد الله، سبحانه لا تبلغه الأفهام، ولا تدركه الأوهام، حي لا يموت، قيوم لا ينام، مميت بلا مخافة، باعث بلا مشقة، رزاق بلا مؤونة، خالق بلا حاجة، قديم بلا ابتداء، آخر بلا انتهاء، لا تغيره الحوادث، ولا يخشى الدوائر، يهدي من يشاء فضلاً، يضل من يشاء عدلاً، لا راد

(1) سورة الأعراف، آية رقم 105.

(2) الغزالي، أبو حامد، إحياء علوم الدين، دار الفكر، ج 1، ص 182.

(3) سورة الأعراف، آية 6-7.

(4) الصابوني، محمد علي، صفوة التفاسير، ج 4، ص 437. مصدر سبق توثيقه.

(5) سورة الإسراء، آية رقم 13-14.

(6) العقيدة الإسلامية (1) برنامج التعليم المفتوح، القدس، ص 12.

(7) قطب، سيد، في التاريخ فكرةً ومنهاجاً، دور الشروق، بيروت، 1974م، ص 8.

لقضائه، ولا معقب لحكمه، ولا غالب لأمره آما بذلك كله، وأيقنا أن كلاً من عنده، لا شيء قبله ولا شيء بعده وكل شيء عليه يسير، وكل شيء إليه فقير، لا تدركه الأبصار وهو اللطيف الخبير⁽¹⁾.

هذه هي الوشيحة التي يجتمع عليها الناس، ويتميز بها هذه الدين العظيم، حيث أن الوشيحة ليست وشيحة الدم والنسب، أو الأرض والوطن، أو القوم والعشيرة أو اللون واللغة، أو الجنس والعنصر، أو الحرفة والطبقة⁽²⁾، فهذه الوشائج قد توجد ثم تنقطع العلاقة بين الفرد والفرد. ولكن الوشيحة هي التي يوجهها القرآن الكريم ، ويحث عليها كما جاء في قوله تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾⁽³⁾.

ومما يقوي العقيدة في قلوب هؤلاء الدعاة إلى الله، إيمانهم بقول الله عز وجل: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾⁽⁴⁾.

(1) الدمشقي، علي بن علي بن محمد بن أبي العز، شرح العقيدة الطحاوية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ج1، ط3، 1991م، ص 84.

(2) أحمد حسن، فقه الدعوة، جمعها من الضلال، مؤسسة الرسالة للنشر والتوزيع ص 40.

(3) سورة المجادلة، آية رقم 22.

(4) سورة الحديد، آية رقم 22.

الأساس الثاني: الدعوة إلى الله بالبصيرة

قبل الحديث عن الدعوة إلى الله بالبصيرة لا بد من تعريف بسيط للبصيرة.

البصيرة: قوة الإدراك والفتنة

البصير: اسم من أسماء الله الحسنى

يقال: فعل ذلك عن بصيرة: فعل ذلك عن عقيدة

البصيرة: جمعها بصائر وهي البينات والحج⁽¹⁾

والبصيرة: نور يقذفه الله في القلب، يُفرق به بين الحق والباطل

أ) البصيرة:

نور يتجلى في حياة المؤمن بقدر تضحيته لدين الله، قال تعالى: ﴿هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾⁽²⁾، تعتبر هذه الآية بمثابة إعلان مبادئ، حيث أن هذا هو مبدئي، وهذه طريقي التي أسير عليها، بل منهجي، وثقافتي، فلسفتي، رؤيتي، التي لا لبس فيها ولا غموض، فمن رضي منكم أن يسير معي فليتابع، ومن أبى فأنا سائرٌ في هذه الطريق، ولا أchied عنها. لذلك لا بد من التمييز بين الكفر والإيمان، والجاهلية والإسلام، إنها آصرة العقيدة المتميزة، التي يجب أن تتميز عن المجتمع الجاهلي⁽³⁾.

حيث أننا نعيش في هذا العصر، - القرن الحادي والعشرون - نعيش في جاهلية جهلاء لا تختلف في مقوماتها وملامحها عن أي جاهلية أخرى واجهتها الدعوة الإسلامية على مدار التاريخ.

ب) بالدعوة إلى الله على بصيرة تتجلى بصيرة الأنبياء:

قال تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾⁽⁴⁾. هنا تظهر وظيفة الأنبياء، حيث أنهم فقط منذرون وأن الرقيب عليهم هو الله، ذلك بأن من أبصر الحق وآمن، فلنفسه أبصر وإياها نفع، وكذلك من لم يتبع سبيل الأنبياء فإنه أعمى وعلى نفسه يعود العمى⁽⁵⁾. بمعنى أن الأنبياء تركوا البشرية على محجة بيضاء نقية لا يزيغ عنها إلا هالك ولا يتكبرها إلا ضال.

(1) مذكور، إبراهيم، المعجم الوسيط، ج 1، ص 61. مصدر سبق توثيقه.

(2) سورة يوسف، آية رقم 108.

(3) قطب، سيد، في ظلال القرآن، ج 4، ص 56، مصدر سبق توثيقه.

(4) سورة الأنعام، آية رقم 104.

(5) الصابوني، محمد علي، صفوة التفاسير، ص 410 مصدر سبق توثيقه.

وهكذا موسى عليه السلام عندما سأله فرعون قال له، قال تعالى: ﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى ، قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ، قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى ، قَالَ عَلَّمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى ، الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى ، كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلأُولَى الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا﴾ (1).
حيث أن موسى عليه السلام طلب من فرعون، أن ينظر ببصيرته إلى الكون، بما فيه من آيات وعبر، وهذا يُعدُّ دعوة للتأمل في ملكوت الله.

ج) الوحي يُسدّد أولي العزم من الرسل فهم معصومون:

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَى إِلَيَّ مِنْ رَبِّي هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهَدَى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (2). أي يا محمد قل لأمتك أن الأمر ليس بيدي، وأنه ليس لي من الأمر شيء أتتكم به، فأنا عبد أمتل ما يوحى إليّ من ربي.

وأن هذا القرآن بمثابة الحجج والبراهين والبصائر للقلوب⁽³⁾، هذه البصائر التي يدعو إليها الأنبياء، وخاصة أولي العزم من الرسل، وأخص خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ، حيث أنها تصلح لقيام الساعة فهي معجزته، التي تمثلت في القرآن الكريم، الذي لا تنتهي عجائبه، ولا يملئه العلماء، ولا يخلق على كثرة الردّ.

فنرى أن أولي العزم من الرسل يتمتعون بعلامات وهدى وأنوار تضيء القلوب فنقول: هذا ذو بصائر، بمعنى أن الآيات والسور كثيرة، فعبر عنها سبحانه وتعالى بأنها بصائر بالجمع. فيكون القرآن بصائر، وطريق الأنبياء بصائر ولكن لمن...؟! للمؤمنين حيث قال سبحانه لقوم يؤمنون، أما من لا يؤمن فهو عليه عمى وعقوبة من الله تعالى⁽⁴⁾.

هؤلاء المؤمنون من أمة محمد ﷺ - يتفرسون في كشف طريق الأنبياء، الطريق المسدّد بالوحي، وهذا أشرف أنواع البصيرة.

قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ (5). والمتوسّمون هم المتفرسون الذين ينظرون بنور الله.

(1) سورة طه، آية رقم 49- 54.

(2) سورة الأعراف ، آية رقم 203.

(3) الصابوني، محمد علي، صفوة التفاسير، مجلد 1، ص 448. مصدر سبق توثيقه.

(4) الأندلسي، ابن عطية أبي محمد عبد الحق غالب بن عقبة، المحرر الوجيز، دار الفكر العربي، مجلد 6، ص 195، مصدر سبق توثيقه.

(5) سورة الحجر، آية رقم 75.

الأساس الثالث: الدعوة إلى الله بالإخلاص.

فالدعوة إلى الله يجب أن تتبع من قلب خُصَّصَ من كل شوائب الشرك والبدع، ومشاغل الحياة الدنيا، التي تفسد عليه إخلاصه لله جل وعلا، لأن القلب الذي لا يَسْلَمُ من تلك الشوائب والمشاغل، لا تصدر منه إلا دعوة مشبوهة غير خالصة، إذ أن كل إناء بما فيه ينضح⁽¹⁾.
فالإخلاص: "هو فعل الطاعة وترك المعصية ابتغاء وجه الله جل وعلا"⁽²⁾. ويقول القرضاوي موضعاً ذلك "الإخلاص: أن يكون المسلم عبداً لله، لا عبداً لذاته، حيثُ وجد أخلص في عمله، وحيثُ وجّه توجّهه بإخلاص، في الأمام أو الخلف، قائداً أو جندياً، دون تطلع إلى منصبٍ أو دنيا"⁽³⁾.

(أ) قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ صَلَّاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾⁽⁴⁾.

تعدُّ هذه الآية بمثابة الإعلان من الرسول ﷺ، مما يُلزم المؤمنين التأسّي به، حتى يلتزموا في جميع أعمالهم، إرضاء وجه الله عز وجل، إنها حالة من الإخلاص، منذ الولادة وحتى الممات، إنما هي لله عز وجل⁽⁵⁾.

فالذي يقرأ هذه الآية على لسان خاتم الأنبياء من الرسل، يعي ويعرف أن محمداً ﷺ، تأسّي بإخوانه من أولي العزم من الرسل، بل أخذ من ميراثهم، وسبقهم في وظيفته الملقاة على عاتقه، وهي أن يحيا ويموت، وتكون سكناته وحركاته لله رب العالمين.

(ب) الإخلاص في السنن القرآنية يُفضي إلى: " فريق في الجنة وفريق في السعير".

إن الرؤية الإسلامية للكون والحياة، مرتبطة "بالإخلاص" وحكم الله عليهم يوم الحساب والجزاء، يترتب على الإخلاص، لأنه أصل من أصول العقيدة الإسلامية، فهو أساس ناموس الكون، والشريعة للبشر. فمن هذه السنن، قال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَصْلَهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾⁽⁶⁾.

(1) ندا، سعد، موقف الدعوة الإسلامية من الطرق الصوفية، المؤتمر العالمي لتوجيه الدعوة والدعاة 1397/2/29-24هـ. المملكة العربية السعودية.

(2) سابق، سيد، دعوة الإسلام، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، ط 1، ص 178، 1973م.

(3) القرضاوي، يوسف، الصحوة الإسلامية، ص 196.

(4) سورة الأنعام، آية رقم 162 - 163.

(5) الأندلسي، ابن عطية أبي محمد عبد الحق غالب بن عقبة، المحرر الوجيز، ص 416، مصدر سبق توثيقه.

(6) سورة الجاثية، آية رقم 23.

إنه النموذج للنفس البشرية، حين تترك الإخلاص وهو الأصل الثابت، وتتبع الهوى المتقلب، وحين تعبد هواها، وتقيمه إليها قاهراً لها، فهذا إنسان يستحق من الله أن يُضله، وأن يطمس على قلبه، فلا يدخل إليه النور⁽¹⁾. فالإنسان بإخلاصه في دعوته لله، وفي تصوره ورؤياه، يصل إلى أرفع الدرجات. قال تعالى: ﴿وَسَيَجْزِيهَا الْأَثَقَى ، الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى ، وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى ، إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى﴾⁽²⁾.

وهذه الطريق كتبها سبحانه وتعالى على نفسه، بالرسل، والرسالات، والآيات، حتى لا يكون هناك حجة لأحد، ولا ظلم لأحد، فالذي يُنفق لا ليرائي بإنفاقه ويستعلي على الناس، ينفقه تطوعاً، لا رداً لجميل أحد، ولا طلباً لشكر أحد، وإنما ابتغاء وجه الله، خالصاً به قلبه، هذا الإنسان الذي يريد وجه ربه الأعلى، ماذا ينتظر من الله؟ قال تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾⁽³⁾.

ج) الإخلاص قاعدة دين الله على الإطلاق

قال رسول الله ﷺ: "إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى"⁽⁴⁾، فالأعمال كلها، يرتبط قبولها بالإخلاص لله، وعبادة الله وحده، وإخلاص الدين له، والميل عن الشرك وأهله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، عقيدة خالصة لله في النفس، فهو دين الله على الإطلاق، دين واحد، وعقيدة واحدة، ولا غموض فيها ولا تعقيد، ولا تدعو إلى تفرق ولا إلى اختلاف، فهي بهذه النصاعة، والبساطة، والتيسير، تُبين طريق الذين يكفرون، وطريق الذين يؤمنون، فإمّا إيمان ونجاة، وأمّا كفرٌ وهلاك، فالذي يُخلص العبادة لله، ويُخلص العمل لله، يخلص من شوائب الشرك في كل صورة من صورته، وأن الله تبارك وتعالى أغنى الشركاء عن الشرك، فإمّا عملٌ خالص لوجه الله، وإلا لم يقبله⁽⁵⁾. قال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾⁽⁶⁾.

إنها الدعوة إلى الإخلاص، الدعوة إلى الله وحده، الدعوة إلى عقيدة خالصة، فهو دين واحد. وقال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ، الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾⁽⁷⁾، قل يا خاتم أولي العزم من الرسل، هل نخبركم بأخسر الناس عند الله؟

(1) قطب، سيد، في ظلال القرآن، ص 390، مصدر سبق توثيقه.

(2) سورة الليل، آية رقم 17-20.

(3) سورة الليل، آية رقم 21.

(4) البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، باب بدء الوحي، دار الفكر، بيروت، مجلد1، 1994م، ص3.

(5) قطب، سيد، في ظلال القرآن، مجلد 8، ص 638، مصدر سبق توثيقه.

(6) سورة البينة، آية رقم 5.

(7) سورة الكهف، آية رقم 103 - 104.

بمعنى من بطل عملهم وضاع في هذه الحياة الدنيا، وهم يحسبون لقلّة عقلهم أن أفعالهم حسنة، أولئك هم الذين يكفرون بالقرآن والبعث والنشور، فجميع أعمالهم باطلة؛ لأنه لا ينفع مع الكفر طاعة⁽¹⁾.

(د) قصة قصيرة تدل على إخلاص أولي العزم من الرسل

فهذا نبي الله نوح... يتبرأ من ابنه، وهذا نبي الله إبراهيم... يتبرأ من والده ويقطع علاقته بعدما دعاه إلى الإيمان وتبين له أن والده عدو لله، وأنه لا ينوي الإيمان.

لذلك نرى أن المؤمن يعلن براءته من عدو الله رغم كونه ابنه أو والده، ذلك بأن العلاقة الوحيدة التي ينبغي أن تقوم عليها الروابط بين الناس، هي رابطة العقيدة والإيمان والإخلاص، لا رابطة الميلاد أو الدم⁽²⁾. قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَّهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾⁽³⁾.

خلاصة القول في الدعوة إلى الله بالإخلاص: إن الدعوات لا تنتصر بطلاب تسلط عليهم الأضواء، وعباد الشهرة والظهور، بل بالأبرار الأتقياء الاخفياء، الذين إذا حضروا لم يُعرفوا، وإذا غابوا لم يفتقدوا، قلوبهم مصابيح الهدى، يخرجون من كل غبراء مظلمة، ذلك هو السلاح الروحي الذي يواجه به رسل الله طغاة أقوامهم، ولم يُخفهم طغيانهم، ولم يُزلزهم أذاهم⁽⁴⁾.

(1) الصابوني، محمد علي، صفوة التفاسير، مجلد2، ص 208، مصدر سبق توثيقه

(2) بهجت، أحمد، أنبياء الله، دار الشروق، القاهرة، ط 25، 1999م، ص 93.

(3) سورة التوبة، آية رقم 114.

(4) القرضاوي، يوسف، أولويات الحركة الإسلامية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 12، 1991م، ص 83.

الأساس الرابع: الدعوة إلى الله بالقوة والأمانة

... ينبغي على الداعية إلى الله أن يكون قوياً أميناً، وأن يضع في اعتباره أنه قد يتعرض بمجرد إعلان دعوته، للمؤامرات والتشريد والاضطهاد والسجن والمطاردة والحصار والاعتقال. هذا هو ثمن السير في طريق الدعوة، وهذا ثمن الحرية، فإذا كان أهل الباطل يدفعون هذا الثمن، فكيف يتردد أهل الحق في أدائه؟ وبخاصة أن الداعية إلى الله يعلم أن الآجال بيد الله، والأرزاق بيد الله، والأمن بيد الله، والقوة بيد الله، وأن الداعية يستعذب الألم في سبيل الله⁽¹⁾.

(أ) الأنبياء أقوياء

قال تعالى: ﴿وَكَايْنٍ مِنْ نَبِيِّ قَاتِلٍ مَعَهُ رَبِّيُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾⁽²⁾. فالأنبياء قاتلوا لإعلاء كلمة الله بقوة وأمانة، دون أن يعتريهم الجبن والضعف، لا يهمهم ما أصابهم من الجراح والقتل، فلم يذلوا ولم يخضعوا لعدوهم، بل صبروا على مقاساة الشدائد والأهوال. فقد اختارهم الله وعصمهم من الشرك والضلالة، وبرأهم من الزين والأهواء، وطهرهم من الفسوق والعصيان، واختارهم من أفضل الناس أخلاقاً وأكثرهم حلماً وحكمة، وأعظمهم أمانة، وأقواهم حجة، وأوفرهم ذكاء⁽³⁾.

قال تعالى: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾⁽⁴⁾. فمن أراد القوة والأمانة عليه الالتزام والانتساب لهؤلاء الأنبياء الذين اختارهم الله تبارك وتعالى.

قال تعالى: ﴿فَبِهْدَاهُمْ أَقْتَدَهُ﴾⁽⁵⁾.

وقال تعالى: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾⁽⁶⁾.

والخطاب موجه إلى النبي الخامس من أولي العزم من الرسل، المعنى أمض يا محمد في الطريق التي رسمها الله لك، واجهر بما أمرك الله، ويسمى هذا الجهر - صدعاً - أي شقاً - دلالة على القوة والنفاز⁽⁷⁾.

(1) بهجت، أحمد، أنبياء الله، دار الشروق، القاهرة، ط 25، ص 438، 1999م.

(2) سورة آل عمران، آية رقم 146.

(3) زين العابدين، محمد سرور بن نايف، منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله، دار الأرقم، برمنجهان، ص 21، ط 3، 1988م.

(4) سورة الأنعام، آية رقم 124.

(5) سورة الأنعام آية رقم 90.

(6) سورة الحجر، آية رقم 94.

(7) قطب، سيد، في ظلال القرآن، ص 221، مصدر سبق توثيقه.

فعلى الداعية إلى الله أن يكون ذا قلب قوي، يقتفي أثر هؤلاء الأنبياء فلا يخشى في الله لومة لائم، ويُعرض الحق ساطعاً في قوة وأمانة من نبعيه الصافيين: الكتاب والسنة، فلا يغش، ولا يجامل لهواه ولا ينافق، ولا يدهن خوفاً من سخط المعارضين له، وتألّب الكارهين.⁽¹⁾ قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ﴾⁽²⁾ هؤلاء لا يحسبون للخلق حساباً، حيث أرسلهم الله للتبليغ والعمل والتنفيذ.

ب) الأنبياء أمناء على الدعوة.

قال تبارك وتعالى في موسى عليه السلام: قال تعالى: ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنْ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾⁽³⁾. فالقوة والأمانة هي صفات شمولية يجبها كل الناس. فإذا اجتمعت في رجل فلا شك تهفو إليه النفوس، تلك هي قوة العمل مع الأمانة على الأموال والأعراض، فما أحوجنا إلى هذه الصفات في هذه الأيام، فإذا توافرت الأمانة في الأرض، فإن البركات تنزل من السماء. وقال تعالى في حق يوسف عليه السلام: ﴿إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدِينًا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾⁽⁴⁾، والأمين قوي: لأنه بأمانته يأوي إلى ركن شديد.

وقال تعالى في حق خاتم الانبياء والمرسلين محمد ﷺ: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ، لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ، ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ، فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾⁽⁵⁾، والأقوايل تعني بعض الأقوال، ومعنى الآية أنه لو كانت الأقوال قليلة وصغيرة وحقيرة، لعجلنا لمحمد ﷺ العقوبة وما أمهلناه⁽⁶⁾، لذلك لا يستطيع أن يخلق شيئاً أو ينسب إلينا شيئاً، فهو يؤدي هذه الأمانة كما كلفه ربه، وفي هذا دليل على أن الأنبياء أمناء على هذه الرسالة، حيث اختارهم سبحانه من صفوة البشر. فالأمانة تتضمن الدين كله بأوامره ونواهيه، حتى أنها شملت "اللُقطة" التي يجدها الإنسان على قارعة الطريق، مهما كانت قليلة في نظرنا، حيث رغب الإسلام في البحث عن أصحابها قدر المستطاع⁽⁷⁾.

(1) سعد ندا، موقف الدعوة الإسلامية من الطرق الصوفية، المؤتمر العالمي لتوجيه الدعوة والدعاة، 29-24 / 2 / 1397هـ.

(2) سورة الأحزاب، آية رقم 39.

(3) سورة القصص، آية رقم 26.

(4) سورة يوسف، آية رقم 54.

(5) سورة الحاقة، آية رقم 44-47.

(6) الصابوني محمد علي، صفوة التقاسير، مجلد 3، ص 439، مصدر سبق توثيقه.

(7) أباطين، أحمد محمد، المرأة راعية في بيتها، وكالة المطبوعات والبحث العلمي، وزارة الأوقاف، السعودية ط1، 1425هـ، ص84.

ج) الأنبياء بشر يجب عليهم الأخذ بالأسباب

فالقوة: هي القوة المادية والمعنوية. والنصر دون استعداد لا يتأتى في كل زمان ومكان. والقوة إنما تعدُّ لمواجهة غير المسلمين، أعداء الله وأعدائكم، حتى يحسبوا لكم حساباً، وتكونوا أمة مرهوبة الجانب، فالقوة إذا اجتمعت مع الأمانة تكون سبباً في سعادة البشرية بحيث لا يطمع قوي فيكم، وبهذه القوة تحمّون ثغوركم.

قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾⁽¹⁾، "هذا الإرهاب لأعداء الله، وأعداء الأمة مشروع، أما الإرهاب غير المشروع فهو الذي يُروع الأمنين، ويأخذ الأبرياء بذنب غيرهم، لا يبالي في سفك الدماء، ولا ما دمّر من منازل ولا ما استحلّ من حرمات"⁽²⁾. ونستطيع القول إن هذه الحملة الشرسة التي يشنها الغرب لا تستطيع تحريف معاني الإسلام، وأن النصر للدعاة إلى الله آت طال الدهر أم قصر، قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَرَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا﴾⁽³⁾.

لذلك يجب أن نقدم سلامة المنهج على نهج السلامة، بأسلوب صريح واضح يبين للناس الغاية والأهداف بالغاية التي شرعها رب العزة سبحانه، فنقول: رضينا بالإسلام ديناً لهذا ندعو غير المسلمين إلى التعرف على الإسلام، حيث أن دعوتهم واجبة، فإن قبلوا هذه الدعوة فهم منا ونحن منهم، وإن رفضوها فقد أقمنا عليهم الحجة بأننا مسلمون وهم غير ذلك⁽⁴⁾، قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾⁽⁵⁾. وقال تعالى: ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ﴾⁽⁶⁾.

هنا يتجلى عدل الإسلام وسماحته، فلم يكن الإسلام يوماً إرهابياً، حيث أن الغاية من إرسال الرسل هي الرحمة للعالمين، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾⁽⁷⁾.

(1) سورة الأنفال، آية رقم 60.

(2) القرضاوي، يوسف، خطابنا الإسلامي في عصر العولمة، ص158. مصدر سبق توثيقه.

(3) سورة يوسف آية رقم 110.

(4) أبو رسل، الوعي، العدد 225، نداء إلى الذين ما زالوا يتمسكون بمنهج نبيهم، السنة العشرون، 1426هـ، أيار 2005م، ص 27.

(5) سورة آل عمران، آية رقم 64.

(6) سورة آل عمران، آية رقم 20.

(7) سورة الأنبياء، آية رقم 107.

الفصل الثالث

أساليب الدعوة إلى الله ويشتمل على أربعة مراتب:

أولاً: الدعوة إلى الله بالحكمة

ثانياً: الدعوة إلى الله بالموعظة الحسنة

ثالثاً: الدعوة إلى الله بالجدال والتي هي أحسن

رابعاً: الدعوة إلى الله بإقامة الحجّة والأعذار إلى الله

أولاً: الدعوة إلى الله بالحكمة.

... ولكي تقبل القلوب الدعوة إلى الله، ولا تنفر منها، يجب على الدعاة إلى الله أن يقدموا الدعوة على أساليب أربع، ذلك بأن لكل مقام مقال.

أولاً: الدعوة إلى الله بالحكمة.

ثانياً: الدعوة إلى الله بالموعظة الحسنة.

ثالثاً: الدعوة إلى الله بالجدال بالحسنى.

رابعاً: الدعوة إلى الله بإقامة الحجّة والأعذار إلى الله تبارك وتعالى.

فإلى الحديث عن كل مرتبة بالتفصيل، ولنبدأ بالدعوة إلى الله بالحكمة.

... إن من رحمة الله بالبشر انه كلما انحرفت البشرية يُرسل إليهم نبياً يجدد لهم أمر دينهم ويردهم إلى الجادة القويمية، وهكذا حتى جاءت الرسالة الخاتمة.

ف نجد أن أولي العزم من الرسل دعوا إلى الله بالحكمة فما هي الحكمة؟

الحكمة: هي " معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم "

الحكمة: " الكلام الموافق للحق "

الحكمة: الكلام الذي يقل لفظه ويجل معناه.

الحكمة: وضع الشيء في موضعه اللائق به⁽¹⁾.

وللعلماء فيها أقوال: فتأتي بمعنى = مواظب القرآن. قال تعالى: ﴿ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ

وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ ﴾⁽²⁾. وتأتي بمعنى = الفهم والعلم. قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ ﴾⁽³⁾.

وتأتي بمعنى = النبوة. وتأتي بمعنى = أسرار القرآن وعجائبه⁽⁴⁾.

قال تعالى: ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ

أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾⁽⁵⁾.

وقال تعالى: ﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾⁽⁶⁾.

(1) مذكور، إبراهيم، مادة (حكّم)، المعجم الوسيط، ج 1، ص196. مصدر سبق توثيقه.

(2) سورة البقرة، آية رقم 231.

(3) سورة لقمان، آية رقم 12.

(4) زكي الدين، محمد، الدعوة إلى الله فقهاً ومنهجاً، ص 236. مصدر سبق توثيقه.

(5) سورة النحل، آية رقم 125.

(6) سورة العنكبوت، آية رقم 46.

لقد أمر الله تبارك وتعالى رسوله الكريم أن يدعو إلى الله بالحكمة، والموعظة الحسنة، والجدال بالحسنى، فمن سياق هذه الآية التي تحتوي على أساليب ثلاث، يتضح أن كل مرتبة تصلح لطائفةٍ من الناس.

الطائفة الأولى: هم أصحاب نفوسٍ مشرقةٍ، قوية الانجذاب نحو المبادئ العالية فهؤلاء يُدعون "بالحكمة".

الطائفة الثانية: هم العوام: أصحاب النفوس الكدرة الضعيفة، قوية التعلق بالعبادات لكن لا عناد عندهم، فهؤلاء يُدعون "بالموعظة الحسنة".

الطائفة الثالثة: هم طائفة معاندة، مجادلة بالباطل، عندها عقائد باطلة، فهؤلاء يدعون "بالجدال بالحسنى"⁽¹⁾.

من هنا نجد التفرقة بين الدعوة إلى الله بالحسنى، أو بالتّي هي أحسن، بمعنى: إذا كان هناك أسلوبان أو طريقتان إحداهما حسنة والأخرى أحسن، فإنّ المأمور به: أن نتبع التي هي أحسن. فالجدال مثلاً يوجّه إلى المخالفين، المعاندين، الذين قد يصل الجدال معهم إلى حدّ العنف، فكانت الحكمة أن نتبع أحسن الطرق وأمثلها في الجدال معهم.

ثانياً: الدعوة إلى الله بالموعظة الحسنة.

والقرآن الكريم استعمل أرق التعبيرات وألطفها في مخاطبة المخالفين، من اليهود والنصارى، مثل تعبير... " أهل الكتاب " أو " الذين أوتوا الكتاب "⁽²⁾ والأمثلة كثيرة من كتاب الله تبارك وتعالى:

قال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾⁽³⁾.

وقال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ﴾⁽⁴⁾.

وقال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾⁽⁵⁾.

وقال تعالى: ﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ﴾⁽⁶⁾.

وقال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبَسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾⁽¹⁾.

(1) الصابوني، محمد علي، صفة التفسير، مجلد 2، ص 148. مصدر سبق توثيقه.

(2) القرضاوي، يوسف، الصحة الإسلامية، الدوحة، 1989م، ص 246.

(3) سورة النساء، آية رقم 171.

(4) سورة المائدة، آية رقم 15.

(5) سورة آل عمران، آية رقم 64.

(6) سورة آل عمران، آية رقم 20.

وقال تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (2).

" فإذا كان هذا موقف المسلم ممن يجادله من أهل الكتاب الذين يخالفونه في عقيدته، وأصل دينه، ولا يؤمنون بأن محمداً رسول الله، وأن القرآن كتاب الله، وأن الإسلام شريعة الله، فكيف ينبغي أن يكون موقفه من أخيه المسلم؟ الذي يؤمن بكل ما يؤمن به من عقيدة وشريعة ورسول وكتب سماوية (3) "

(أ) مخاطبة غير المسلمين في الدعوة إلى الله بالحسنى.

وحتى في مخاطبة المشركين فقد أرشدنا القرآن الكريم كيف يكون الجدل! قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ، قُلْ لَّا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا تُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ، قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ﴾ (4).

" وإنا أو إياكم لعلى هدى أو ضلال مبين " حقاً إنه المعلم الهادي، الذي يبتغي هدايتهم وإرشادهم لا إذلالهم وإفحامهم، لمجرد الإذلال والإفحام! وأن أحدنا لا بد وأن يكون على هدى حقاً، إنها قمة الأدب مع المشركين، هذا النموذج من الأدب في الجدل، على هذا النحو المهدب، أقرب إلى لمس قلوب المعاندين المتطاولين بالجاه والمقام (5).

﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ﴾ (6) مع أن الرسول ﷺ لا يشك في أنهم هم الضالون المضلون.

" قل لا تسألون عما أجرمنا ولا تسأل عما تعملون " .

كيف أن الرسول محمداً ﷺ . قال في حقهم لفظ " العمل " لئلا يحصل الإغصاب وأضاف " الإجماع " إلى أنفسهم، والعمل إلى المخاطبين، حيث أنها ملاطفة في غاية الإنصاف (7) وحسبنا أن نذكر أدب الجدل بالحسنى والحوار بالحكمة، المتمثل في أدب النبوة.

(ب) نوح عليه السلام والدعوة بالحسنى

(1) سورة آل عمران، آية رقم 71.

(2) سورة العنكبوت، آية رقم 46.

(3) القرضاوي، يوسف، الصحوة الإسلامية، ص 248. مصدر سبق توثيقه.

(4) سورة سبأ، آية رقم 24 - 26.

(5) سيد، قطب، في ظلال القرآن، ص 646، مصدر سبق توثيقه.

(6) سورة سبأ، آية رقم 24.

(7) الزمخشري، أبو القاسم عمر ، الكشاف، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، حقائق التنزيل في وجوه التأويل.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ، أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمِ أَلِيمٍ ، فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشْرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِرَأْيِ الرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ ، قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَأَتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعَمَّيْتُ عَلَيْكُمْ أَنْلَزْتُكُمْ مَوْتَهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ ، وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ، وَيَا قَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ، وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذَا لَمَنْ الظَّالِمِينَ ، قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ، قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ، وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أُنصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١﴾ .

هكذا نرى أن نوحاً عليه السلام كأنما يخاطبنا نحن في هذا الأيام، فالتعبير القرآني قال: ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه إني.... ولم يقل: قال إني.....

وهذا يدل على أن المشهد حاضر، لا حكاية ماضية، فنراه كذلك يُلخِّصُ الرسالة في جملة واحدة... قال تعالى: ﴿إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ (2) ، هذه وظيفتي مضمونها... "ألا تعبدوا إلا الله". فهذا همه عليه السلام وفكره ورؤيته، إنه خوفه من عذاب الله الأليم... "إني أخاف عليكم عذب يوم أليم".

هكذا تم الإنذار والإبلاغ بالحكمة والحسنى، وعلى الرغم من موقف قومه العدائي منه عليه السلام حيث قالوا كما ورد آنفاً في النص القرآني:

﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشْرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِرَأْيِ الرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ﴾ (3).

وبالرغم من هذه المواقف من قومه عليه السلام إلا أنه نهج معهم نهجاً رائعاً في الجدل بالحسنى والاقناع، فلم يُخرجه هذا التحدي عن السمات الكريمة!!!
حيث أبلغهم أن ليس عليه إلا البلاغ، وإن الله بصير بالعباد (4).

(1) سورة هود، آية رقم 25 - 34.

(2) سورة هود ، آية رقم 25.

(3) سورة هود، آية رقم 27.

(4) قطب، سيد، في ظلال القرآن، مجلد 4، ص 544. مصدر سبق توثيقه.

ج) محمد عليه السلام والدعوة إلى الله بالحسنى

وهذه قصة مع الرسول الخامس من أولي العزم من الرسل، محمد ﷺ، خاتم الأنبياء المرسلين، حيث فيها الأسلوب الناجح الذي يحتوي على التعليم والتوجيه والتربية ونشر الدعوة الإسلامية، إنه أسلوب الحوار بالعقل والوجدان والعاطفة والفتوة، حيث أن شاباً أتى النبي ﷺ. فقال: يا نبي الله، أتأذن لي في الزنا.

فصاح الناس به!

فقال ﷺ: قربوه إذن.

فدنا حتى جلس بين يديه.

فقال النبي ﷺ: أتحبه لأمك؟

فقال: لا، جعلني الله فداك

قال ﷺ: كذلك الناس لا يحبونه لأمهاتهم.

قال ﷺ: أتحبه لابنتك

قال: لا، جعلني الله فداك

قال ﷺ: كذلك الناس لا يحبونه لبناتهم.

قال ﷺ: أتحبه لأختك

قال: لا، جعلني الله فداك

قال ﷺ: كذلك الناس لا يحبونه لأخواتهم

فوضع الرسول ﷺ يده على صدره وقال: اللهم طهر قلبه واغفر ذنبه وحصن فرجه... فلم يكن شيء أبغض إليه من الزنى⁽¹⁾.

وبعد الرجوع إلى الكثير من المراجع يرى الباحث أن الحكمة، والموعظة الحسنة والجدال بالحسنى، يرى أن الداعية إلى الله، بحاجة إلى هذه الأساليب جميعها لأنها تمثل قاسماً مشتركاً أعظم، حيث العلاقة بين هذه المراتب الثلاث علاقة عضوية، لا تنفك عن بعضها بعضاً.

وتتجلى الحكمة كذلك في مُعَلِّم الحكمة للأُميين محمد ﷺ، خاتم المرسلين. فهذا رجل من الصحابة ابتلي بالخمير حتى أدمنها، فجيء به إلى رسول الله ﷺ أكثر من مرة، فيقام عليه الحد ويعاقب، ثم بعد ذلك يعود للعمل نفسه، وهكذا... حتى تكرر فعله مراتٍ عديدة، فقال أحد الصحابة، لعن الله هذا

(1) مسند الإمام أحمد، وبهامشه منتخب كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، دار صادر، بيروت، مجلد 5، ص

الرجل! فسمعه رسول الله ﷺ ، فلم يسكت، وقال للاعنه، لا تلغنه فإنه يحب الله ورسوله. وفي رواية لا تكونوا عوناً للشيطان على أخيك⁽¹⁾.

هذه الرواية وبالرغم من ظهور الشر على ظاهر ذلك الرجل، فإن الرسول ﷺ وصفه بأنه " يحب الله ورسوله" ولهذا نهى عن لعنه، يريد ﷺ ، أن لا يجعل بين هذا الرجل المدمن السكران وبين المسلمين فجوة، لأن هذه الفجوة تقرب منه الشيطان أكثر فأكثر هذا من جانب. ومن جانب آخر، لا يريد ﷺ أن يفصم عروة الإسلام بين المسلمين وبين هذا الرجل السكران، لأن الإسلام يجمعهم، حتى لو كان يعمل الكبائر.

فما أجدنا أن تقترب من إخواننا الذين أسرفوا على أنفسهم، بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالحسنى، حتى لا يكونوا فريسة للشيطان.

(د) مثال آخر على الدعوة إلى الله بالحسنى

وأسوق هذه الموعظة التي فيها أكبر دليل على أن الحكمة والموعظة والجدال بالحسنى ترتبط مع بعضها ارتباطاً عضوياً، فلا يمكن الفصل بين هذه الأساليب.

... نجد في كتاب الله، أن لقمان الحكيم يقف يوماً واعظاً ناصحاً مرشداً داعياً ولده ... يا بني... يا بني... يا بني قال تعالى: ﴿يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ، يَا بُنَيَّ أقم الصلاة وأمر بالمعروف وأنه عن المنكر وأصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور ، ولا تصعّر خدك للناس ولا تمش في الأرض مرحاً إن الله لا يحب كل مختال فخور ، وأفصد في مشيك وأغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير﴾⁽²⁾... يا بني أقم الصلاة... أين تكون إقامة الصلاة...؟ في المساجد... في بيوت الله. وماذا يستمع الولد في المساجد؟ يستمع إلى المواعظ الحسنة، فيتعلم القرآن، يتعلم أحسن القصص، فينشأ عند ولده الحس الجماعي.

إنه التودد من الوالد لولده، التودد في الموعظة بهذه الصيغة، فما أوجدنا إلى هذه الصيغة في هذه الأيام، في الشارع، في البيت، في المدرسة، في المسجد، في السفر، في الحضر، في المجادلة مع الناس، مع الأقارب مع أولي الأرحام مع الناس أجمعين. إنها الحكمة، إنها الموعظة الحسنة في مناصحة الناس، في التواصي بالحق والصبر، والأمر بالمعروف بمعروف، والنهي عن المنكر بمعروف، والإحسان إلى الخلق، والمودة بين الزوجين، المودة بين المؤمنين، المسامحة، الصدق في

(1) القرضاوي، يوسف، الصحوة الإسلامية بين الجمود والتطرف، ط 1، ص 226.

(2) سورة لقمان، آية رقم 17 - 19.

القول، مساعدة المحتاج، الإحسان إلى الجار، إكرام الضيف، إغاثة الملهوف، توقير الكبير، رحمة الصغير، خفض الجناح، والاعتدال في كل شيء⁽¹⁾.

هكذا كان أولو العزم من الرسل فهذا موسى عليه السلام، يطلب من الله الكلمة الطيبة في الموعدة الحسنة. قال تعالى: ﴿وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي ، يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾⁽²⁾.

فالموعدة الحسنة هي الكلمة الطيبة التي تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها، وان أعظم كلمة طيبة، تكون فيها الحكمة والموعظة والجدال بالحسنى: كلمة التوحيد وهي " لا اله إلا الله" التي تجمع المؤمنين. ويقول سيد قطب رحمه الله، إن الكلمة الطيبة " كلمة حق" كالشجرة الطيبة سامقة، مثمرة، ثابتة لا تززعها الأعاصير، ولا تعصف بها الرياح، ولا تقوى عليها معاول الشيطان والطغيان، وإن خيل للبعض أنها معرضة للخطر بعض الأحيان، إلا أنها تبقى مثمرة، لا ينقطع ثمرها، لأن بذورها نبتت في النفوس المتكاثرة، أنا بعد أن، ومن نبت في نفسه الموعدة الحسنة فإنه يحصد ثمارها في دنياه وأخره⁽³⁾. قال تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾⁽⁴⁾.

ثالثاً: الدعوة إلى الله بالجدال بالتي هي أحسن

لقد رأينا أن ندمج الأساس الأول والثاني في مبحث واحد وكذلك الجدال بالأحسن. ولكن نرى أن الجدال بالأحسن زيادة على ما ذكر، نعطيه هامشاً مستقلاً بعض الشيء لأنه يختص أكثر فأكثر بأهل الكتاب ألا وهم اليهود والنصارى. حيث يقول سبحانه: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾⁽⁵⁾.

وكذلك الدعوة فإنها تختص أيضاً بأهل الكتاب، لان المسلمين أكثر حاجة إلى الموعدة الحسنة من الدعوة، فالدعوة أكثر لصوقاً بغير المسلمين، قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾⁽⁶⁾.

(1) بواطنه، جمال محمد ، دروس إخلقية في ذكرى سيد البرية، مجلة الإسراء الإسلامية، القدس عدد 65، نيسان-أيار، 2006م.

(2) سورة طه، آية رقم 27 - 28.

(3) قطب، سيد، في ظلال القرآن، مجلد 3، ط 7، ص 154. مصدر سبق توثيقه.

(4) سورة إبراهيم، آية رقم 27.

(5) سورة العنكبوت، آية رقم 46.

(6) سورة النحل، آية رقم 125.

فالأمر بالجدال بالتي هي أحسن، لا يكفي التعامل معه بالطريقة الحسنة فقط، بل بالطريقة الأحسن، حيث يوجد طريقتان للحوار والجدال، إحداهما حسنة والأخرى أحسن. ... إن الله تبارك وتعالى أمرنا أن نجادل أهل الكتاب بالتي هي أحسن، والأحسن هي كلمة تفوق العدل. فالعدل هو مساواة الشيء بالشيء، ولكن الأحسن هو الزيادة في العدل والعطاء والعمو والإحسان. فإذا كان هذا موقف المسلم، من أهل الكتاب، يعني مع غير المسلمين! ولا نقول عنهم كفاراً - فكيف يكون موقف المسلم في جداله مع المسلمين؟

ولنا مع أولي العزم من الرسل موقف آخر يمثل موقف الابن من أبيه المشرك ها هو إبراهيم عليه السلام. يجادل أباه بالتي هي أحسن. فبالرغم من أن الأب كان مشركاً، إلا أن الله أمره أن يجادل أباه بالتي هي أحسن، إنه أعظم أدب من الأبناء تجاه الآباء، حيث نأخذ العبرة من هذا الحوار، والجدال بالحسنى مع المشركين.

قال تعالى: ﴿وَأذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ، إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ، يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ، يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ، يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ، قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَنْ لَمْ تَنْتَه لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ، قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ، وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴿⁽¹⁾ ، انظر كيف يتودد إبراهيم عليه السلام إلى والده " يا أبت " إنها دعوة لطيفة بأحب الألقاب وأجمل الألفاظ وأرقها. يقابله والده بالتهديد والرجم والموت الشنيع، لم يغضب إبراهيم الحليم، فلم يفقد بره وعطفه وأدبه مع أبيه، فلا جدال إلا بالحسنى، فلم يؤذ والده، ولم يرد عليه بالتهديد والوعيد... سلام عليك ... سأستغفر لك ربي... ما الذي يريد إبراهيم من هذا الجدل بالأحسن؟ يريد أن يُجَنَّب والده الشقاوة.

وبضيف سيد قطب رحمه الله، أن الجدل بالتي هي أحسن، يكون بلا تحامل على المخالف، ولا ترذيل له ولا تقبيح، حتى يطمئن إلى الداعي، وأن الهدف ليس الغلبة في الجدل، وإنما الوصول إلى الحق. (2)

وأول من سن دعوة الجدل بالأحسن من الصحابة رضوان الله عليهم، ابن عباس رضي الله عنه، حيث بعثه أمير المؤمنين علي رضي الله عنه إلى الخوارج، فكلّمهم فقال لهم.

لماذا تتقمون على إمامكم؟

قالوا: قاتل ولم يَسُب ولم يغنم.

(1) سورة مريم، آية رقم 41 - 48.

(2) قطب، سيد، في ظلال القرآن، ص 219، مصدر سبق توثيقه.

قال ابن عباس: ذلك قتال الكفار، أريتم لو سببت عائشة رضي الله عنها في يوم الجمل، ف وقعت في سهم أحدكم أكنتم تستحلون منها ما تستحلون من ملككم وهي أمكم بنص الكتاب؟ قالوا: لا، فرجع منهم إلى الطاعة ألفان، فما أعظمه من جدال حيث أنه نور القلوب، وأبان للخوارج الطريق، فلولا الجدال بالحسنى، لحصل ما لا تحمد عقباه⁽¹⁾.

نستنتج من هذا، أن الجدال بالأحسن يكون مع المخالفين، فالمسلم يجب أن يجادل مخالفه بالتي هي أحسن، لأنها المنهاج الذي رسمه الله في القرآن الكريم، ذلك التعبير القرآني المعجز، حيث الموعظة للموافقين، والجدال للمخالفين، فلا بدّ للداعية إلى الله، أن يحمل ميراث النبوة وهو يجادل الناس بالتي هي أحسن⁽²⁾ معنى ذلك أن يختار الداعية إلى الله أرق العبارات، مع أطف الأساليب في جداله مع المخالفين، حتى يؤنسه، ويقربه منه، فلا يوغر صدره، أو يثير عصبية... حتى أن حديث الأنبياء مع أقوامهم كان بعبارة " الأخوة " .

قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ، إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ، إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾⁽³⁾.

وقال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ ، إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾⁽⁴⁾.

وقال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ ، إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾⁽⁵⁾.

وقال تعالى: ﴿قَوْمٌ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ ، إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾⁽⁶⁾.

بهذا يتحقق الجدال بالحسنى، بالقدوة قبل الدعوة، وبالتعريف قبل التكليف.

رابعاً: الدعوة إلى الله بإقامة الحجة والأعدار إلى الله

... إن الله تبارك وتعالى لم يترك عباده بما أودع فيهم من فطرة، بل أرسل إليهم الرسل لتبليغ شرائع للناس، ولو لم يرسل إليهم الرسل لكان احتجاجهم عند الله مقبولاً.

فالدعوة إلى الله يجب أن تقدم للناس، بالبيان الدائم لأصول الإسلام وفروعه، الذي لا يترك في الحق لبساً، حتى ينقطع العذر، ولا يكون لأحد العدول عن الحق إلى الباطل، وحين توجه الدعوة

(1) الغزالي، محمد بن محمد بن أحمد أبو حامد، إحياء علوم الدين، ج 1، ص 166. مصدر سبق توثيقه.

(2) القرضاوي، يوسف، خطابنا الإسلامي في عصر العولمة ، ص40. مصدر سبق توثيقه.

(3) سورة الشعراء، آية رقم 105 - 107.

(4) سورة الشعراء، آية رقم 123 - 124.

(5) سورة الشعراء، آية رقم 141 - 142.

(6) سورة الشعراء، آية رقم 160 - 161.

إلى الناس على هذا الأساس، فإن الداعية إلى الله يُخلى مسؤوليته أمام الله تبارك وتعالى فالمدعو لا يكون له عذر أمام الله.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعذِرَةٌ إلی رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ، فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١﴾

" قالوا معذرة إلى ربكم" وهذا يعني وجوب الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والتخويف من انتهاك الحرمات، لنبلّغ إلى الله عذرنا، ويعلم الله أننا قد أدينا واجبنا، ثم لعل النصح يؤثر في تلك القلوب العاصية، فيثير في وجدانها التقوى، وتكون إذا لم تستجب، قد أذرت، وأنذرت، وحق عليها العذاب من الله تبارك وتعالى، لذا تكون الحجة على هؤلاء المعتدين⁽²⁾.

هكذا كانت النتيجة أن عذبهم الله، لأنهم أتاهم من يُبلغهم فلم ينتهوا عن غيهم. فكانت النتيجة، أن الذنب الذي أصابهم، كان بعد أن رفضوا الامتثال لأمر الله، وهذه حجة الله عليهم.

(أ) لقد أعذر من أنذر

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمَّهَاتِ رُسُلًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ ﴿٣﴾

وقد جرت عادة الله تبارك وتعالى، أن لا يهلك القرى الكافرة، إلا إذا بعث في أممها أي "عاصمتها" رسولا يبلغهم رسالة الله لقطع الحجج والمعاذير.

بهذا يكون أهلها قد استحقوا العذاب، لإصرارهم على الكفر بعد الإعذار إليهم ببعثة المرسلين، حيث تتأكد الحجة والإلزام عليهم ببعثته الرسل، ولا يجعل سبحانه وتعالى علمه بأحوالهم حجة عليهم⁽⁴⁾.

فهل يستطيع أحد أن ينكر، أنه لم يأتيه رسول، لأن الله تبارك وتعالى يقول لهؤلاء المعاندين الذين قال فيهم، قال تعالى: ﴿لَوْ لَا أَرْسَلْنَا إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَتَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥﴾

سبحانه وتعالى ويقول: ﴿وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٦﴾

⁽⁶⁾، أي مرسلين هذا القرآن، وما فيه من أنباء السابقين⁽⁷⁾ وقد وعدكم الله سبحانه وتعالى أن يسألكم جميعاً الذين أرسل إليهم والمرسلين.

(1) سورة الأعراف، آية رقم 164 - 165.

(2) قطب، سيد، في ظلال القرآن، مجلد 3، ص 658. مصدر سبق توثيقه.

(3) سورة القصص، آية رقم 59.

(4) الصابوني، محمد علي، صفوة التفاسير، مجلد 2، ص 44. مصدر سبق توثيقه.

(5) سورة القصص، آية رقم 47.

(6) سورة القصص، آية رقم 45.

(7) قطب، سيد، في ظلال القرآن، ص 354، مجلد 6. مصدر سبق توثيقه.

ب) السؤال لا يستثنى أحداً

..... قال تعالى: ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ، فَلَنَقْصُنَّ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ، وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ بِالْحَقِّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ، وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ﴾⁽¹⁾، معنى قلنا لكم في حياتكم الدنيا أننا سوف نسألكم يوم الحسرة، يوم التغابن يوم القيامة ونسأل الأمم قاطبة، هل بلغكم الرسل؟ وماذا كنتم تعبدون، وماذا أحببتم المرسلين؟⁽²⁾، أن المراد من هذا السؤال هو التقرير والتوبيخ... ونسأل: هل الرسل بلغوا الرسالة؟ هل أدوا الأمانة؟ ونسأل: أيها الناس، هل أحببتم داعي الله؟ وسؤال الأمم... توبيخ وتقرير، سؤال الرسل... تأنيس وكرامة⁽³⁾.

فالعقل اسم من أسماء الله الحسنى، فمن العدل أنه سبحانه وتعالى لم يكن ليهلك قوماً، حتى يبعث إليهم رسولاً، فكان هذا هو المقصد من إرسال الرسل إلى الناس.

قال تعالى: ﴿ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ﴾⁽⁴⁾، فهذه حكمة الله سبحانه وتعالى أن لا يؤاخذ الناس على معاصيهم وذنوبهم وشركهم حتى يرسل إليهم الرسل، وعلى الرغم من العقل الذي أعطاهم سبحانه وتعالى، فإن العقل قد يضل تحت ضغط الشهوات، فكانت مهمة الرسل والرسالات، خاصة أولي العزم من الرسل، وهم أصحاب الرسالات الكبرى. فإله تبارك وتعالى جعل العذاب مرهونا بالتكذيب، بعد البلاغ والإنذار⁽⁵⁾.

وقال تعالى: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِنَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةً بَعْدَ الرُّسُلِ﴾⁽⁶⁾، هؤلاء الرسل يحملون النور والهدى، وكلهم يؤدي دوره في الإنذار والتبشير. هؤلاء الرسل، بعثهم الله للناس، بحيث لا يؤاخذ الله الناس إلا بعد الرسالة والتبليغ.

قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾⁽⁷⁾.

هذا كله يعطي ظلالاً وتبعية عظيمة لمقابلة على عاتق الرسل، صلوات الله عليهم. ومن بعدهم أتباعهم من الحواريين والمؤمنين، لذلك مما لا شك فيه، أن مصير البشرية كله في الدنيا والآخرة منوط

(1) سورة الأعراف، آية رقم 6-9.

(2) الجوزيه، ابن قيم، زاد المعاد في هدي خير العباد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج 1، ص 3.

(3) الصابوني، محمد علي، صفوة التفسير، مجلد 1، ص 436-437. مصدر سبق توثيقه.

(4) سورة الأنعام، آية رقم 131.

(5) قطب سيد، في ظلال القرآن، مجلد 3، ص 389. مصدر سبق توثيقه.

(6) سورة النساء، آية رقم 165.

(7) سورة الإسراء، آية رقم 15..

بالرسل واتباعهم من بعدهم، على أساس تبليغهم هذا الأمر للبشر، لذلك شعر الأنبياء بهذه المسؤولية، لهذا بلغوا الرسالة في الليل والنهار⁽¹⁾.

(ج) الأنبياء يشعرون بمسئوليتهم.

قال تعالى: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾⁽²⁾.

وقال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾⁽³⁾.

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ، إِلَّا بَلَاغًا مِنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ﴾⁽⁴⁾.

وقال تعالى: ﴿لَيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾⁽⁵⁾.

وقال تعالى: ﴿عَالِمِ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ، إِلَّا مَنْ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ، لَيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾⁽⁶⁾.

معنى أن الله جل جلاله عالم الغيب، فلا يعلم الغيب إلا الله...

هناك في الآية استثناء، وهو أن الله جل وعلا، قد يعطي شيئاً من الغيب إلى بعض رسله الذين يختارهم سبحانه وتعالى فيطلعهم على بعض الغيب، فقط في حدود ما يعاون هؤلاء الرسل على تبليغ رسالتهم إلى الناس.

وأن الرسول الذي ارتضاه سبحانه وتعالى، وأطلعته على بعض الغيب، هذا الغيب ليساعد أولئك الأنبياء على انجاز هذه المهمة التي أوكلها الله لهم، وأن هذا الغيب الذي أطلعهم الله عليه يكون بمثابة المعجزة، فهم مؤيدون بالمعجزات.

وان هؤلاء الرسل عليهم رقابة دائمة من الله بحيث تحرسهم الملائكة وتحفظهم من الجن، فمع كل رسول ملك يمشي خلفه وأمامه، ليحميه من الشيطان والنسيان. لهذا، يشعر الرسول بالمسؤولية الملقاة على كاهله فيقوم بتبليغها للناس، بأمانةٍ وانضباط⁽⁷⁾.

(1) سيد قطب، في ظلال القرآن، مجلد 2، ص 956، مصدر سبق توثيقه.

(2) سورة المزمل، آية رقم 5.

(3) سورة الإنسان، آية رقم 24.

(4) سورة الجن، آية رقم 22 - 23.

(5) سورة الجن، آية رقم 28.

(6) سورة الجن، آية رقم 26-28.

(7) قطب، سيد، في ظلال القرآن، مجلد 8، ص 462، مصدر سبق توثيقه.

د) الغاية من إقامة الحجة على الناس

.... " انه الأمر الهائل العظيم، انه أمر رقاب الناس، أمر حياتهم ومماتهم، امر سعادة الناس وشقاوتهم... انه أمر البشرية التي إما أن تصلها هذه الرسالة بوساطة هؤلاء الرسل فتقبلها فتسعد في الدنيا والآخرة.

وإما أن تصلها هذه الرسالة بوساطة هؤلاء الرسل فترفضها فتشقى في الدنيا والآخرة، وإما أن تصلها هذه الرسالة بوساطة هؤلاء الرسل فتكون حجة عليها عند ربها فعلى هذه النتائج يترتب الثواب والعقاب.

ونحن نشهد أن رسل الله، بلغوا الرسالة وأدوا الأمانة ونصحوا الأمة وكشفوا الغمة وتركوا البشرية على بيضاء نقية ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، ولا تتكبرها إلا ضال.

... يبقى الواجب الثقيل بعد هؤلاء الأنبياء على عاتق المؤمنين، لأنهم يُعتبرون ورثة الأنبياء، فيحملون هذه التبعة، وهي تبعة إقامة الحجة على الناس، هذه التبعة... كيف يُنقذوا البشرية من عذاب الآخرة وشقوة الدنيا... هذه التبعة... ليس للدعاة إلى الله ملجأ ولا منجى إلا بتبليغ الرسالة، تبليغ هذا المنهج الذي بلغه رسول الله محمد ﷺ، فالرسالة هي الرسالة، والناس هم الناس، والضلالات هي الضلالات، والعقبات هي العقبات، فلا بد من البلاغ⁽¹⁾.

قال تعالى: ﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾⁽²⁾.

فهو أمر مفروض لا يجوز النكوص عنه بحال، انه أمر تبليغ الناس الدين، بالموعظة بالحكمة، بالترغيب والترهيب، بالليل والنهار، بالإسرار والإعلان، لان ضلال البشرية وشقوتها مرهونان بتبليغ هؤلاء الرسل فعند البلاغ تنتهي تبعة الرسول.

قال تعالى: ﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾⁽³⁾.

هـ) سنة قرآنية

إن الله تبارك وتعالى لا يعاقب أمة قبل أن يبعث إليها رسولا يدعوها إلى البر والخير، وينهاها عن السوء والشر، وذلك حتى لا يدع لأحد من البشر أن يكون عنده ذريعة لعدم الإيمان⁽⁴⁾.

(1) سيد، قطب، في ظلال القرآن، مجلد 2، ص 599، مصدر سبق توثيقه.

(2) سورة آل عمران، آية رقم 20.

(3) سورة النساء، آية رقم 165.

(4) الصابوني، محمد علي الصابوني، النبوة والأنبياء، دار الصابوني، القاهرة، ط 1، 1998م، ص 22.

قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ (1).

دليل هذه السنة من القرآن:

قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (2).

وقال تعالى: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ (3).

معنى هذا أن الكون بما فيه من آيات وعلامات وعبر، وكائنات، وسموات، وأرض، وشمس وقمر، ونجوم وجبال وبحار وأشجار، هي من العجائب التي يرونها ليل نهار، ويمرون عليها بالعشي والإبكار، فلا يعتبرون، علماً أن هذا يكفي لأن يؤمنوا بالله الرحمن الرحيم (4).

وحتى لا يكون عذر لمن يعتذر قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى﴾ (5).

معنى هذه الآية قطع باب المعذرة

قال تعالى: ﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾ (6).

وقال تعالى: ﴿فَيَوْمئذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ﴾ (7).

و) محكمة واعتراف

قال تعالى: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا وَغَرَّتْهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾ (8).

(1) سورة الإسراء، آية رقم 15.

(2) سورة الأعراف، آية رقم 158.

(3) سورة يوسف، آية رقم 105.

(4) الصابوني، محمد علي، تفسير آيات الأحكام، مجلد 2، ص 69، مصدر سبق توثيقه.

(5) سورة طه، آية رقم 134.

(6) سورة المرسلات، رقم 36.

(7) سورة الرحمن رقم 39.

(8) سورة الأنعام، آية رقم 130.

وقال تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿١﴾

وقال تعالى: ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ، قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ، وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ، فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿٢﴾

وقال تعالى: ﴿قَالُوا أَوْ لَمْ تَكُ تَأْتِيكُمُ رُسُلِكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَىٰ قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ، إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ، يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذرتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴿٣﴾

إنها سنة الله، في الثواب والعقاب، عندما يوجه إليهم السؤال، يجيبون في ذلة وانكسار، واعتراف بالحمق والغفلة بعد التبجح والإنكار، واتهام الرسل بالضلال، وبعد هذا الاعتراف، لا ينفعمهم شيء لأن الحجة أقيمت عليهم، فلا يزيدهم الله إلا عذاباً⁽⁴⁾. وصورة أخرى من صور المحاكمة والاعتراف!

خطاب الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٥﴾ . ما الذي يمنعكم من الإيمان! أيها الناس؟ ما الذي يعوقكم عن الإيمان؟ هذه الأسئلة التي يوجهها سبحانه وتعالى في الآية السالفة الذكر إن دلت على شيء، فعلى الرأفة والرحمة من الله بعباده.

ومخاطبة الرسول ﷺ الناس بهذه اللغة، إنما هو يصل بين الله وذوات نفوسهم، حيث أنه ﷻ يدعو الناس بلغة السماء!

وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ نَعْمَرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ ﴿٦﴾ .

(1) سورة الزمر، آية رقم 71.

(2) سورة الملك، آية رقم 8-11.

(3) سورة غافر، آية رقم 50 - 52.

(4) قطب، سيد، في ظلال القرآن، مجلد 8، ص 191، مصدر سبق توثيقه.

(5) سورة الحديد، آية رقم 8.

(6) سورة فاطر، آية رقم 48.

وقال تعالى: ﴿ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴾⁽¹⁾. حيث أنهم يعترفون بخطأهم، ويتمنون لو أنهم أطاعوا الله ورسله، ولكن هيهات هيهات حيث لا ينفعم الندم، قال تعالى: ﴿ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴾⁽²⁾.

إنها سنة الله الثابتة، التي لا تتغير ولا تتبدل، ألا وهي العذاب الذي حل بالأولين، والنصر للمؤمنين الموحدين الذين آمنوا بالله ورسله⁽³⁾. حيث يتجلى سبحانه وتعالى... فيقول: قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ، إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ ، وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴾⁽⁴⁾.

ز) الأمر من الله الإيمان بالرسول

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾⁽⁵⁾.

بهذا نرى أن المسؤولية تقع على عاتق الدعوة إلى الله، وكلكم دعاة إلى الله، لأن أمة محمد كلفت بما كلف بها محمد.

إنها دعوة إلى الإيمان بالله ورسله، حيث أن هذه الدعوة جاءت بصيغة الأمر، وكل أمر للوجوب ما لم ترد قرينه تصرف الأمر عن الوجوب. والله يشهد لهؤلاء الذين يؤمنون بالرسول أنهم شهداء عنده سبحانه وتعالى.

دليل... قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ ﴾⁽⁶⁾. هكذا تكون نتيجة الذين استجابوا لله ورسله، فحازوا على الصديقية والشهادة والأجر والنور في الدنيا والآخرة، فكل من آمن بالله ورسله فهو شهيد وصديق⁽⁷⁾.

(1) سورة الفرقان، آية رقم 27.

(2) سورة غافر، آية رقم 52.

(3) قطب، سيد، في ظلال القرآن، مجلد 6، ص 708، مصدر سبق توثيقه.

(4) سورة الصافات آية رقم، 171 - 173.

(5) سورة الحديد آية رقم 28.

(6) سورة الحديد، آية رقم 19.

(7) الصابوني، محمد علي، صفوة التفاسير، مجلد 3، ص 326، مصدر سبق توثيقه.

الفصل الرابع

الدعوة إلى الله سبيل النجاة ويتضمن مبحثين:

المبحث الأول: ما تتميز به الدعوة إلى الله

المبحث الثاني: غاية الدعوة إلى الله

المبحث الأول

ما تتميز به الدعوة إلى الله

.... تتميز الدعوة إلى الله بأنها دعوة إلى الإسلام، حيث اختار الله تبارك وتعالى نوحاً، وإبراهيم، وموسى وعيسى، ومحمداً عليهم السلام وجميع أنبيائه ورسله، ليبلغوا أقوامهم دعوة الإسلام⁽¹⁾ فهم مسلمون ابتداءً.

ومن الأدلة النقلية على ذلك ما يلي: قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ﴾⁽²⁾.
وقال تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾⁽³⁾.

وهذا النفي جاء من الله تبارك وتعالى فإبراهيم عليه السلام لم يكن على دين اليهودية، ولا على دين النصرانية، لأن اليهودية والنصرانية ملتان محرقتان عن شرع موسى وعيسى عليهما السلام، والدليل على ذلك أنهم قالوا عزير ابن الله، والمسيح ابن الله.

وقال تعالى: مخاطباً خاتم الأنبياء محمد ﷺ ومخاطباً أمته، قال تعالى: ﴿قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾⁽⁴⁾.

ففي هذا النص إقراراً بالألوهية والربوبية، وأن الدعوة تمتاز بأنها تدعو إلى الله، إلى طريق الله، إلى سبيل الله، إلى المنهج الذي رسمه الله لهداية الناس، ليسعدوا في الدنيا، ويفوزوا في الآخرة⁽⁵⁾.
هذا يعني أن المصدر هو رب العالمين، وأن التشريع من عند الله، حيث أن الله تبارك وتعالى هو المَصْدَر، والمَشْرَع، وأن الرسل هم سفراء الله على هذه الأرض⁽⁶⁾.

دليل آخر على أن الدعوة إلى الله ربانية المصدر، وأن هذا العلم الذي ينشره الأنبياء والدعاة إلى الله، لا ينبع من ذكائهم أو حميتهم، إنما مصدره الوحي، وأن الله تبارك وتعالى اصطفى هؤلاء الأنبياء وأكرمهم بهذه الدعوة، وأن الأنبياء لا يستطيعون التغيير أو التبديل أو الزيادة أو النقصان على هذا الدين⁽⁷⁾.

(1) زين العابدين، محمد سرور بن نايف، منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله، ص 24. مصدر سبق توثيقه.

(2) سورة يونس، آية رقم 25.

(3) سورة آل عمران، آية رقم 67.

(4) سورة آل عمران، آية رقم 84.

(5) القرضاوي، يوسف، خطابنا في عصر العولمة، ص30. مصدر سبق توثيقه.

(6) زيدان، عبد الكريم، أصول الدعوة، ص46. مصدر سبق توثيقه.

(7) الصابوني، محمد علي، النبوة والأنبياء، ص 31. مصدر سبق توثيقه.

قال تعالى: ﴿ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تَلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبَعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ ﴾⁽¹⁾، وتعتبر هذه الميزة هي الأهم، أي أن الدعوة إلى الله ربانية من عند الله فنجدها تتميز بمكرمات كثيرة:

(أ) إنها دعوة إلى الله.

فلا تدعو إلى فرد أو إلى جهة معينة مهما كان قدرها عند الله، فهي طريق واحدة مستقيمة لا عوج فيها ولا شك ولا شبهة، وان الذي يسلك هذه الطريق يكون على هدى ونور من رب العالمين. هؤلاء الدعاة إلى الله يقولون: نحن نعرف طريقنا جيداً، ونسير فيها على بصيرة وإدراك ومعرفة، هذا كله يكسبنا اليقين والقوة والعزم والمصابرة، وان هذا التمايز يجب أن يظهر، لأن هؤلاء الدعاة إلى الله أصرتهم العقيدة، فلا بد وأن يميزوا أنفسهم بهذه الطريق، وأنهم يختلفون عن أي مجتمع جاهلي، وأن المجتمع كلما ازدادت جاهليته يجب على الدعاة إلى الله أن يكتفوا جهودهم في سبيل الدعوة إلى الله، هذا السبيل الذي يختلف تماماً عن سبيل الجاهلية⁽²⁾.

قال تعالى: ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾⁽³⁾.

(ب) إن هذه الدعوة تدعو إلى أمة واحدة.

... إنها وحدة الاتجاه الذي يتجه نحوه الرسل في دعوتهم إلى الله، حيث يتلاشى الزمان والمكان في مشارق الأرض ومغاربها، تلك هي الحقيقة التي جاء بها رسل الله، إنها وحدة الطبيعة، والخلق والاتجاه⁽⁴⁾.

قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُون ﴾⁽⁵⁾.

يا معشر الأنبياء، يا معشر الرسل، هذا هو دينكم، انه الدين الواحد، إنها الملة الواحدة، وهي دين الإسلام، وأن الله هو الواحد الأحد، القوي الجبار، فخافوا عذابه وعقابه⁽⁶⁾.

وتمتاز هذه الدعوة بأنها تجمع أفرادها في أمة واحدة، مهما امتدت أطراف هذه الأمة، في أي مكان وزمان، في حركاتهم وسكناتهم فإنهم يسلمون قلوبهم فيوجهونها إلى الله عز وجل، هذه الأمة تتجانس بين أبنائها الحياة في المبادئ، من محبة وألفة، على مندوب، ومستحب، ومكروه وحرام،

(1) سورة يونس، آية رقم 15.

(2) قطب، سيد، في ظلال القرآن، مجلد 5، ص 56، مصدر سبق توثيقه.

(3) سورة يوسف، آية رقم 108.

(4) قطب، سيد، في ظلال القرآن، مجلد 6، ص 32، مصدر سبق توثيقه.

(5) سورة المؤمنون، آية رقم 52.

(6) الصابوني، محمد علي، صفوة التفاسير، مجلد 2، ص 311، مصدر سبق توثيقه.

وحلال، فتكون الدعوة عملت على وحدتهم، وجمعتهم على كلمة التوحيد، والصوم، والصلاة، والحج، والزكاة، والإيمان بالملائكة، والكتب، والرسول، والقدر، واليوم الآخر.

هذا التسليم يندفع من إيمان بالقلب، حيث أنه تصديق بالجنان، وإقرار باللسان، وعمل بالأركان، يكون هذا بتسليم الأمر أن كل ما جاء به الرسل هو من عند ربهم.

قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (1).

هذه الأمة تعني أن المسلمين كلهم أمة واحدة، تكون فيها كلمة الله هي العليا، وكلمة الذين كفروا السفلى، هذه الأمة تتألف فيها اللبنة التي ربيت على الإسلام، عقيدة ومنهجاً وثقافة، ولذلك لا يمكن أن تسعد هذه الأمة إلا إذا اذعنت لشريعة الله تبارك وتعالى.

ج) تمتاز هذه الدعوة أنها من منبع واحد.

قال تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ (2)

إنها قاعدة المصدر الواحد، والمنبع الواحد، ألا وهي قاعدة تلقي الشريعة، إنها تمثل دستور الأمة الإسلامية، حيث أن روح القانون والسلطان مستمد من هذه الشريعة، وهما القرآن والسنة، الأمة كل الأمة مع إمامها، لا تملك أن تخالف هذا الدستور.

.... معنى ذلك أن هذه الأمة لا تستطيع ولا تملك أن تشرع لنفسها ما تشاء. ذلك بأن الشرع والإسلام هو الذي جاء في الدستور، وهو كتاب الله وسنة رسوله، ولن تضل هذه الأمة ما إن تمسكت بهما.

... حقاً انه النظام الفريد الذي لا يماثله نظام عرفته البشرية، إنه النظام بل القانون الذي ينظم حياة البشر. ذلك المنهل الذي نهل منه رسول الله ﷺ وصحابته الكرام، وتابعوهم بإحسان (3).

... هذا النظام وهذا القانون، ليس دعوة إصلاحية أو اجتماعية أو سياسية حزبية، أو قومية، أو دعوة جنس دون جنس، أو لون دون لون، ولا لرجال دون نساء، إنما هي دعوة للإنسانية جميعها، أن تهل من هذا المنهل العذب، ألا وهو امتثال أوامر الله على طريق رسوله الكريم (4).

لذلك نرى أن المنبع واحد وهو أنه من عند الله، مصدر الإسلام، مصدر الدين... وأن الله تبارك وتعالى مُشرِّع أحكام هذا الدين ومناهجه، بوساطة وحيه إلى رسوله الكريم ﷺ، هذا المنهج،

(1) سورة النساء، آية رقم 65.

(2) سورة الحشر، آية رقم 7.

(3) قطب، سيد، في ظلال القرآن، مجلد 8، ص 38، مصدر سبق توثيقه.

(4) المؤتمر العالمي لتوجيه الدعوة وإعداد الدعاة، مناهج الدعوة الإسلامية وسبل تعزيزها بما يحقق أهدافها في عالمنا المعاصر، 24-29/2/1397هـ المنعقد في المملكة العربية السعودية، المدينة المنورة.

المفاضلة فيه على أساس التقوى والعمل الصالح، فهاتان الخصلتان هما ميزان التفاضل بين البشر⁽¹⁾.

د) أنها تدعو إلى الخير والفوز بالجنة والنجاة من النار.

... إنها دعوة تدعو إلى الخير كل الخير في كل الأرض، الخير في الدنيا والآخرة، نعم: تلك الدعوة التي تلفظ كل أناني، وتهذب كل شرير، تجمع بين الخيرين، خيري الدنيا والآخرة. قال تعالى: ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾⁽²⁾.

وحتى يتحقق النجاح لهذه الدعوة لا بد من سلطة، تأمر وتنهي، سلطة تقوم على الدعوة إلى الخير والنهي عن الشر، لذلك لا بد من وجود جماعة، تأمر وتنهي هذا هو مدلول النص القرآني، نعم إنها "دعوة إلى الخير" وفي الوقت نفسه يوجد أمر بالمعروف، ونهي عن المنكر، فالأمر والنهي لا يقومان إلا بسطان، أما الدعوة إلى الخير، فيمكن أن تقوم بغير سلطان.

تلك هما ركيزتا الدعوة إلى الله، أمرٌ بالمعروف ونهيٌ عن المنكر، فلا بد لتحقيق منهج الله في الأرض من إيجاد هاتين الركيزتين، ومنهج الله في الأرض ليس مجرد وعظ وإرشاد وبيان، فهذا شطر. أما الشطر الثاني من منهج الله فهو سلطة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فإذا أرادت الأمة الفلاح، لا بد وأن يتحقق الشرط في هذه الآية وهو: بالدعوة إلى الخير، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر⁽³⁾.

ذلك بأن هذه الطريق هي التي توصل إلى الجنة، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ﴾⁽⁴⁾، بهذا، بيان للناس الخير من الشر، لأن الدعوة إلى الالتزام بالخير هدفها بلوغ الجنة، وتجنب طريق الشر للنجاة من النار. وقد دعا نوح عليه السلام وبذل هذا الجهد على مدار تسعمئة وخمسين عاماً دون كللٍ أو مللٍ، في الليل والنهار، والسر والعلانية، وعذٌّ ووعيدٌ، ترغيب وترهيب⁽⁵⁾.

من هذه المزايَا الأنفة الذكر، نجد ان الدعوة إلى الله مصدرها من الله فهي ربانية ترجع على الله خالق كل شيء، صالحه لكل زمان ومكان، مرتبطة بالعقيدة التي تصحح مسار الناس ببساطتها في الدعوة إلى الله، ووضوح الهدف والغاية، وان كمال الناس يكون في عبوديتهم لله، حيث أنها ثابتة الأهداف والغايات، موافقه للفطرة الإنسانية.

(1) زيدان، عبد الكريم، أصول الدعوة، ص 47، مصدر سبق توثيقه.

(2) سورة آل عمران، آية رقم 104.

(3) قطب، سيد، في ظلال القرآن، مجلد 2، ص 28، مصدر سبق توثيقه.

(4) سورة يونس، آية رقم 25

(5) الأشقر، عمر سليمان، الرسل والرسالات، دار النفائس، الكويت، ط 4، 1989م، ص 45.

المبحث الثاني غاية الدعوة إلى الله

.... لا ريب أن الغاية الأساسية من الدعوة إلى الله هي إخراج الناس من الاختلاف والضيق، إلى سعة الدين وآفاقه الرحبية، الكفيلة بإسعاد البشر في الدنيا والآخرة، وقد التزم رسل الله بالدعوة إلى الله، وتلك هي غاية الدعوة: وقد أكدت النصوص القرآنية أن النجاة كانت للدعاة إلى الله، وللمُعْرِضِينَ البوار والهلاك⁽¹⁾. والدليل النقلي من كتاب الله: -

أ) الفوز بالجنة والنجاة من النار.

قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾⁽²⁾.

وقال تعالى: ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنَجِّ الْمُؤْمِنِينَ ﴾⁽³⁾.

هذان الآيتان توضحان أن الغاية من إرسال الرسل، هي استخلاف المؤمنين، وتعتبر هذه سنة عامة لكل المؤمنين في كل الأرض، حتى قيام الساعة. ولكن هذا الهلاك يُعتبر سنة لما قدمت أيديهم. وكذلك النجاة.

فالغاية من الدعوة هي: النجاة من النار، والفوز في جناتٍ ونهر في مقعد صدقٍ عند مليكٍ مقتدر، وقد أمر إمام الهدى، ورائد البشرية، محمد ﷺ، أمر الناس جميعاً أن يقتدوا به حتى يسعدوا في دنياهم وآخرتهم.

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾⁽⁴⁾.

يعتبر هذا النص بلاغاً للبشرية، إعلاناً بالحق، ودعوة للإيمان والفوز بالجنان.

ب) بيان المفهوم الحقيقي للإسلام.

... إن الله تبارك وتعالى خلق الخلق، وبعث الأنبياء والرسل، وذلك لإيضاح الأصول التي يقوم عليها الإسلام، وحقيقة الإسلام هي: "أن الدين كله لله وحده"، وأنه لا إله سوى الله جل جلاله،

(1) همام، عبد الرحيم سعيد، قواعد الدعوة إلى الله، دار العدوي، ص 17، مصدر سبق توثيقه.

(2) سورة الأعراف، آية رقم 165.

(3) سورة يونس، آية رقم 103.

(4) سورة النساء، آية رقم 170.

الخالق المدبر المتصرف في الكون كله، يتصف بصفات الكمال المطلق، وأن الخلق كلهم بحاجة إلى الخالق، وأنه لا يحق لهذا المخلوق، إذا قضى الله أمراً أن يكون له الخيرة من أمره⁽¹⁾. وقد بين القرآن الكريم أن الغاية الأساسية من بعثة الرسل إلى الناس هي تعريف الناس بالإسلام النقي الذي جاء من عند الله تبارك وتعالى.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾⁽²⁾. وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾⁽³⁾. ذلك بأن بيان المفهوم الحقيقي للإسلام هو أساس دعوة الرسل.

وهذا هو سبب النزاع القائم اليوم بين البشر، فنرى أن الذي يدعو إلى الله لتبيان الإسلام الحق النقي، يعتبر إرهابياً في نظر القوى المهيمنة على العالم⁽⁴⁾.

... أن بيان المفهوم الحقيقي للإسلام يكون بتربية الناس على منهج الشريعة الربانية، وتأديبهم بآدابها، ودعوتهم إلى الدين الحق، بالحكمة والموعظ الحسنة.

قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾⁽⁵⁾.

بعد هذا النص، لا حجة لمحتج، ولا عذر لمعتذر، فمن شاء الهدى والرحمة فليؤمنوا قبل أن يأتي اليوم المعلوم، حيث لا يؤذن لهم فيعتذرون، ولا هم يستعتبون، لان الكتاب قد بين للناس كل شيء بوساطة هؤلاء السفراء، ألا وهم رسل الله الكرام⁽⁶⁾.

ج) إحياء فقه الكتاب والسنة.

كيف تحيا الأمة؟ لابد من إرسال الأنبياء والرسل لغاية عظيمة، هذه الغاية هي: تجديد الأمة الإسلامية لفهمها عن طريق هؤلاء الدعاة، والدعوة إلى الله.

قال تعالى: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾⁽⁷⁾.

(1) المؤتمر العالمي لتوجيه الدعوة وإعداد الدعاة، إعداد الدعاة، المملكة العربية السعودية، المدينة المنورة، 24-29/2/1397م.

(2) سورة النحل، آية رقم 36 .

(3) سورة الأنبياء، آية رقم 25.

(4) العامودي، وليد محمد حسن، منهج القرآن الكريم في عرض قضايا العقيدة، آفاق، غزة، فلسطين، ص 44.

(5) سورة النحل، آية رقم 89.

(6) قطب، سيد، في ظلال القرآن، مجلد 5، ص 271، مصدر سبق توثيقه.

(7) سورة النساء، آية رقم 59.

إنه الدستور الذي ينهل منه الدعاة إلى الله ففهمهم، ليضعوه لقمة سائغة أمام الناس. فيؤصدوا الباب أمام الفتاوى الباطلة التي لا سند لها في كتاب الله وسنة رسوله، ويقوموا بسد الطريق أمام هؤلاء الأذعياء الذين يقولون على الله غير الحق، بغير علم، فيشوهون الإسلام، ويُبغضونه في قلوب الناس، فهم بِعَمَلِهِمْ هذا يصدّون عن دخول غير المسلمين الإسلام.

وإحياء فقه الكتاب والسنة يعتبر إحياءاً للمنهج الرباني، وهذه غاية عظيمة يقوم بها الدعاة إلى الله بدعوة الناس إلى هذا المنهج، "وتجديد هذا الفقه، يعتبر القاعدة التي ينطلق منها نظام الإسلام، الذي لا يكون المؤمن مؤمناً إلا به، ولا يكون المسلم مسلماً إلا به، إنها الرد على المسائل التي تستجد، حيث سمي هذا الفقه فقه النوازل، وهو ما يُستجد من مسائل جديدة في هذا العصر⁽¹⁾ تلك هي المسائل الخلافية ردوها إلى الكتاب والسنة واحتكموا فيها، بحيث يكون الحكم لله ورسوله، وما يستنبط من كتاب الله وسنة رسوله، لأنها وحدها هي النصوص المعصومة، فهي وحدها الحجة بلا نزاع، ففي إحياء هذا الفقه، يصح الفهم، وتقومُ الطريق، وترجع الروح لهذه الأمة⁽²⁾، أن ما يُحتم على الدعاة إحياء فقه الكتاب والسنة، ما يعيشه العالم من قلق، يُمسي في ترقب، ويُصبح في خوف، فالعالم اليوم بحاجة إلى بعثة جديدة لدعاة صادقين، أمثال الصحابة والتابعين⁽³⁾.

د) إيجاد المسلم الحقيقي

.... ومن غاية الدعوة إلى الله تكوين المسلم الحقيقي، صاحب العقيدة الصحيحة، تكوين الفرد المسلم، ذكرنا كان أم أنثى، بحيث توجد الشخصية المسلمة القوية الصادقة المؤمنة، فكرا وعقيدة وفلسفة حياة، فلا نقدم قولاً على قول الله، فيكون هذا الداعية الحقيقي لبنة صلبة غايتها تكوين أمة صلبة.

.... فلا بد من إيجاد الثقافة، بحيث تكون جواً عاماً ملائماً. هذه الثقافة من يصنعها؟ إنهم الدعاة إلى الله. الذين يبثون هذه الروح في حياة الناس، هذه الروح هي كتاب الله.

قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾⁽⁴⁾.

وكذلك....أوحينا....

(1) قطب، سيد، في ظلال القرآن، مجلد 2، ص 412، مصدر سيق توثيقه.

(2) القرضاوي، يوسف، ظاهرة الغلو في التكفير، مكتبة وهبة، ط 2، 1985م، ص 25.

(3) القرضاوي، يوسف، رسالة الأزهر، مكتبة وهبة، ط 1، 1984م، ص 19.

(4) سورة الشورى، آية رقم 52.

وكما أوحينا إلى غيرك يا محمد من الرسل، أوحينا إليك هذا القرآن الذي هو روح الأمة، تحيا به الأنفس من موت الجهل، حيث أن القرآن ربيع القلوب، كما أن الغيث ربيع الأرض، فهو النور والهدى والرشاد، والضياء الذي لا اعوجاج فيه⁽¹⁾.

وقوله تعالى: "... روحا من أمرنا".... الروح من أمر الله.... هذه الروح هي كتاب الله، الكتاب يعني القرآن، وأن هذا القرآن للأمة بمثابة الروح في الجسد، كيف إذا انتزعت الروح من الجسد؟ يصبح الجسد جثة، وكذلك الأمة إذا انتزع منها كتاب الله، فإنها تصبح جثة هامدة. فكيف نوجد المسلم الحقيقي؟ بحيث تكون الروح في المسلم الحقيقي، فيصبح المسلم أسداً حقيقياً، وليس صورة أسد، وليست الصورة كالحقيقة، فمثلها كمثل الحي والميت⁽²⁾.

فالمسلم الحقيقي: الذي يتعلم الإيمان، ثم يتعلم القرآن، فيزداد بالقران إيماناً:

... كيف نوجد المسلم الحقيقي؟

المسلم الحقيقي: لا معنى عنده للخوف على الحياة، ما دامت الأعمار بيد الله.

لقاله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّوجَّلاً﴾⁽³⁾.

المسلم الحقيقي: يفر من قدر الله إلى قدر الله، ولا يصبح للخوف عنده معنى.

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ آلِهِمْ وَفَضَّلَهُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَخَرَجَهُمْ مِنَ الْيَمِينِ وَرَضُوا لَهُمُ اللَّهُ وَرَضَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ اللَّهُ الَّذِي يُؤْتِي الْمَالَ حَيْثُ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾⁽⁴⁾.

المسلم الحقيقي لا يخاف على رزقه ولقمة عيشه.

قال تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾⁽⁵⁾.

المسلم الحقيقي: يؤمن أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطاك لم يكن ليصيبك.

قال تعالى: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾⁽⁶⁾.

المسلم الحقيقي: يعلم أن الكرامة عند الله بالتقوى، فيتقي الله، قال تعالى: ﴿إِنْ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ اتَّقَاكُمْ﴾⁽⁷⁾.

(1) الصابوني، محمد علي، صفوة التفاسير، مجلد 3، مصدر سيق توثيقه.

(2) قطب، سيد، في ظلال القرآن، مجلد 7، ص 308، مصدر سيق توثيقه.

(3) سورة آل عمران، آية رقم 145.

(4) سورة آل عمران، آية رقم 173 - 174.

(5) سورة هود، آية رقم 6.

(6) سورة الأنعام، آية رقم 17.

(7) سورة الحجرات، آية رقم 13.

المسلم الحقيقي: يعلم أن عشرين صابرين يغلبون مئتين:
قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا
مِائَتِينَ ﴾⁽¹⁾.

ومن غاية الدعوة إلى الله، أن يحقق المسلم العبودية لله وحده. فالعبودية أشرف وصف يوصف به العبد، ولا تتحقق العبودية لله إلا إذا تحرر الإنسان من عبودية السيطرة، وعبودية الخوف والاضطراب، وعبودية الحسب والنسب، والجاه، والمال، والهوى، والشهوة، وأصبح عبداً لله وحده، حيث هذه هي روح الإسلام الحقيقية، هذا كله يؤدي إلى تحرير النفس، وفي تحريرها انطلاقاً كبرى إلى القيادة السياسية والتمكين في الأرض⁽²⁾، فالمسلم الحقيقي لا يجد راحته وأمنه وطمأنينته، إلا في ظل مجتمع مسلم، يحكم بشرع الله، ويُعَظَّمُ حُرُمَاتِهِ ويحمي شعائره.

(1) سورة الأنفال، آية رقم 65.

(2) سابق، سيد، دعوة الإسلام، مصدر سبق توثيقه، ص 106.

الباب الثاني

تعريف بأولي العزم من الرسل ويتضمن فصلين:

الفصل الأول: من هم أولو العزم

الفصل الثاني: لماذا سمّوا أولي العزم من الرسل

الفصل الأول

من أولو العزم من الرسل؟

لقد ورد أسماء أولي العزم من الرسل وهم خمسة في موضعين من كتاب الله تبارك وتعالى، هؤلاء الأنبياء هم:

1- نوح عليه السلام:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾⁽¹⁾.

2- إبراهيم عليه السلام:

﴿وَإِذْ كُرِّ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾⁽²⁾.

3- موسى عليه السلام:

﴿وَإِذْ كُرِّ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾⁽³⁾.

4- عيسى عليه السلام:

﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ﴾⁽⁴⁾.

5- محمد عليه السلام:

﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾⁽⁵⁾.

(أ) الدليل النقلى على أولي العزم من الرسل.

كان في موضعين، الموضع الأول في سورة الأحزاب.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾⁽⁶⁾.

أما الموضع الثاني الذي ذُكر فيه اسم هؤلاء الأنبياء الخمسة فكان في سورة الشورى.

(1) سورة العنكبوت، آية رقم 14.

(2) سورة مريم، آية رقم 41.

(3) سورة مريم، آية رقم 51.

(4) سورة المائدة، آية رقم 75.

(5) سورة الأحزاب، آية رقم 40.

(6) سورة الأحزاب، آية رقم 7.

قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾ (1).

أما في سورة الأنعام فقد ورد ذكر أربعة من أولي العزم من الرسل، وقد ورد معهم أنبياء آخرون. قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ، وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ، وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ، وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيُوسُفَ وَأُولَئِكَ فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (2).

كما ورد ذكر أولي العزم من الرسل في سورة النساء بحيث ذكر سبحانه وتعالى معهم بعضاً من أنبيائه. قال تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا، وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ (3).

هؤلاء هم أولو العزم من الرسل، حيث كانت شركتهم في كلمة التوحيد "لا إله إلا الله"، أي أنه لا معبود في الوجود بحق إلا الله، ويكون ذلك باليقين الصادق بأن الله تبارك وتعالى بيده الضر والنفع والفوز والفلاح، وإن الكائنات لا تضر ولا تنفع ولا تتحرك إلا بأمر الله، وأنه سبحانه وتعالى لا يحتاج إلى شيء وهو الصمد. وأنه الرب الإله المعبود، المتفرد بكل كمال سبحانه، وأنه الخالق البارئ المصور الرازق المعطي المانع المدبر لجميع الأمور، فلا غنى لأحد عنه طرفة عين. (4) لقد كان عنوان شركاتهم: ﴿أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ (5)، والمراد هنا الإسلام وهو توحيد الله، ولم يُرد بها الشرائع لأن الشرائع، مختلفة ومتفاوتة، هؤلاء الأنبياء أخذ الله تبارك وتعالى منهم ميثاقاً غليظاً، و"الميثاق" أن يُصدق بعضهم بعضاً. حيث أنهم سلموا وجوههم لله، فكانوا مسلمين موحدين.

(1) سورة الشورى، آية رقم 13.

(2) سورة الأنعام، آية رقم 83 - 86.

(3) سورة النساء، آية رقم 163 - 164.

(4) محمد بن عبد الوهاب، كتاب التوحيد، الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض،

المملكة العربية السعودية، شركة الطباعة السعودية، 1984م، ص8.

(5) سورة الشورى، آية رقم 13.

فقد أخذ الله تبارك وتعالى عليهم الميثاق وهم في ظهر آدم، والميثاق كما قال ابن عباس رضي الله عنه هو العهد⁽¹⁾.

... لقد وردت صيغة الجمع في فعل الأمر ﴿أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾⁽²⁾ ، فكان الأمر موجه إلى أولي العزم من الرسل، تلك الرسل الذين اجتباهم الله⁽³⁾ تبارك وتعالى فاختر من يشاء من عباده لحمل هذه الأمانة، قال تعالى: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾⁽⁴⁾.

وقال تعالى: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾⁽⁵⁾.
... هذا المشروع الذي سار عليه النبيون من لدن نوح إلى محمد عليهم السلام، الذي اشترك فيه هؤلاء الأعلام من رسل الله، وهم أولو العزم من الرسل وهو: " أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه" وهو إقامة دين الإسلام الذي هو توحيد الله وطاعته والإيمان برسله⁽⁶⁾.

(ب) الإيمان بالرسل فرض عين ومن الأدلة النقلية ما يلي:

قال تعالى: ﴿وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾⁽⁷⁾.

وقال تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ، أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ، وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجُورَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾⁽⁸⁾.

... بهذا الشمول كان دين الإسلام، الذي لا يقبل الله من الناس غيره، لأنه يتفق مع وحدانية الله، فأرسله الله للبشر بوساطة رسله الذين حملوا الأمانة للناس، وان كل من يكفر بوحدة الرسل أو وحدة الرسالة فهو كافر، وان وحدة الدين تقتضي وحدة الرسل، الذين جاؤوا بهذا الدين من عند الله، لا

(1) الطبري، بن جرير، جامع البيان عن تأويل إلى القرآن، دار الفكر، بيروت، ج 11، 1988م، ص 125.

(2) سورة الشورى، آية رقم 13.

(3) الشبخلي، بهجت عبد الواحد، بلاغة القرآن الكريم في الإعجاز، مكتبة دنديس، مجلد 9، 2001م، ص 84.

(4) سورة الأنعام، آية رقم 124.

(5) سورة الحج، آية رقم 75.

(6) الزمخشري، أبي القاسم الخوارزمي، الكشاف، ص 463. مصدر سبق توثيقه.

(7) سورة المائدة، آية رقم 12.

(8) سورة النساء، آية رقم 150-152.

من عند أنفسهم، فالرسل كل الرسل موضع اعتقاد عند المسلمين المؤمنين، كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، لا نفرق بين أحد منهم، لأن الله أرسل رسله بمنهج واحد هو موكب الإيمان، حيث أنه موصول، بقيادة نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد، وإخوانهم من الرسل صلوات الله عليهم، فهم حملة الأمانة الكبرى، وورثة هذا الخير، الذي ورثوه لنا، فلم يُورثوا ديناراً ولا درهماً، وإليهم وحدهم انتهى ميراث الحق، ميراث الدين، وليس وراء ما عندهم إلا الباطل والضلال، خاصة وأن الإسلام يتشدد في توحيد العقيدة في الله ورسله، لأن هذا التوحيد هو الأساس اللائق للمنظم الذي يتصوره المؤمن لخالفه ورازقه⁽¹⁾.

إن الذي ينكر رسالة نبي من الأنبياء يعد كافراً، وقد أنكر اليهود رسالة عيسى عليه السلام وكذلك رسالة محمد عليه السلام، أما النصارى فكانوا يقفون عند رسالة عيسى، هذا فضلاً عن تأليهه، وينكرون رسالة محمد عليه السلام. وإن الذي يفرق بين الله ورسله، ويؤمن ببعض الكتاب ويكفر ببعض ويؤمن ببعض الرسل ويكفر ببعض، يعد كافراً بالله ورسله⁽²⁾.

فالإيمان بأن الله اصطفى للناس رسلاً، وأوحى إليهم بشرعه، وعهد إليهم إبلاغه، لقطع حجة الناس يوم القيامة، واجب، حيث ابتدأهم بنوح وختمهم بمحمد ﷺ⁽³⁾. فهم مُسَدِّدون بالوحي، يستمدون نورهم من الله تبارك وتعالى، وهذا النور يقذفه الله في قلب العبد بقدر تضحيتة لدين الله⁽⁴⁾.

ج) وظيفة أولي العزم من الرسل.

... لقد بعث الله الرسل، وأرسلهم بالهدى ودين الحق، ليبلغوا عنه سبحانه، فهم سفراء الله على هذه الأرض، يبشرون المؤمنين، وينذرون العصاة من الخلق، ويعرفون الناس بالدين. فقد بعثهم الله للبلاغ المبين، بالإنذار والتبشير تارة، والترغيب والترهيب أخرى، بحيث يكونون قدوة سالحة، يتأسى بهم الناس، فالناس ينظرون إلى أعمال من يدعونهم إلى الخير، فإن رأوا أنهم يقفون عند حدود ما يدعون إليه: اتبعوهم، وإن رأوا عملهم يخالف قولهم نبذوهم⁽⁵⁾.
... لقد أمرهم الله بأمر كثيرة حيث قال لهم.

قال تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾⁽⁶⁾.

(1) قطب، سيد، في ظلال القرآن، مجلد 2، ص 581، مصدر سبق توثيقه.

(2) أحمد فايز، طريق الدعوة في ظلال القرآن، مؤسسة الرسالة، سورية، ط 1، 1977م، ص 34.

(3) الجزائري، أبو بكر، منهاج المسلم، دار الفكر، ط 8، 1976م، ص 31.

(4) الطبرسي، أبو علي الفضل بن حسن، دار مكتبة الحياة، بيروت، ج 20، 1961م، ص 42.

(5) العدوي، محمد أحمد، دعوة الرسل إلى الله تعالى، "فقط".

(6) سورة الأعراف، آية رقم 199.

هكذا رباهم الله، وهذبهم بأحسن أنواع التهذيب، فجمعوا في وظيفتهم بين العمل الصالح، والسيره العطرة، وان يدعو إلى الله على بصيرة، ليكونوا متمتعين بالصلاة في الحق، قال تعالى: ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾⁽¹⁾، وقال تعالى: ﴿فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾⁽²⁾.

وقال تعالى: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾⁽³⁾.

وقال تعالى: ﴿وَمَا تُرْسِلُ الرُّسُلَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾⁽⁴⁾.

نعم الوظيفة هي: أنهم يبشرون بالجنة من أطاع، وينذرون بالنار من عصى، أرأيت كيف ينتظر الناس الإعلامي لينقل لهم خبراً جديداً، هؤلاء الإعلاميون يعرفون الخبر قبل الناس، هؤلاء الرسل يبشرون الناس، وأن كتاب الله تبارك وتعالى مليء بالبشائر للناس بالجنة، وهم في دار الدنيا، قبل أن يموتوا، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾⁽⁵⁾.

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾⁽⁶⁾.

والعكس صحيح، فمن يعص الله ورسوله فان له جهنم.

قال تعالى: ﴿إِلَّا بَلَاغًا مِنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا﴾⁽⁷⁾.

هذه النتيجة، إما آباء الأباد في بحور الندم، حيث الحسرة التي ما بعدها حسرة، وإما آباء الأباد في جنة طابت وطاب نعيمها، من كل فاكهة بها زوجان، أعدت للذين آمنوا بالله ورسوله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

مما أسلفنا نستنتج، أنه من يعمل بما أمر الله ورسوله، ويجتنب ما نهى عنه الله ورسوله، فإن الله عز وجل يسكنه دار كرامته، في دار الخلد، مع أصحاب المنازل العالية في الآخرة.

لذلك محور الارتكاز، الذي يقرر فريقاً في الجنة وفريقاً في السعير هو الطاعة لله ورسوله، فلا تستغرب من عبد أشعث أغبر فقير لا يؤبه له، إذا رأيته جالساً مع الشهداء الأبرار والأنبياء

(1) سورة الأنفال، آية رقم 42.

(2) سورة النحل، آية رقم 35.

(3) سورة النساء، آية رقم 165.

(4) سورة الأنعام، آية رقم 48.

(5) سورة النساء، آية رقم 69.

(6) سورة النساء، آية رقم 13.

(7) سورة الجن، آية رقم 23.

الأطهار. هذا العبد الفقير بطاعته لله ورسوله يجلس مع حمزة بن عبد المطلب سيد الشهداء. قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾ (1). فيجلس مع إبراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم السلام. والباب مفتوح لمن يريد الجلوس معهم، المفتاح هو: الطاعة في المكره والمنشط وعلى "أثرة" معنى يؤثرن على أنفسهم أي عمل يطلب منهم. حقاً إنها لمسة تستجيش كل قلب، فيه ذرة من خير، وفيه بذرة من صلاح إنها الصحبة الكريمة في جوار الله الكريم (2).

بهذا تنتهي وظيفة الأنبياء عند حد البلاغ، وأنهم بشر اختارهم سبحانه وتعالى، حدد لهم وظيفتهم، فلا ولم ولن يتجاوزوا هذه الوظيفة، وما أجملها! أن يكون العبد موظفاً عند الله! يحمل أمانة هذا الدين، فنحن المسلمون، نواب عن الأنبياء فوظيفتنا هي وظيفتهم (3). ... إنها مهمة التذكير بأوامر الله عز وجل، وان الداعية إلى الله، لا يقصد من دعوة الناس لدين الله إلا الخير والصلاح، وهذا يوجب عليه أن يكون ناصحاً فصيحاً عالماً بدين الله (4). وهذه الآيات غيض من فيض من بعض وظائفهم.

قال تعالى: ﴿أَبْلَغُكُمْ رَسُولَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (5).

وقال تعالى: ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ (6).

وقال تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾ (7).

وقال تعالى: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾ (8).

قال تعالى: ﴿يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ﴾ (9).

وقال تعالى: ﴿فَهَلْ عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ (10).

(1) سورة النساء، آية رقم 69.

(2) قطب سيد، في ظلال القرآن، ص 430، مصدر سبق توثيقه.

(3) احمد فايز، طريق الدعوة في ظلال القرآن، ج2، ص 46. مصدر سبق توثيقه.

(4) كحيل، عبد الوهاب، الجوانب الاعلامية في حياة الرسول، ص 97. مصدر سبق توثيقه.

(5) سورة الأعراف، آية رقم 62.

(6) سورة العنكبوت، آية رقم 18.

(7) سورة الغاشية، آية رقم 21.

(8) سورة الرعد، آية رقم 40.

(9) سورة الأعراف، آية رقم 79.

(10) سورة النحل، آية رقم 35.

... هذا البلاغ يجب أن يكون واضحاً، يبين لمن يسمعه ما يراد به، ويفهم ما به من معنى، حيث يؤدي ما أمره الله، بأمانة وإخلاص، ونصح ومحبة، بمعنى: أنتم معشر الأنبياء هذه وظيفتكم... فإن اسلموا فقد اهدتوا، إذ ليس لكم أكثر من هذا، وانتم أيها الدعاة إلى الله، هؤلاء الرسل هم قدوتكم، فليكونوا لكم أسوة حسنة⁽¹⁾.

(د) ملامح تذكر عن أولي العزم. وهذا ترتيب زمني.

- 1- نوح عليه السلام: كان المؤمنون معه قلة، فلم يحارب، فأهلك الله الكثرة بالطوفان.
 - 2- إبراهيم عليه السلام: لم يؤمن به إلا زوجه ولو ط فقط، أخرج من بلده إلى العراق وسكن بعد ذلك فلسطين، لم يؤمر بقتال، فلم يحارب.
 - 3- موسى عليه السلام: قومه جبنوا، وذلوا فلم يقاتلوا، قالوا له اذهب أنت وربك فقاتلا أنا هنا هنا قاعدون.
 - 4- عيسى عليه السلام: لم يؤمن برسالته إلا قليل، أحاط به أعداؤه، من كل مكان، ألّب اليهود عليه ملوك الرومان والوثنيين وتآمروا على قتله، لم يقاتل الكفار، ورفع الله إلى السماء.
 - 5- محمد عليه السلام: خصّه الله تبارك وتعالى بخير الأمم وحماية وشجاعة ووفاء بالعهد فأمن به الناس وعزروه ونصروه وحاربوا معه أعداءه، جاهد ولم يتخلف عنه إلا القليل، من المنافقين حيث فضحهم الله في سورة التوبة.⁽²⁾
- لقد اعدّ الله تبارك وتعالى أولي العزم من الرسل إعداداً دقيقاً، وزودهم بصفات لا تتوافر في غيرهم، فكان سبحانه وتعالى يختار كل نبي من قومه، جاؤوا أقوامهم بالمعجزات والحجج القاطعات⁽³⁾.

وهذا نداء من الله تبارك وتعالى: يا معشر الأنبياء؟

قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾⁽⁴⁾.

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾⁽⁵⁾.

بمعنى: يا معشر الأنبياء دينكم واحد، ملتكم واحدة، وهي دين الإسلام، وأنا ربكم فخافون وعبدون واتقون، خافوا عذابي وعقابي.

(1) الطبري، ابن جرير، جامع البيان من تأويل القرآن، مجلد 11، ص 138، مصدر سبق توثيقه.

(2) عبد الرحمن عبد الخالق، فصول في السياسية الشرعية في الدعوة إلى الله، جمعية إحياء التراث.

(3) الصابوني، صفوة التفسير، ج 1، ص 462، مصدر سبق توثيقه.

(4) سورة الأنبياء، آية رقم 92.

(5) سورة المؤمنون، آية رقم 52.

ومن الملامح المشتركة التي تذكر في حقهم مع أنهم أنبياء اختارهم الله، فإذا زاغوا عن الطريق التي رسمها لهم فإنه يستبدلهم. والدليل قال تعالى في حقهم: ﴿هُدَىٰ اللَّهُ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾⁽¹⁾.

وقال تعالى: ﴿فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ﴾⁽²⁾. فإذا كان هذا الوعيد للرسل الكرام عند ربهم، فما ظن الناس كل الناس بأنفسهم؟ إنها تحمل في طياتها الوعد والوعيد والتهديد والتحذير، بأن الله عالم بما تعملون بحيث لا تخفى عليه خافية من أمركم⁽³⁾.

تلك هي من الملامح المشتركة لدى جميع الأنبياء، بحيث لو أحدهم نكث، فإن الله له بالمرصاد. قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ، لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ، ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾⁽⁴⁾. تعني الآية قبل كل شيء، أن محمداً صادق، ولكن لو تقوّل محمداً ۞ بعض الشيء الذي لم يوح إليه من ربه، لقتله الله، ضلال فيها الرهبة والهول، حركة عنيفة هائلة، مروعة، ذلك أمر لا يحتمل تسامحاً ولا مجاملة فيه لأحد، كائناً ما كان، ولو كان محمد ۞ ، حتى ولو كانوا من أولي العزم، فإن الله يوكل قوماً ليسوا بها بكافرين⁽⁵⁾، ومن الملامح المشتركة بين أولي العزم من الرسل: إنهم صادقون، بارون، راشدون، كرام، بررة، أتقياء، أمناء، هداة، مهتدون، بالبراهين الظاهرة، والآيات الباهرة، من ربهم مؤيدون، بلغوا جميع ما أرسلهم الله به، لم يكتموا، ولم يغيروا، ولم يزيدوا، ولم ينقصوا حرفاً واحداً، كلهم كانوا على الحق المبين⁽⁶⁾. والدليل على ذلك، ما قاله سبحانه وتعالى على لسان خاتم أولي العزم ۞ : ﴿إِنْ أَتَيْعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾⁽⁷⁾.

هـ) أساليب أولي العزم من الرسل في الدعوة إلى الله

... لم ينتظر أولو العزم من الرسل الناس حتى يأتوا إليهم إلى بيوتهم، من أجل أن يتعلموا الدين، فالداعية إلى الله لا يجلس في بيته ينتظر الناس حتى يأتوا إليه، أو في مسجده أو في حقله أو

(1) سورة الأنعام، آية رقم 88.

(2) سورة الأنعام، آية رقم 89.

(3) الصابوني، محمد علي، صفوة التقاسير، ج1، ص 311، مصدر سبق توثيقه.

(4) سورة الحاقة ، آية رقم 44-46 .

(5) قطب، سيد، في ضلال القرآن، مجلد 8، ص 268، مصدر سبق توثيقه.

(6) الحكيمي، حافظ احمد ، أعلام السنة المنشورة، شركة النور، منشورات الدعوة السلفية، رقم 35، ص 48.

(7) سورة يس، آية رقم 15.

متجره، لأن الأيام تُبقيه وحيداً يتعلم في بيته فن الثاوب، فقد كانوا يجوبون الأرجاء، ويهاجرون في سبيل المحافظة على دينهم⁽¹⁾.

(1) الراشد، محمد أحمد، المنطق، ص 127. مصدر سبق توثيقه.

ومن أساليبهم:

أ- أسلوب الجدل بالحسنى والقرآن مليء بالأمثلة، حيث قالوا لنوح عليه السلام

قال تعالى: ﴿ قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا ﴾ (1).

ب- أسلوب التذكير بنعم الله عز وجل:

قال تعالى: ﴿ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ، وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ، وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ، وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴾ (2).

ت- أسلوب الاستثارة قال تعالى: ﴿ سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ (3).

ث- أسلوب الشفقة والرحمة فنجد أن كل رسول قال لقومه:

قال تعالى: ﴿ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ (4).

ج- (أسلوب التدرج في الدعوة :

كان محمد ﷺ يصلي في الكعبة، في جوف الليل والأصنام من حوله، فلم يحرك ساكناً، حيث رأى أن العلاج هو الصبر والاستمرار في الدعوة إلى الله، مع تجميع الأنصار، وتعبئة القوى، فلما أتى اليوم الموعود، كان ﷺ، يشير إليها بقضيب قائلاً: جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً، فينكفى على وجهه حيث لا رجعة، إنه منهج الحكمة والأناة والقوة (5).

ومن أساليبهم في الدعوة أنهم كانوا ربانيين، بمعنى: علماء فقهاء في مخاطبة الناس، لله مطيعون. قال تعالى: ﴿ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ ﴾ (6).

فإن العبد عبد، والله واحد هو الرب، فلا يمكن لأحد أن يدعي لنفسه صفة الألوهية التي تقتضي من الناس العبودية.

والانتساب إلى الرب معناه: أن يكون الإنسان عبداً لله متوجهاً إليه وحده، يأخذ من كتاب الله منهج حياته ويخلص له، وهذا مقتضى العلم، تلك هي حقيقة الرسالات (7).

(1) سورة هود، آية رقم 32.

(2) سورة الشعراء، آية رقم 78 - 81.

(3) سورة الحديد، آية رقم 21.

(4) سورة الشعراء، آية رقم 135.

(5) جمعة، أمين عبد العزيز، الدعوة قواعد وأصول، ص 136. مصدر سبق توثيقه.

(6) سورة آل عمران، آية رقم 79.

(7) قطب، سيد، في ظلال القرآن، مجلد 1، ص 621، مصدر سبق توثيقه.

قال تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾⁽¹⁾ هذه الآية تعني: انتبهوا أيها الناس، إياكم أن تُشركوا أحداً في عبادتكم لله، حيث يجب أن يكون عملكم صافياً من الشرك والشوائب والرياء. لقد جاءت أساليبهم التربوية - صلوات الله عليهم - على أنماطٍ عديدة، نذكر منها: الحوار، والموعظة، والقُدوة، والقصة، والمثل، والترغيب، والترهيب⁽²⁾. ونكتفي بمثالٍ واحدٍ على كل نمطٍ من هذه الأساليب:

(أ) **الحوار**: والغاية منه استلهاً للرأي السديد من أهل الرأي، ويأتي الحوار أحياناً للتعليم والتربية، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " أتدرون من المفلس؟ قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع. قال: المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي وقد شتم هذا وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا فيعطي هذا من حسناته وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار".⁽³⁾

(ب) **الموعظة**: وهي أسلوب تعليمي تربوي دعوي، أمر الله تبارك وتعالى أنبياءه باستخدامها مع المؤمن والكافر. قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾⁽⁴⁾. فقد كان ﷺ مؤثراً في وعظه، مثال ذلك: عن العرياض بن سارية رضي الله عنه، قال: وعظنا رسول الله يوماً بعد الصلاة الغداة موعظة بليغة، ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب، فقال رجل: إن هذه موعظة مودع، فماذا تعهد إلينا يا رسول الله؟ قال: أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد حبشي، فمن يعش منكم يرَ اختلافاً كثيراً، فإياكم ومحدثات الأمور فإنها ضلالة فمن أدرك ذلك منكم فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ⁽⁵⁾.

(ج) **القُدوة**: فقد كان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يتصفون بالحلم، فقد عفوا عن ظلمهم، وكظموا غيظهم، واحسنوا إلى الذين اعتدوا عليهم، رغبة في إنقاذهم من النار ودخولهم في الإسلام. وقد

(1) سورة الزمر، آية رقم 3.

(2) أبو فارس، محمد عبد القادر، فقه السيرة، القدس المفتوحة، ط 1، 1995م، ص 117.

(3) البخاري، احمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار الكتب العلمية، كتاب الزكاة، ج3، ص 438.

(4) سورة النحل، آية رقم 125.

(5) الترمذي، أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة، الجامع الصحيح، حديث صحيح حسن باب الأخذ بالسنة واجتتاب البدع، كتاب الفلم، ج5، رقم الحديث 2676، ص 42.

أمر الله تبارك وتعالى رسولنا محمد ﷺ بالإقتداء بمن قبله من الأنبياء. قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ (1).

(د) القصة: قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (2).
وقال تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يُفَصِّحُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي﴾ (3).
فالقصة نأخذ منها العبرة والتفكير، وقد تأتي لخدمة العقيدة واليقين.
قال تعالى: ﴿فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (4) فما أجمل القصص الجذابة الشيقة حيث يُحبها الصغار والكبار والعلماء والمتعلمون والتلاميذ.

(هـ) المثل: وما أكثر الأمثال في القرآن الكريم: تلك الأمثال التي استعملها أنبياء الله. قال تعالى:
﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ (5).
وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾ (6).
وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ يَأْذَنُ رَبُّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (7).
وقال تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةٌ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (8).

(1) سورة الأنعام، آية رقم 90.

(2) سورة يوسف، آية رقم 111.

(3) سورة الأنعام، آية رقم 130.

(4) سورة الأعراف، آية رقم 176.

(5) سورة البقرة، آية رقم 26.

(6) سورة الحج، آية رقم 73.

(7) سورة إبراهيم، آية رقم 24 - 25.

(8) سورة التحريم، آية رقم 11.

(و) الترغيب: قال تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ (1).

وقال تعالى: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِنَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ (2). وقال تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾ (3). فمن يعي ويحضر هذه النصوص يجد نفسه تتوق إلى هذه الجنة لكثرة ما يرى من الكرامة عند الله تبارك وتعالى.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: والذي بنفسي بيده، لو ددت أني أقاتل في سبيل الله فأقتل، ثم أحيا فأقتل، ثم أحيا فأقتل، كان أبو هريرة يقول ثلاثاً أشهد بالله (4).

(ز) التهريب: قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُؤَلِّمِهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبرُهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ (5). حيث اعتبر القرآن الكريم التولي يوم الزحف جريمة لا تعدلها جريمة، وأن عقوبتها الخلود في جهنم وساءت منقلباً. فما أحوجنا إلى هذه الأساليب في يومنا هذا، تلك هي الأساليب التي جاء بها أولو العزم من الرسل، التي تستجيش النفوس وتلهب العواطف، لذلك علينا تربية الأجيال على هذه الأساليب النبوية الشريفة، لنزرع الأمل في نفوس الشباب، ونعريفهم على منهج أولي العزم من الرسل الذي هو منهج الله في الأرض.

هذه الأساليب الدعوية التي اتبعتها أولو العزم من الرسل كانت رسالتهم في التربية تتبع من ذاتهم، فما أعظم هذه الوسائل المعنوية التي لا توجد في الأسواق أو البقالات وإنما تجري في عروقهم مجرى الدم، والتي منها وسيلة التربية بالعبادة الخالصة لله في أمور حياتهم، وسيلة التربية بالعقيدة وأنها أعلى ما يملكون، وسيلة التربية بالسيرة الحسنة والأخلاق الفاضلة، فكان الواحد منهم قرآناً يمشي في الطريق.

(1) سورة البقرة، آية رقم 213.

(2) سورة النساء، آية رقم 165.

(3) سورة محمد، آية رقم 15.

(4) ابن مالك، أبو عبد الله بن أنس بن الحارث، موطأ الإمام مالك، باب الجهاد، دار النفائس، بيروت، ط6، رقم

الحديث 990، 1982م، ص 306.

(5) سورة الأنفال، آية رقم 16.

وكذلك التربية بالعقوبة، حيث يسود الأمن والأمان في المجتمع، فلا شفاعة في الحدود، قال تعالى: ﴿الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَىٰ ﴿١﴾﴾، حيث يجب المحافظة على الضروريات الخمس: النفس، والعقل، والجنس، والمال، والدين.

أما التربية بالسياسة والشورى، لتكون تشريعاً للأمة من بعدهم على الرغم أن الله حافظهم ومسددهم بالوحي.

هذه بعضاً من الأساليب والأساليب والوسائل التي استخدمها أولو العزم من الرسل وهم الذين عصمهم الله، كيف يخطئ من كان قدوة في العبادة؟ والتي هي اسم جامع لمعاني الخير، كيف يخطئ من كان قدوة في العقيدة والسيرة والسريرة؟ كيف يخطئ من كان له بطانة صالحة من أهل الحل والعقد والعلم؟ أيها الدعاة إلى الله! اقرأوا سيرة أولي العزم من الرسل، عضواً عليها بالنواجذ، فما أوجنا إلى هذه الرؤى وهذا المنهج الذي رسمه الله جل جلاله، والذي لا نضل ما إن تمسكنا به أبداً، بذلك تصلح أحوال الناس في الدنيا والآخرة، ولا يتم الدين إلا بالدنيا، فالدين أصل والسلطان حارس، وما لا أصل له فمهدوم، وما لا حارس له فضائع⁽²⁾.

هذا غيض من فيض من أساليب الدعوة التي دعا بها أنبياء اله فكانوا خير أم الارض، فلتنهل من سيرتهم بهذه الاساليب التي تستجيش النفوس وتلهب العواطف فتسعد البلاد والعباد.

(1) سورة البقرة، آية رقم 178.

(2) الغزالي، محمد بن محمد بن محمد بن احمد، إحياء علوم الدين، مجلد 4، ص 135، مصدر سبق توثيقه.

الفصل الثاني

لماذا سمّوا بهذا الاسم؟

(أ) صدق العزيمة...

لقد آمن أولو العزم من الرسل، أن لذة العمل الطيب قد تذهب آنياً، ولكن تبقى حلاوته وثوابه، وان لذة المعصية أيضاً تذهب ولكن... تبقى الحشرات والزفرات، فكان الأنبياء وخاصة أولي العزم من الرسل يشعرون أن الثمرة أينعت وحن قطافها في آخر الطريق والدليل من كتاب الله، قال تعالى:

﴿ ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنَجِّ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (1).

هذه الآية أعطت أولي العزم من الرسل شحنة إيمانية بأن النفق الذي يسرون فيه ينتهي إلى نور يضيء ولو لم تمسه نار، هذه النتيجة التي لا مرء فيها وهي: فوز رسل الله في نهاية الطريق، جعلها الله سنة في الأرض، ليست للرسول فحسب، وإنما لكل مؤمن بالله ورسوله.

... هذا النص جعل الداعية المؤمن يوقن ان العاقبة له ، لذلك مهما حصل للداعية من ابتلاء فإنه يزيد ثباتاً. لهذا تأصلت العزيمة عندهم لأن الذي وعدهم هو الله القائل: ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (2).

هذا الفهم يعني: مهما لاقى الداعية من معاناة في حياته الدنيا، فلا يضره شيء، لأنه يعلم أن الآخرة هي النعيم المقيم الذي لا ينفذ، لأجل ذلك كانت عزائم أولي العزم من الرسل عالية، بل وفي ازدياد. قال الشاعر:

على قدرِ أهلِ العزمِ تأتي العزائمُ وتأتي على قدرِ الكرامِ الكرائمُ
ويكبرُ في عينِ الصغيرِ صغيرُها وتصغرُ في عينِ العظيمِ العظائمُ

فلم يغضب أولو العزم من الرسل، ولم يصخبوا، بل صبروا وغفروا باختيارهم، بعد ان تعرضوا لمواقف عصبية وجاهدوا في الله حق جهاده، فكان جهادهم أقوى جهاد في الكون كله في سيرتهم وسريرتهم. (3)

(1) سورة يونس، آية رقم 103.

(2) سورة الروم، آية رقم 47.

(3) عمرو خالد، قراءة جديدة ورؤية جديدة في قصص الانبياء، دار المعرفة، بيروت، لبنان. ط(1)، 2006م،

ب) الدليل النقلى على صبرهم وعزمهم فكانوا اسم على مسمى " أولى العزم "

فمن عهد نوح - عليه السلام - وحتى محمد ﷺ خاتم النبيين، كانت دعوتهم إلى الوجدانية وعدم الإشراف بالله، وعبادة الله وحده قد غرست فى قلوبهم الثقة واليقين الذى أكسبهم الصبر فقابلوا الإساءة بالشفقة على أقوامهم.

1. فى نوح عليه السلام:

قال تعالى: ﴿ أَنْ لَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمِ أَلِيمٍ ﴾⁽¹⁾ ، فقد دعا قومه تسعمائة وخمسون سنة ليلاً نهاراً لا يمل ولا يكل.

2. وفى إبراهيم عليه السلام، قال تعالى: ﴿ يَا أَبَتِ لَّا تُعْبُدِ الشَّيْطَانَ ﴾⁽²⁾ ، يتودد لأبيه المشرك.

3. وفى موسى عليه السلام، قال تعالى: ﴿ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى ﴾⁽³⁾ ، يتودد إلى الطغاة، إنه فرعون زمانه.

4. وفى عيسى عليه السلام، قال تعالى: ﴿ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ﴾⁽⁴⁾ ، بعد أن رموه بالأباطيل.

5. وفى محمد عليه السلام، قال تعالى: ﴿ وَمَا لَكُمْ لَّا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾⁽⁵⁾ .

بعد أن رموه بالسحر والشعر والكهانة، أغروا السفهاء ليضربوه وأموه، فلم يدع عليهم⁽⁶⁾ . لهذا نجد أن هؤلاء الأنبياء الخمسة، سموا بأولى العزم لشدة عزمهم، علموا أن الصبر والصدق فيه الخير لهم، فارتفعت عزيمتهم، يقول كعب بن زهير فى مدح أصحاب العزائم:

ليسوا مفاريح إن نالت رماحهم قوماً وليسوا مجازيعاً إذا نيلوا⁽⁷⁾

... لقد علم أولو العزم من الرسل أن النصر حليفهم، حتى بعد اليأس وانقطاع الأمل عند الناس من نصرة الله لهم، فإن صبرهم يزداد ازدياداً طردياً كلما ازدادت المحن، وهذا فضل الله يؤتيه من

(1) سورة هود، آية رقم 26..

(2) سورة مريم، آية رقم 44.

(3) سورة النازعات، آية رقم 18.

(4) سورة المائدة، آية رقم 117.

(5) سورة الحديد، آية رقم 8.

(6) شلبي، محمود ، حياة رسول الله، مكتبة القاهرة، ط 2، 1970م، ص 14.

(7) ابن قم الجوزية، مدارج السالكين.

يشاء. قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَرَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ (1).

(ج) وقيل في سبب التسمية أن هؤلاء الأنبياء الخمسة هم من "مشاهير الرسل الكرام" (2) وهم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم السلام. فقد طلب الله تبارك وتعالى من محمد ﷺ، أن يصير كما صير إخوانه من الأنبياء. قال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ﴾ (3) يطلب الله جل جلاله من محمد ﷺ: أن ينضم إلى هؤلاء الأنبياء الذين صبروا، حتى يكون من أولي العزم من الرسل. أما سيد قطب رحمه الله فيقول: (إن سبب التسمية أنهم أصحاب أكبر الرسالات قبل الرسالة الأخيرة) (4).

وبالرغم مما احتمله محمد ﷺ من قومه من الأذى والمعاناة وهو مجرد من الوالي والمحامي، ومن أسباب الأرض... الأب، والأم، والجد، والعم، والزوجة، حيث انه مجرد من كل ظهير، أقاربه أشد الناس عداوة له، وفي بعض المرات رجموه بالحجارة حتى دميت قدماه الطاهرتان، هذا كله جعله يتوجه إلى ربه يبتهل بخشوع ويقول: " اللهم اغفر لقومي".

ومع هذا يبقى محمد ﷺ بحاجة إلى توجيه من ربه، قال تعالى: الآية... ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ (5).

إنها الطريق الشاقة، طريق الدعوة إلى الله، أنها طريق مريرة، نحتاج إلى نفس كنفس محمد ﷺ. وثبات، وصلابة، وصفاء، وشفافية، انه التوجيه الرباني، وعدم الاستعجال على خصوم الدعوة المتعنتين، انه التشجيع من الله، تشجيع، وتصبير، وتأسى بأولي العزم، وتسليية، ثم تظمين. بأن مصير هؤلاء المتعنتين، ما هو إلا الهلاك بين عشية أو ضحاها، ألا وهي ساعة من نهار، بلاغ فهل يُهلك إلا القوم الفاسقون؟ (6)

(1) سورة يوسف، آية رقم 110.

(2) الصابوني، محمد علي، صفوة التفاسير، مجلد 3، ص 202، مصدر سبق توثيقه.

(3) سورة الاحقاف، آية رقم 35.

(4) قطب، سيد، في ظلال القرآن، مجلد 7، ص 434، مصدر سبق توثيقه.

(5) سورة الأحقاف، آية رقم 35.

(6) قطب، سيد، في ظلال القرآن، مجلد 7، ص 434، مصدر سبق توثيقه.

وجاء في سبب التسمية بأولي العزم أنهم أصحاب الشرائع والكتب والحروب الفاصلة على التوحيد، وأنهم قد عزموا الصبر على أقوامهم بالرغم من تكذيبهم لهم، إلا أنهم صبروا ولم ينتقموا، وعفوا، فزادهم الله عزاً، رضوا فلم يسخطوا، أحسنوا فقابلوا بالإساءة بالإحسان، أودوا فزادهم الأذى حلاوة في القلب، فكان ضبط النفس عندهم من الوحي الذي هو من عند الله⁽¹⁾.

وفي أحد الأقوال أن سبب التسمية بأولي العزم، كان كل نبي بعد نوح عليه السلام على شريعة نوح، وكل نبي بعد إبراهيم كان على شريعة إبراهيم، وكل نبي بعد موسى، كان على شريعة موسى، وكل نبي بعد عيسى، كان على شريعة عيسى عليهم السلام، بقي الحال حتى مجيء محمد ﷺ، فعند مجيئه نسخت هذه الشرائع جميعها، إلا ما وافق شرعنا من شرائع أولي العزم من الرسل⁽²⁾.

وهناك من يقول في سبب التسمية: أنهم لا يبترهم الفرح، ولا يُضعف عزيمتهم الأذى.

قال الشاعر:

لا تغلبُ السراءُ منهم شُكرهم كلا ولا الضراءُ صبرَ الصابِرِ⁽³⁾

وعندما نزلت الآية: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾⁽⁴⁾. شحنت الرسول بجرعاتٍ من الصبر، حتى انه ﷺ، قال: ما لي وللدنيا؟ إخواني من أولي العزم من الرسل، صبروا على ما هو أشد مما أنا فيه، فمضوا على حالهم، وقدموا إلى ربهم، فأكرم مآبهم، وأجزل ثوابهم، فإني استحي إن ترفهت في معيشتي أن يُقصر بي غداً دونهم، فقالت عائشة رضي الله عنها، أفديك بنفسي يا رسول الله، لو أن الدنيا كلها عندي يا رسول الله لأضعها بين يديك⁽⁵⁾.

... لقد كان العزم فطرة في خليقتهم، وهذا الفضل من الله الوهاب، فإذا كان يوسف عليه السلام، لم يُجمع عليه أهل العلم، أنه من أولي العزم من الرسل، وهو الذي صبر صبراً جميلاً وصفح صفحاً جميلاً.

... لقد كان الصبر السبب الرئيس في تسمية أولي العزم من الرسل بهذا الاسم، فقد حبسوا أنفسهم عن الجزع والسخط، وجوارحهم عن التشويش، وألسنتهم عن الشكوى. ولنا وقفة مع نبي الله يوسف عليه السلام، كيف كان صبره؟ لقد صبر يوسف عليه السلام عن مطاوعة امرأة العزيز على شأنها.

(1) الاتنلسي، ابن عطية، المحرر الوجيز، مجلد 3، ص180. مصدر سيق توثيقه.

(2) www.ala sfoor.com

(3) www.al albait.com

(4) سورة الاحقاف، آية رقم 35.

(5) الخضري بك، محمد، نور اليقين في سيرة سيد المرسلين، دار الأيتام الإسلامية، القدس، ط 19، 1966م،

وصبر على إلقاء أخوته له في الحب. وصبر علي بيعه ﴿وَشَرُّهُ بِئْمَنٍ بِخَسٍ﴾⁽¹⁾. وصبر على تفريق إخوته له عن أبيه.

وعندما دعت امرأة العزيز كان شاباً والشباب له دواعيه، غلقت أبواب القصور، كان عزباً ليس له ما يُعوضه ويبرد شهوته، كان غريباً والغريب لا يستحي مما يستحي منه الأقارب، لا أحد يعرفه، وهذا داع. كان عبداً مملوكاً، والمملوك ليس كالحر في وازعه. وكانت المرأة من أجمل النساء، جمال يذهب العقول، وهذا داع. وكانت المرأة ذات منصب، فهي سيدة من طبقة أرستقراطية⁽²⁾. كان الرقيب زوجها غائب، وهذا داع، وهي التي تدعوه إلى نفسها. كانت تهدده بالسجن والصغار. فلا شك أن الصبر هو الصعب اللذيذ، والحلاوة التي يدوم مذاقها، أنه السعادة الأبدية، مع هذا، لم يرق إلى مرتبة نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم السلام⁽³⁾.

فكيف كان صبر أولي العزم من الرسل؟؟؟ صلوات الله عليهم أجمعين. فهذا يوسف عليه السلام، الذي صبر وصبر وصبر، صاحب العزيمة الراسخة!! فإذا كان هذا صبره عليه السلام....!!! فكيف كان صبر أولي العزم من الرسل؟ الذين كانوا اظهر الناس وأشرفهم، اصطفاهم عز وجل واختارهم وأحبهم ، فكانوا أشد الناس بلاءً ، فضربوا للعالمين أروع الأمثلة في الصبر على البلاء ، والتضحية للدين بالروح والبدن، فكان الدين عندهم أعلى من أرواحهم وأولادهم وأزواجهم وأموالهم.

هكذا كانت عزميتهم وصلابتهم في دينهم وعقيدتهم، فاختارهم سبحانه وتعالى فَسَمَّوْا بهذا الاسم.⁽⁴⁾

(1) سورة يوسف، آية رقم 20.

(2) ارستقراطية: كلمة يونانية تعني طبقة الأشراف من القوم. لسان العرب ، مصدر سبق توثيقه.

(3) الجوزيه، ابن قيم، مدارج السالكين، ص 353. مصدر سبق توثيقه.

(4) حسان، محمد، خطب الشيخ في الابتلاء، دار ابن رجب ، المنصورة، ط(1)، ج1، 2005م، ص252.

الباب الثالث

ملاحح المنهج الدعوي لأولي العزم من الرسل
ويتضمن خمسة فصول

- الفصل الأول: منهج نوح عليه السلام في الدعوة إلى الله
- الفصل الثاني: منهج إبراهيم عليه السلام في الدعوة إلى الله
- الفصل الثالث: منهج موسى عليه السلام في الدعوة إلى الله
- الفصل الرابع: منهج عيسى عليه السلام في الدعوة إلى الله
- الفصل الخامس: منهج محمد عليه السلام في الدعوة إلى الله

الفصل الأول

منهج نوح عليه السلام في الدعوة إلى الله

... إن الحديث عن منهج نوح عليه السلام في الدعوة إلى الله، لا يعني أن هذا منهج نوح عليه السلام فقط، إنما لكل مسلم، حيث يتوجب على كل مسلم أن يكون داعياً للإسلام، تلك الدعوة، وذلك المنهج، الذي لا يخطئ لأنه من عند الله، فالداعية ليس بحائر، ولا ينقاد لأي فكرٍ وضعي، بل يأخذ منهجه، وثقافته ورؤياه من الفكر الموحى إليه من كتاب الله عز وجل.

... هذه الدعوة واجبة على كل مسلم، كل في موقعه، بسيرته بسريرته، باستطاعته، بتخصصه، أينما وجد، وحيثما حل⁽¹⁾.

... لقد أعد الله تبارك وتعالى أنبياءه وعلمهم كيفية إيلاج الرسالة الإلهية بالأسلوب والوسيلة المناسبة لكل قوم من الأقسام، فهذا نوح عليه السلام أول أولي العزم من الرسل بعثه الله تبارك وتعالى إلى قومه... فقال له:

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ (25) أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ (26) فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا تَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا تَرَاكَ أَتَّبِعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادْنَا بِأَدْيِ الرَّأْيِ وَمَا تَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ تَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ (27) قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَأَتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعَمَّيْتُ عَلَيْكُمْ أَلَنْزِمُكُمْهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ (28) وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ (29) وَيَا قَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (30) وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبِ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ (31) قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْشَرْتَ جَدَلَنَا فَاتَّنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (32) قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ (33) وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (34)﴾⁽²⁾.

(أ) الوظيفة الرئيسية لأول الأنبياء من أولي العزم:

- 1- إني لكم نذيرٌ مبين ، وهدفها الإيمان بالرسول.
- 2- ألا تعبدوا إلا الله، بمعنى الإيمان بالله.

(1) كحيل، عبد الوهاب، الجوانب الاعلامية في حياة الرسول، دار الهداية، جامعة أسيوط، ص 17.

(2) سورة هود، آية رقم 25-34.

3- إني أخاف عليكم عذاب يوم أليم، وتعني الإيمان بالبعث والجزاء. ... هذه الوظيفة، جعلت نبي الله يتفرغ لها، حيث أن دعوته كانت ليلاً ونهاراً، سراً وجهراً، هذه الوظيفة تتطلب صبراً جميلاً، حتى أنه كان ينتظر من يخرج من أصلاب الملحدين الكفرة، من يستجيب لدعوته، بالرغم أن الآباء كانوا يوصون أبناءهم ويحذرونهم من نوح عليه السلام. وفي ظل عبادة الأوثان، وإن البشرية في ذلك الوقت الذي أرسل فيه نوح، لا بد لها من قائد يردها إلى الصواب، فبعث الله تبارك وتعالى نوحاً إلى قومه، فكانت دعوته... الاعتراف بوحداية الله، وإن لا يعبدوا معه صنماً ولا تمثالاً ولا طاغوتاً، وقد تلخصت دعوته عليه السلام في هذه الآيات. قال تعالى: ﴿ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾⁽¹⁾. قال تعالى: ﴿ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ، أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴾⁽²⁾. قال تعالى: ﴿ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾⁽³⁾. قال تعالى: ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ، أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا ﴾⁽⁴⁾. قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾⁽⁵⁾. وعند بداية بعثته عليه السلام بين حقيقة دعوته. فكان المشوار طويلاً حيث لبث في قومه يدعوهم ألف سنة إلا خمسين عاماً....

يا لضخامة الجهد وقلة الحصيلة! تسعمائة وخمسون عاماً وهو يدعو إلى الله ويقول للناس، أيها الناس أعبدوا رب الناس، لا يمل، ولا يكل! ألف سنة إلا خمسين عاماً... وهو يدعو إلى عبادة الله وحده، يدعو إلى الكفر بالطواغيت جميعها، ألف سنة إلا خمسين عاماً، وهو يدعو إلى الإيمان بالله. ألف سنة إلا خمسين عاماً... وهو يدعو إلى نذب عبادة الأصنام، حيث أنها لا تملك دفع الضر عن نفسها. وما أكثر الأصنام في هذه الأيام! الأصنام التي تعبد من دون الله...؟؟ ألف سنة إلا خمسين عاماً... وهو يدعو إلى تقوى الله عز وجل. ألف سنة إلا خمسين عاماً... وهو يدعو إلى الاستغفار في الليل والنهار. ألف سنة إلا خمسين عاماً... وهو يدعو إلى الطاعات واجتناب المعاصي...⁽⁶⁾

(1) سورة الأعراف، آية رقم 59.

(2) سورة هود، آية رقم 25-26.

(3) سورة المؤمنون، آية رقم 23.

(4) سورة نوح، آية رقم 2-3.

(5) سورة الأنبياء، آية رقم 25.

(6) عبد القادر هاشم، الأعلام في القرآن الكريم، مؤسسة فاوي بريس، لندن، 1985م، ص 249.

لقد مثلت هذه الفترة وهي تسعمائة وخمسون سنة، دورة من دورات العلاج الدائم الثابت المتكرر للبشرية، وشوطاً من أشواط المعركة الخالدة بين الخير والشر، والهدى والضلال، والحق والباطل⁽¹⁾.

إن الذي يقرأ سورة نوح عليه السلام، التي سميت باسمه، يجد أن الله جل وعلا أرسل شيخ المرسلين نوح عليه السلام إلى سكان جزيرة العرب، يقول الله... يا نوح... خَوِّفْ قَوْمَكَ، وَحَذِّرْهُمْ مِنْ عَذَابِ الْيَمِّ، أَلَا وَهُوَ عَذَابُ الطُّوفَانِ فِي الدُّنْيَا، وَعَذَابُ النَّارِ فِي الْآخِرَةِ⁽²⁾. نبي الله نوح عليه السلام يخاف..... يخاف على قومه من عذاب أليم.

ألف سنة إلا خمسين عاماً حيث استعمل شتى الوسائل والأساليب، بالخطابة ورفع الصوت، بالنهار، بالليل، بالترغيب تارة والترهيب أخرى... هذه الأساليب لم تجد نفعاً... وبعد ألف سنة إلا خمسين عاماً...

قال لقومه: قال تعالى:

﴿ يَا قَوْمِ إِنْ كَانَ كَبْرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذْكَرِي بآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴾⁽³⁾.

يا قوم... ببساطة لا تترددوا في قتلي، لا تتحيروا، ولا يكن أمركم عليكم غمة.. اقضوا إلي، انجزوا ما اتفقتم عليه من أمر قتلي، ولا تمهلوني، ماذا قال...!!

هل لجأ إلى تقطيع الرؤوس؟ هل لجأ إلى تكفيرهم...؟ لا.... بل قال:

سوف ألبأ إلى الله العزيز الحميد الذي لن يضيعني.... فما أوجنا إلى هذا المنهج في هذه الأيام! هنا يتحدى نوح قومه... بقوله لهم.. إياكم أن يلتبس الأمر عليكم، أو أن يُشكَّل عليكم، نفذوا قضاءكم نحوي، أسرعوا إلي بكيدكم ولا تؤخروني⁽⁴⁾.

معنى أنه أسلم الأمر إلى صاحب الأمر، بعد أن يؤس منهم، بعد أن صدوا عن الحق، وعتوا واستكبروا استكباراً، أسلم الأمر إلى الذي لا يخاف عقابها⁽⁵⁾. ألف سنة إلا خمسين عاماً...

وهو يدعو لا يطلب من قومه أجراً أو مالاً، لا ينتظر مكافأة، أو ثواباً، إلا من الله وحده.

(1) قطب، سيد، في ظلال القرآن، ج 8، ص 290، مصدر سبق توثيقة.

(2) الصابوني، محمد علي، صفوة التفاسير، مجلد 3، ص 450، مصدر سبق توثيقة.

(3) سورة يونس، آية رقم 71.

(4) الاندلسي، أبي محمد عبد الحق بن غالب ابن عطية، دار الفكر العربي القاهرة، مجلد 9، ط 2، ص 187.

(5) حسن صديق بشير، التفسير التطبيقي منهج علمي لدراسة النص القرآني، الدار السودانية للكتب، الخرطوم،

قال تعالى: ﴿ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِن أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (1).

ألف سنة إلا خمسين عاماً...

وهو يتلطف في أمر الرسالة مع الفقير قبل الغني وهو يقول:

قال تعالى: " يا قوم... يا قوم... يا قوم انه التلطف في الخطاب الذي أوج ما نكون إليه في هذه الأيام، إنها صيغة التحبب، وهو يحاول هدايتهم للخير الذي هداه الله إليه (2)، دون أن يهدد أو يتوعد.

هنا تبرز مهمة إرسال الرسل إلى البشرية، بهذا يترتب على الدعاة إلى الله الإصرار في إخلاصهم لإنقاذ البشرية مما آلت إليه أحوالها، من فساد وظلم وقتل وفتك وقهر، في هذا الجو نوح عليه السلام يعرض كشف حساب إلى ربه بعد تسعمائة وخمسين عاماً من العناء المضني مع قومه المعاندين.... هيا بنا مع نوح عليه السلام، وهو يتوجه إلى ربه....

قال تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ، فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا ، وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ، ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ، ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ، فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ، يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ، وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ، مَا لَكُمْ لِمَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ، وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ، أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طَبَاقًا ، وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ، وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ، ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ، وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطًا ، لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴾ (3).

إن من يقرأ هذا النص القرآني يعرف منهج الدعاة إلى الله. حيث أن دعوتهم ومواعظهم ومنهجهم والفلسفة التي تعلموها من ربهم هي ثقافتهم هذه الثقافة هي: التذكير بنعم الله، كما عبرت عنها الآية الكريمة: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴾ (4).

إن من يستمع لهذا النص لا يملك إلا أن يُحبه، وهذا هو الهدف من الموعدة، فإذا حصلت المحبة، فإن المستمع يجد نفسه معك قلباً وقالياً (5).

(1) سورة يونس، آية رقم 72.

(2) قطب، سيد، في ظلال القرآن، ج 5، ص 439، مصدر سبق توثيقه.

(3) سورة نوح، آية رقم 5-20.

(4) سورة فاطر، آية رقم 3.

(5) قطب، سيد، في ظلال القرآن، ص 672، مصدر سبق توثيقه.

... فتذكير الناس بنعم الله... تجعل الآخر يقبلك، فإذا حصلت الخطوة الأولى وهي القبول... معنى ذلك أن الآخر موافق على الاستماع إليك، وإذا استمع إليك، معنى ذلك بدأ الحوار، وبالحوار والجدال بالحسنى تمتلك قلبه، وإذا امتلكت قلبه، تأخذه إلى حيثما تريد.

هذه النعمة لا تتطلب إلا التذكير بها، خاصة وأنها واضحة الرؤية، يحسون بها يلمسونها، ولكنهم ينسون فلا يذكرون الله إلا قليلاً، هذه النعم بحيث لو أخذنا أصغر نعمة وجدت لأجل الإنسان، وحاول البشر أن يحصوا خيرها لما استطاعوا، يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (1). مع التذكير بأن أكبر نعمة أقر بها أولوا العزم من الرسل، وجميع أنبياء الله هي نعمة الإسلام، والتي اكتملت بخاتم الأنبياء والمرسلين، محمد رسول الله ﷺ.

... فإذا أدرك الناس نعمة الله عليهم، لا شك أن قلوبهم قد تلين، هذا التذكير... وهذه المواعظ وهذه الدعوة لا بد لها من جهد، هذا الجهد، اختار الله له نوحاً لهداية البشرية، ثم اختار الأنبياء من بعده تترى، ثم اختار دعائه من خلقه ليسيروا على الخط الواضح الذي رسمه الرسل. قال تعالى:

﴿يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ (2). وقال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ (3).

تُرى ما الحكمة المنشودة من ذلك؟ إنها إقرار الإيمان في الأرض أنها توحيد الله، التي معناها، اتصال هذه الحياة الأرضية بالحياة الأبدية، واتصال الفناء بالبقاء، ولأجل هذه الغاية سيرفح الله العذاب الشامل عن الأمة (4).

... وإلا ستمضي سنة الله في البشرية... وهي....

قال تعالى: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (5). هذه سنة الله... قال تعالى: ﴿اسْتَكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّةَ الْأُولِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ، أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ، وَلَوْ يُوَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا﴾ (6).

(1) سورة النحل، آية رقم 18.

(2) سورة الشورى، آية رقم 13.

(3) سورة القصص، آية رقم 68.

(4) قطب، سيد، في ظلال القرآن، مجلد 8، ص 294، مصدر سبق توثيقة.

(5) سورة العنكبوت آية رقم 40.

(6) سورة فاطر، آية رقم 43- 45.

وقال تعالى: ﴿مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا﴾ (1).

من لهؤلاء الغافلين؟

من لهؤلاء الذين يقتربون الخطايا؟

من لهؤلاء الذين يعملون السيئات؟

من لهؤلاء المدبرين عن رحمة الله؟

إنهم رسل الله ... الذين أنزل الله معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط.

(ب) صبره عليه السلام:

لقد أعطى نوح عليه السلام للدعاة إلى الله، درساً عظيماً وهو: قمة الصبر... نعم قدم عليه الصلاة والسلام كشف حسابيه عند ربه، بعد ألف سنة إلا خمسين عاماً، قضاها في صبره على قومه.

فكان إذا عرض عنه قومه في دعوته العلنية، عاد يبلغهم الدعوة بصورة سرية، وكان صبوراً رحيماً بهم، خائفاً عليهم من عذاب أليم.

... فهل يتعظ دعاة اليوم بهذا المنهج؟

الذين سرعان ما يستولي اليأس على نفوسهم فيسيئوا الظن بأقوامهم ويتسرعوا في إصدار الأحكام الظالمة عليهم، وينهزموا أمام أية صدمة يتعرضون لها.

هل يتعظ بذلك الدعاة إلى الله، الذين يقدسون ذواتهم، ولا يقبلون من إخوانهم نقداً أو نصحاً⁽²⁾....

إنه الصبر... الصبر على الناس بمختلف طبقاتهم، أصحاب الجاه، والمال، والسلطان،

والمترفين، كما جرت سنة الله مع أنبيائه جميعاً. يقف نوح أمام هؤلاء النخبة والأشراف كالطود

الشامخ أمام الأكابر من الزراع والصناع ورؤوس الأموال، والتي ما زال لهذه الطغمة امتداد واسع

في عصرنا، الذي يسمى عصر التقدم والمدنية!!

مع أن هذه المقاييس لا تساوي شيئاً عند الله تبارك وتعالى حيث قال: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ

أَتْقَاهُمْ﴾ (3).

ومع هذا فقد صبر نوح عليه السلام، علماً بأن قومه يعلمون صدقة قبل الرسالة، وأنه أمين، وأنه لا

يجرؤ أحد على الطعن فيه وفي استقامته، علماً بأن الروايات تقول: بأن السبب في تسميته نوحاً

كان لكثرة ما ناح على نفسه، وقيل لمراجعتة ربه بشأن ولده كنعان أثناء الطوفان، وقيل لدعوتة

(1) سورة نوح، آية رقم 25.

(2) زين العابدين، محمد سرور بن نايف، منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله، الجزء الأول، دار الأرقم للنشر،

برمنجهان ط3، 1988م، ص 57.

(3) سورة الحجرات، آية رقم 13.

على قومه بالهلاك⁽¹⁾ وأياً كان السبب في تسميته، فإن القاسم المشترك في الروايات هو، كيف يهدي الله البشرية؟ حتى لا يأخذها بسنة عامة.

كان من صبره عليه السلام على قومه عندما كان يدعوهم إلى الله، (يلبون الدعوة) ولكن كيف ولماذا؟! يجتمعون عليه فيعذبونه ويخنفونه حتى يغشى عليه، ويقولون إنه سيموت، فيعيد الله قوته ثانية، فيرجع إليهم ويدعوهم مرة ومرة، فيفعلون مثل ذلك... وهكذا...

لقد صبر نوح عليه السلام فكان هذا لب نهجه في الدعوة إلى الله، صبر على قومه الذين هم في كل زمان ومكان، وفي أيامنا هذه، نجد من يقول: ما قال قوم نوح لنوح عليه السلام.

ماذا قال له قومه؟ قال تعالى: ﴿ مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ ﴾⁽²⁾.

هكذا كان موقفهم، فهم يعرفون أنك على الحق، حتى أنهم لم يشكوا يوماً في صدق رسالتك، وعلى الرغم من هذا، فهم يرفضون التصديق، يرفضون الدخول في هذا الدين الجديد، لأنهم يعتبرون دعوة الأنبياء خطراً على نفوذهم.

وهذه سنة الله فما أنتم فاعلون أيها الدعاة في هذه الأيام؟⁽³⁾، التي بعدت فيها الشقة بين الدعاة إلى الله والحكام، لا سيما في سياسة الحكم، وسياسة المال، فالحكام يناقضون الإسلام في حكمهم، وبعد استيلاء الغرب على بلاد المسلمين، فقد وجد الدعاة إلى الله أن عليهم مسؤوليات جسام أمام هذه الهجمة الشرسة، على الإسلام والمسلمين ظلماً وعدواً⁽⁴⁾.

فلا يسعنا إلا أن نقول لكل داعية في الأرض. قال تعالى: ﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبُثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ فَبَلَّغْ فَهَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الْفَاسِقُونَ ﴾⁽⁵⁾.

ج) ابتلاء نوح عليه السلام بأهله.

... هذا النبي الأول من أولي العزم من الرسل، نرى أن الله تبارك وتعالى يبتلي الأنبياء بأقوامهم، والذي يعدُّ أشد أنواع الظلم على النفس...

ولكن نوحاً عليه السلام ابتلي بزوجه، فمن الفطرة، أن الداعية إلى الله أو الرجل أياً كان، إذا عاد إلى بيته يجد الراحة النفسية والطمأنينة والسكن، لأن هذا آية من آيات الله، حيث جعل من النفس أزواجاً، وجعل بين الأزواج مودة ورحمة... فهذا نوح عليه السلام يعود إلى البيت فيجد زوجته

(1) الصابوني، محمد علي، تفسير آيات الأحكام، ص 155. مصدر سبق توثيقه.

(2) سورة المؤمنون، آية رقم 24.

(3) قطب، سيد، في ظلال القرآن، مجلد 3، ص 188، مصدر سبق توثيقه.

(4) الزين، سميح عاطف، عوامل ضعف المسلمين، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط 5، 1978م، ص 56.

(5) سورة الأحقاف، آية رقم 35.

تسخر منه مع الساخرين من قومه، تضيع أسراره لأعدائه، وإذا ما آمن به رجل أخبرت الجبارة المعاندين عنه، فيا لضخامة الابتلاء! هذه زوجه!

... وهكذا ابنه، نرى أن الأب يتلطف مع ابنه... يا بني... يا بني...، وقوله لربه، إن ابني من أهلي... ما كان يعلم أن ابنه كافر لأنه كان يظن الكفر، ويظهر الايمان، وإلا لما طلب من ربه أن لا يغرق ابنه، هنا درس عظيم... إن الله تبارك وتعالى هدد نبيه نوحاً وأنبه، حتى ارتجف نوح ارتجافة العبد المؤمن⁽¹⁾.

قال تعالى: ﴿ قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ﴾⁽²⁾.
وقال تعالى: ﴿ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾⁽³⁾، نوح عليه السلام، يطلب من الله أن يغفر له وأن يرحمه. وإن الدم ليس هو الصلة الحقيقية بين الناس، فالابن هو الابن في العقيدة، لا الدم والجنس واللون والأرض⁽⁴⁾.

حتى ولو كان نبياً مرسلًا، ومن أصحاب الرسالات الكبرى، ومن أولي العزم، فإنه يلاقي من الله تبارك وتعالى، التهديد والوعيد، إذا جانب الحق، وهذا دليل من كتاب الله تبارك وتعالى، قال تعالى: ﴿ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ ﴾⁽⁵⁾.
وهكذا، فإنه سبحانه وتعالى يعاتب محمداً ﷺ.

قال تعالى: ﴿ وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى ، وَهُوَ يَخْشَى ، فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى ، كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴾⁽⁶⁾
... لذا نجد أن مصيبة نوح تعدت زوجته، وامتدت إلى ولده، حيث يأخذ الداعية العبرة منها قبل أن يدع الله يجب أن يكون دعاؤه بما هو جائز، فلا يجوز سؤال ما هو محرم أو مخالف للسنن، إنها سنن الله القطعية، حيث لا يجوز لك يا نوح وأنت من أكابر الأنبياء، ومن أولي العزم، أن تسأل الله أن ينجي ابنك، لأن الكفر فرّق بينكم، وهذا درس لكل داعية.

وهكذا عاتب الله نبيه نوحاً، ولم يأذن لمحمد خاتم الأنبياء أن يستغفر لأمه آمنه، كما عاتبه لأنه كان يستغفر لأبي طالب عمه الذي وقف معه بكل ما يملك من قوة، عمه أبو طالب كان يقول:

والله لن يصلوا إليك بجمعهم حتى أوسد في التراب دفينا⁽⁷⁾.

(1) قطب، سيد، في ظلال القرآن، مجلد 8، ص 177، مصدر سبق توثيقه.

(2) سورة هود، آية رقم 46.

(3) سورة هود، آية رقم 46.

(4) بهجت، أحمد، أنبياء الله، دار الشروق، القاهرة، ط 25، 1999م، ص 62.

(5) سورة الأنعام، آية رقم 89.

(6) سورة عبس، آية رقم 8-11.

(7) زين العابدين، محمد سرور بن نايف، منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله، ص 66. مصدر سبق توثيقه.

إننا نشعر بالخجل بعد آلاف السنين، لأن أوامر الناس اليوم، من التعصب للعشيرة والقبيلة والحمولة والعمومة والأخوة أكثر من أصرة العقيدة، والله تبارك وتعالى يقول:

﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ (1).

(د) ثبات نوح عليه السلام أمام الحرب الإعدامية.

كيف بك أيها الداعية لو قيل لك ما قد قيل لنوح عليه السلام؟ قالوا له...

قال تعالى: ﴿مَا تَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا﴾ (2).

قال تعالى: ﴿مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ﴾ (3).

قال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (4).

وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدَجَرَ﴾ (5).

وقال تعالى: ﴿قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا﴾ (6).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فترَبَّصُوا بِهِ حَتَّى حِينٍ﴾ (7).

وقال تعالى: ﴿قَالُوا لَنْ لَمْ تَنْتَهَ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ﴾ (8).

وقال تعالى: ﴿وَكَلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ﴾ (9).

وقال تعالى: ﴿فَلَمَّ يَرِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا ، وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ

وَاسْتَعْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا﴾ (10).

وقال تعالى: ﴿قَالُوا أَنْتُمْ لَكُمْ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذُلُونَ﴾ (11).

(1) سورة المجادلة، آية رقم 23.

(2) سورة هود، آية رقم 27.

(3) سورة المؤمنون، آية رقم 24.

(4) سورة الأعراف، آية رقم 60.

(5) سورة القمر، آية رقم 9.

(6) سورة هود، آية رقم 32.

(7) سورة المؤمنون، آية رقم 25.

(8) سورة الشعراء، آية رقم 116.

(9) سورة هود، آية رقم 38.

(10) سورة نوح، آية رقم 6-7.

(11) سورة الشعراء، آية رقم 111.

... ما هذا العناد؟ الله أكبر كيف بك أيها الداعية إذا وعظت الناس وبدأوا في وضع الأصابع في الآذان؟

كيف بك أيها الداعية إلى الله، إذا بدأت موعظتك، وبدأ الناس يَسْتُرُونَ وجوههم ورؤوسهم بتيابهم؟
ما أفضع هذا المنظر!! وما أشد هوله!! وما أعظم روعته!!!

.... هكذا قضى الله تبارك وتعالى بهلاك الظالمين، لأنهم استمروا أو الظلم، وأبوا التوبة.

ألف سنة إلا خمسين عاماً من الدعوة إلى الله، وانتهت المحنة، وانهارت عروش، وانهدمت أركان الكفر وقواعده، كل ذلك بلحظات، إنها سنة الله التي تقول للشيء كن... (1).

قال تعالى: ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ ، وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ، وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ ، تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا ﴿(2)﴾

هكذا نرى أن نوحاً عليه السلام دعا إلى الله بالعقل والحكمة والوحي. إنها دعوة إلى توحيد الله، ومحاولة للقضاء على الشرك، وان من واجب الدعاة إلى الله، أن يكرسوا كل طاقاتهم، ويُجندوا كل ما يملكون لتطهير أرض الله من الشرك أولاً.

وليعلم الناس كل الناس في كل الأرض، أن هذا المنهج من عند الله، ولو وُجد منهج أفضل من هذا المنهج لاختاره الله لرسله حتى يبلغوا رسالات ربه.

(1) زين العابدين، محمد سرور نايف ، منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله، ص 72، مصدر سبق توثيقه.

(2) سورة القمر، آية رقم 11 - 14.

الفصل الثاني

منهج إبراهيم عليه السلام في الدعوة إلى الله

... الجد الأكبر لرسول الله محمد ﷺ: وهو إبراهيم بن آزر، ينتهي نسبه إلى سام بن نوح، حيث كانت الفترة بين نوح عليه السلام. وهو أول رسل الله إلى الأرض، وإبراهيم عليه السلام تزيد عن الألف عام.

وقد ورد ذكر إبراهيم عليه السلام في القرآن الكريم في خمس وعشرين سورة، في ثلاث وستين آية، عاش مائة وخمسة وسبعين عاماً، في زمنٍ عصيب، كان الناس في قمة الضلال والشرك. دعا إلى الله على بصيرة، فكان إمام الأتقياء وقُدوة المرسلين، اختاره الله بالخلّة، فهو خليل الرحمن، جاء قومه بأسلوب لا يتوقعونه، بحيث عمل على هدم الجاهلية ليبنى على أنقاضها الإسلام، ومضت سنة الله تبارك وتعالى، حيث دفع الضريبة التي يدفعها الأنبياء، ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين⁽¹⁾.

وستعرض إلى حياة إبراهيم عليه في السلام في أربعة محاور، والدروس والعبر المستفادة من منهجه في الدعوة إلى الله، نقسمها على النحو الآتي:-

المشهد الأول: السمة العامة لدعوة إبراهيم عليه السلام.

المشهد الثاني: قصته مع أبيه.

المشهد الثالث: قصته مع قومه وتحطيم الأصنام.

"دروس وعبر وتوصيات" من منهجه عليه السلام.

1) المشهد الأول: السمة العامة لدعوة إبراهيم عليه السلام

... ما أشبه اليوم بالأمس، فالناس اليوم يبحثون عن منقذ، ينقذهم من هذه الأجواء الآسنة، وعن أرضية خصبية لتطبيق منهج الأنبياء في واقع حياتهم، هذا المنهج، الذي رسمه سبحانه وتعالى للبشرية حتى تسعد في دنياها وآخرها.

... فقد سئم الناس الفساد والهيمنة، فهم يريدون الخلاص من هذا الاستبداد الذي ترسخت جذوره، فأصبحت الأمور تسمى بغير أسمائها، فقد أصبح الذي ينادي بتحرير الأقصى إرهابياً، حتى وصل الناس إلى الجو الذي كان يعيش فيه إبراهيم عليه السلام، من إذلالٍ وقهرٍ وكبت، وأن أكثر الناس يُقرون بأنَّ " ما لله وما لقيصر لقيصر"، وهذا ما يريده الملائمة من القوم. قال تعالى: ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴾⁽²⁾.

(1) الصابوني، محمد علي، النبوة والأنبياء، ص 160. مصدر سبق توثيقه.

(2) سورة غافر، آية رقم 29.

هكذا الطغاة في كل زمان ومكان، لا يسمحون لأحد أن يظن أنهم قد يخطئون، لأن ذلك يعدُّ في نظرهم نقصاً من نفوذهم، بل اعتداءً على سلطتهم، وأن هذا خطرٌ على سلطانهم وهذا هو الاستبداد بعينه، بل الطغيان والجبروت، وتأخذهم العزة بالإثم⁽¹⁾.

... وفرعون إبراهيم هو " النمرود بن كنعان" ذلك الحاكم الطاغية الذي أقام نفسه إلهاً. وقال للناس يجب أن تعبدوني، لأنني أنا أفضل من هذه الأصنام، فالأصنام نعم هي آلهة لكم، ولكني أنا أفضل من هذه الأصنام، لأنني أستطيع دفع الضر عنكم، وأفيض عليكم بالخير، وهذا ما لا تفعله هذه الأصنام التي لا تملك دفع الضر عن نفسها.

في هذا المحيط نشأ إبراهيم... ماذا يفعل...؟

في هذا المحيط الذي نعيش اليوم ماذا نفعل؟

ما أحوجنا إليك اليوم يا إبراهيم! وما أحوجنا إلى هذه السمات.

ما أحوجنا إليك اليوم يا من جعلك الله للناس إماماً!

قال تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾⁽²⁾.

وقال تعالى: ﴿وإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾⁽³⁾.

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ﴾⁽⁴⁾.

والآن مع هذه الرؤى لسيدنا إبراهيم عليه السلام، والثقافة والفلسفة التي بنى فكره عليها، فنرى مشهد الفطرة التي يتجلى فيها قلب إبراهيم، أنها فطرة العقيدة، التي فطر الله الناس عليها، أنها فطرة الإيمان، التي لم يكل الناس إلى عقولهم في الوصول إليها، بل هي رسالات الرسل وخاصة أولي العزم منهم.

... فما أحوجنا إلى إبراهيم عليه السلام الذي كان أمةً بعينه.

قال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾⁽⁵⁾.

ومع تأملاتٍ دعويةٍ إبراهيمية، فقد تحلى بأعلى درجات الفضيلة.

لقد بدأ الدعوة إلى الله بأقرب الناس إليه، لين في الكلام، وحسن في الخلق، فبين عجز المعبودات من غير الله، وعمل على تحقيرها والتقليل من شأنها ثم تدرج في دعوته لقومه، فبين الفساد الاعتقادي الذي يعانون منه، ونهى عن طاعة الشيطان، ثم خاطب قومه بالدليل العقلي ثم انتقل من وسائل الإقناع النظري إلى البرهان العملي. وهذه بعض من السمات العامة لدعوة إبراهيم عليه

(1) قطب، سيد، في ظلال القرآن، مجلد 7، ص 180، مصدر سبق توثيقه.

(2) سورة البقرة، آية رقم 124.

(3) سورة النجم، آية رقم 37.

(4) سورة الأنبياء، آية رقم 51.

(5) سورة النحل، آية رقم 120.

السلام، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزرَ اتَّخِذْ آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ، وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ، فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفَلِينَ ، فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ، فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِعَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ، إِنِّي وَجْهَتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿1﴾ .

إنها قصة الفطرة مع الحق والباطل، قصة العقيدة، إنها صفاء الفطرة وخلوصها للحق، أن يكشف الله لبصيرته عن الأسرار الكامنة في الكون، والدلائل الموحية بالهدى في الوجود⁽²⁾ فما أحوج البشرية إلى النظر في مخلوقات الله!!....

هذه التأملات في الكون، التي يتجلى فيها قلب إبراهيم عليه السلام. إنها قصة العقيدة التي يصعد بها، التي يصرخ بها بين ظهرانيهم، فلا يخشى في الله لومة لائم، إنه المنهاج الذي رسمه عليه السلام ليكون سبيلاً للمؤمنين، ولا يُجامل على حساب العقيدة، فلا الأب يقف أمام الدعوة، ولا الأسرة والعشيرة والقوم، ولكنها... العقيدة...، هذه التأملات نعرضها لتكون أسوة ومثالاً يُحتذى به⁽³⁾.

أين أنتم يا من تعبدون الأشخاص...

قولوا لأبائكم ما قال إبراهيم عليه السلام لأبيه: قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا﴾⁽⁴⁾

قولوا لأقوامكم ما قال إبراهيم لقومه... قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ﴾⁽⁷⁰⁾ ﴿قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَنْظِلُ لَهَا عَافِيَةً﴾⁽⁷¹⁾ ﴿قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمُ إِذْ تَدْعُونَ﴾⁽⁷²⁾ ﴿أَوْ يَفْعَلُونَكُمُ أَوْ يَضُرُّونَ﴾⁽⁷³⁾⁽⁵⁾.

وقال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَافِيُونَ ، قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ ، قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ، قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ ، قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ، وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ

(1) سورة الأنعام، آية رقم 74 - 79.

(2) قطب، سيد، في ظلال القرآن، مجلد 3، ص 291، مصدر سبق توثيقة.

(3) قطب، سيد، في ظلال القرآن، مجلد 3، ص 93، مصدر سبق توثيقة.

(4) سورة مريم، آية 42.

(5) سورة الشعراء، آية رقم 70-73.

بَعْدَ أَنْ تَوَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴿١﴾. هذه النصوص تعني أن كل حركة في الكون تجري بقدر الله أن ما لم يأذن به الله فلا يكون، ولا يكون إلا قدر الله وقضائه، فلا يجوز عبادة غير الله، والاستعانة بغير الله، والخضوع لغير الله، وأن هؤلاء الذين تدعون من دون الله قال فيهم سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ، إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّتُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ (2)
 قولوا ما قال إبراهيم لقومه. قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ (3).

قولوا لأقوامكم... قولوا لأبنائكم ما قال إبراهيم... قال تعالى: ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (4).
 هذا هو الاتجاه الصحيح، الاتجاه الحنيف، الاتجاه الأول والأخير، الاتجاه إلى فاطر السموات والأرض، الاتجاه الذي يجب على الكيان الإنساني أن يحمله في دنياه ليسعد في دنياه وأخراه.

... إن معضلة الأمة اليوم، أنها تحمل القلوب، ولم تعرف من هو المحبوب!
 ... إن معضلة الأنس والجن اليوم، أنهم لم يعرفوا الوظيفة الرئيسية التي خلقوا من أجلها وهي أن المحيا والممات لله رب العالمين لا شريك له. قال تعالى: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا يَشْرِكُونَ، أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَنَلَّهُ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ، أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خَلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِي وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَنَلَّهُ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ، أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَنَلَّهُ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ، أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَنَلَّهُ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ، أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَنَلَّهُ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ، قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ، بَلِ إِذْ أَرَاكَ عَلَيْهِمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ﴾ (5).

... إبراهيم يدعو قومه للتفكير في ملكوت السموات والأرض، في النجوم، في القمر، في الشمس، وأنا أدعو أهل هذا الزمان أن يتفكروا في هذه الحقائق الكونية، خلق السموات والأرض، إنزال

(1) سورة الأنبياء، آية رقم 52-57.

(2) سورة فاطر، آية رقم 13-14.

(3) سورة الأنعام، آية رقم 162 - 163.

(4) سورة البقرة، آية رقم 132.

(5) سورة النمل، آية رقم 59-66.

الماء من السماء، إنبات الحدائق ذات البهجة، الذي جعل الأرض قراراً، والجبال الرواسي، والأنهار، والحاجز بينهما، ومن يجيب المظطر إذا دعاه، ومن يجعلنا خلائف الأرض، يَخلفُ بعضنا بعضاً في مملكة الأرض.... أَلَهُ مع الله... أَلَهُ مع الله قليلاً ما تذكرون، بل هم قوم يعدلون، بل أكثرهم لا يعلمون، تعالى الله عما يشركون، قولوا لهؤلاء الذين يتخذون من دون الله أنداداً، عودوا إلى الله، أين تلجأون؟ مَنْ يُغِيثُكُمْ؟ مَنْ يُحْيِيكُمْ؟ مَنْ يَمِيتُكُمْ؟ مَنْ يَرْزُقُكُمْ...؟⁽¹⁾

إبراهيم عليه السلام، كيف يعبد قومه الأصنام، وهو بين ظهرانيهم؟

وما أكثر الأصنام التي تعبد من دون الله في هذه الأيام!!!

إبراهيم عليه السلام، تشغله قضية العقيدة، إنها همّة الوحيد الذي يُشغلُ باله.

" فلما جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي " وكان قومه يعبدون النجوم.

" فلما رأى القمر بازغاً قال هذا ربي " التجربة تتكرر.

"فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي" التجربة تتكرر فيبراً إبراهيم ممن يشركون. فقال: قال تعالى: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾⁽²⁾. فما أحوج البشرية في هذه الأيام أن تتوجه إلى فاطر السموات والأرض....

... ان معضلة البشرية اليوم أنها لم تعمل بآيات الله، فكما كانت قضية إيمان قوم إبراهيم عليه السلام بالأصنام، قضية غير قابلة للحوار، وهكذا قضية المعاندين والظلمة والكفار والفساق والمستكبرين في الأرض، الذين يتخذون من دون الله أنداداً، تلك الطغمة التي تسارع في إرضاء غير المسلمين يقولون نخاف، ونخشى أن تدور الدائرة علينا، فجعلوا لهم متكأً، حتى إذا حصل لهم أمرٌ من الخوف، يُسارعون فيهم لإنقاذهم، هؤلاء لا شك أن عاقبتهم في فشل ذريع، هؤلاء الذين رباهم الاستعمار وصنعهم على عينه، وجعل منهم أبطالاً منقذين وقادة، وسلمهم زمام الأمور، قبل أن يرحل عن بلادنا، فكانوا أسوأ خلف لأسوأ سلف، وقد شهدنا فشل الأحزاب، والاشتراكية، والرأسمالية، والقومية، وسائر دعاة العلمانية، وأصحاب العقائد المستوردة الدخيلة، شهدنا فشلهم، وتكشفت، مخازيهم لأولي الأبصار⁽³⁾.

لقد كان الهدف الأسمى الذي استطاع إبراهيم عليه السلام الوصول إليه، التبرؤ من الشرك، والكفر بالأصنام، وإيداء العداوة والبغضاء، حتى يؤمنوا بالله وحده، وان الطريق الموصل إلى مرضاة الله تبارك وتعالى، هي السير على منهج الأنبياء.

(1) قطب، سيد، في ظلال القرآن، مجلد 6، ص 295، مصدر سبق توثيقه.

(2) سورة الأنعام، آية رقم 79.

(3) زين العابدين، محمد سرور بن نايف، منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله، ج 2، مصدر سبق توثيقه.

... كيف يحاجج إبراهيم قومه؟ لقد انتهج طريق الاستدراج.... ليصل إلى الهدف. قال تعالى:

﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾⁽¹⁾.

لا شك أنها مهارة، استدراج لإقامة الحجة عليهم، ثم اتبع أسلوب اللين، في سرد منهجه⁽²⁾.

هكذا يتوجه إلى الله... الذي يحيي ويميت، لأن الإحياء والإماتة، مظهر من مظاهر قدرة الله، حيث ما كان باختيار أحد أن يختار الساعة واليوم الذي يولد فيه، وكذلك اليوم والساعة، التي فيها يموت.

إبراهيم عليه السلام يذهب إلى النمرود ويدخل عليه، فيسأله النمرود: من ربك يا إبراهيم؟ هل لك ربٌ غيري؟

إبراهيم: "ربي الذي يحيي ويميت".

النمرود: أنني أستطيع أن أفعل ما يفعله إلهك يا إبراهيم.

إبراهيم: كيف؟

النمرود: انتظر قليلاً، وقال للجلاد أنتني برجلين، فأمر بضرب عنق أحدهما فمات، وأمر بإطلاق سراح الرجل الآخر، فقال لإبراهيم: هذا أحببته وهذا أمتة.

هكذا اعدم إنساناً فأماتته، وعفى عن الآخر فأحياه⁽³⁾.

ولكن إبراهيم عليه السلام عندما رأى حماقة النمرود، آتاه بدليل آخر أشد إفحاماً، وهو: أن يُطلع الشمس يوماً واحداً فقط من المغرب، ولكن النمرود بُهت، ﴿فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾⁽⁴⁾ وأخرس الفاجر بالحجة القاطعة، حيث وجم عن الكلام، وهكذا "فالحق ابلج والباطل لجلج".

إن الذي يقرأ القرآن الكريم يجد فيه الجواب الكافي، حيث قال تعالى: ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾⁽⁵⁾. وقال تعالى: ﴿وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾⁽⁶⁾، جاهدكم بالقرآن جهاداً بالغاً.

هكذا نجد أن إبراهيم تحدى النمرود في القضية نفسها، وهي قضية الخلق، ولكن التحدي كان في الشمس، وليس في الإنسان. ولكن... هيهات هيهات... أن يخلقوا بشراً، حتى ولا ذبابة...

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاستَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْأَلْهُمْ الذُّبَابُ شَيْئًا لَأَسْتَفْتُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾⁽⁷⁾.

(1) سورة الأنعام، آية رقم 79.

(2) العدوي، محمد أحمد، دعوة الرسل إلى الله، دار المعرفة، بيروت، ط 1، 1998م، ص 174.

(3) الصابوني، محمد علي، النبوة والأنبياء، ص 174. مصدر سبق توثيقه.

(4) سورة البقرة، آية رقم 258.

(5) سورة الأنعام، آية رقم 38.

(6) سورة الفرقان، آية رقم 52.

(7) سورة الحج، آية رقم 73.

نداء إلى الناس أجمعين ... يا أيها الناس... إن الذين تستعينون بهم من دون الله، وتستعينون بقوتهم، وتسارعون فيهم، وتستنصرون بهم من دون الله، وتطلبون منهم النصر والجاه، هؤلاء لا يملكون استنقاذ شيء سلبه منهم الذباب، وقد اختار الله تبارك وتعالى الذباب، وهو ضعيف حقير، إلا أنه يحمل أخطر الأمراض، ويسلب أغلى النفوس، فيحمل ميكروب السل والتيفؤئيد والدوزنطاريا، والرمد، وهو الضعيف الحقير⁽¹⁾.

فالذباب، والعنكبوت، والبعوض، يضرب الله تبارك وتعالى مثلاً بها، إلى هؤلاء وآلهتهم المدعاة، لم يستطيعوا أن يخلقوها وهي صغيرة، إذ أن العبرة ليست في الحجم والشكل، فالمعجزة في البعوضة هي نفسها في الفيل والجمل، إنها معجزة الحياة، معجزة السر الذي لا يعلمه إلا الله.

2) المشهد الثاني: قصته مع أبيه

... القصة في القرآن تتكرر لتكون أسوة ومثلاً، حيث ذُكرت قصة إبراهيم في خمس وعشرين سورة من القرآن الكريم، وقد ذكر القرآن أوصاف إبراهيم عليه السلام، ومن ذلك: قال تعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾⁽²⁾. وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَّهَا أَيَّاهُ فَلَمَّا بَيَّنَّ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾⁽³⁾. وقال تعالى: ﴿إِذْ جَاءَ رَبُّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾⁽⁴⁾. وقال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ﴾⁽⁵⁾.

هذه النصوص تشير إلى الأوصاف التي وصفها بها سبحانه وتعالى، لذلك من البديهي أن يكون إبراهيم عليه السلام، مثلاً للولد البار لوالده، حيث أنه كان يخاطب والده بأدب ووقار، وقد حاوره بألطف العبارات، هكذا دعا إبراهيم أباه بالحكمة والموعظة الحسنة، إلا أن والده أصر على العناد والشرك والضلال، فقد كان يعبد الأصنام، وأكثر من ذلك، أن صنعتها كانت النحت، ينحت الأصنام ويبيعها، وهذا من شر الأمور... عقيدة... مورد رزق له، ومحط أمله وغاية سعيه⁽⁶⁾.

... لكن إبراهيم عندما علم إصرار أبيه على الشرك، قطع صلته به، وهذا درس بليغ لأهل العقيدة ليقتدوا به، هكذا تبرأ إبراهيم من أبيه، وكذلك نوح تبرأ من ابنه، لأن رابطة الدين فوق رابطة

(1) قطب، سيد، في ظلال القرآن، مجلد3، ص 629، مصدر سبق توثيقه

(2) سورة مريم، آية رقم 41.

(3) سورة التوبة، آية رقم 114.

(4) سورة الصافات، آية رقم 84.

(5) سورة هود، آية رقم 75.

(6) زين العابدين، محمد سرور بن نايف، منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله، ج 1، ص 93. مصدر سبق توثيقه.

النسب، وهذه هي المثل العليا الكاملة في دعوة أولي العزم من الرسل، وهذا أكبر برهان على صدق إبراهيم عليه السلام حيث جاهر أباه بالعداء وتبرأ منه⁽¹⁾.

(أ) لنشاهد كيف كان الحوار بين إبراهيم وأبيه

قال تعالى: ﴿وَأذْكَرُ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صَدِيقًا نَبِيًّا ، إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ، يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ، يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ، يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ، قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَنْ لَمْ تَنْتَه لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ، قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ، وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴿2﴾

من هذه النصوص، نتوجه إلى الأبناء، أبناء المسلمين في أرجاء الأرض قاطبة أن يتحاوروا مع آبائهم بمثل هذا اللطف.

كيف يخاطب الابن أباه؟ وكيف يحاوره؟ وكيف يتحجب إليه؟

ها هي النصوص القرآنية أمامنا، إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب.

" إذ قال لأبيه يا أبت "

" يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئاً "

" يا أبت أني قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني أهدك صراطاً سويّاً "

" يا أبت إنني أخاف أن يمسه عذاب من الرحمن "

وفي هذه النصوص، أمر من الله تبارك وتعالى، أن يذكر إبراهيم عليه السلام " واذكر "

واذكر يا محمد في الكتاب إبراهيم، الذي كان صديقاً.

يا أبت... ألفاظ تعتبر من أوثق الروابط وأقواها، يريد بذلك تبليغ أبيه رسالة ربه، بأسلوب رقيق

موجب للحنان⁽³⁾.

فإذا أرادت أي دعوة أن تنتصر، لا بد لحملتها بأن يناسوا، بنوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد،

عليهم أفضل الصلاة والسلام. فالداعية يبدأ بأهله أولاً.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا ﴿4﴾

(1) الصابوني، محمد علي، النبوة والأنبياء، ص 167، مصدر سبق توثيقه.

(2) سورة مريم، آية رقم 41 - 48.

(3) زين العابدين، محمد سرور بن نايف، منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله، ج1، ص 94. مصدر سبق توثيقه.

(4) سورة التحريم، آية رقم 6.

وقال تعالى لرسولنا محمد ﷺ: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ (1).

... إن إنذار الأهل ودعوة الأب، عندما يكلفهم الله بهذا الواجب، إنما ليكون عبرة لمن سواهم، فعندما نزلت هذه الآية على خاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ. صعد على الصفا ثم نادى: يا صباحاه! فاجتمع الناس إليه، فقال يا بني عبد المطلب، يا بني فهر، يا بني لؤي، يا فاطمة بنت محمد، يا صفية ابنة عبد المطلب.

قال: أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلاً بسفح الجبل تريد أن تغير عليكم، أصدقتموني؟ قالوا: نعم

قال: فاني نذير لكم بين يدي عذابٍ شديد، واني لا أملك لكم من الله شيئاً. لقد بين لهم أن قرابته لا تنفعهم، إذا لم ينفعهم عملهم، وأنه لا يملك لهم من الله شيئاً، وهو رسول الله. فقال أبو لهب: تبا لك سائر اليوم، أما دعوتنا إلا لهذا؟ (2)

.... إن أكبر خسارة يخسرها الداعية إلى الله، أو المسلم، أن يخسر نفسه ومن يعول، قال تعالى: ﴿فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ (3).

ولقد حدد القرآن الكريم لنا العلاقة مع غير المسلمين، وكيف تكون هذه العلاقة. قال تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوا فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُواكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (4).

هذا النص القرآني معناه أن الحرج مرفوع عن مودة الذين لم يقاتلوا المسلمين. حيث تمثل هذه القاعدة أصول التعامل مع غير المسلمين، فتعد من أعدل القواعد لأن مصدرها، الحكم العدل اللطيف الخبير، تلك هي حالة إبراهيم عليه السلام، التي تجعل الحالة ثابتة في التعامل، ليس بين الأب وأبيه المشرك فقط، بل مع المسلمين وغيرهم. إن علاقة الداعية إلى الله بالمخالفين، وحتى من غير المسلمين، هي قضية عقيدة، فليس بين الداعية والناس، ما يتخاصمون عليه، إلا حرية الدعوة والاعتقاد، حتى يتحقق منهج الله على الأرض، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. لقد عاش إبراهيم عليه السلام واهباً نفسه لعقيدته، لذلك يأمرنا الله تبارك وتعالى أن نتأسى به.

(1) سورة الشعراء، آية رقم 214.

(2) ابن كثير، إسماعيل الدمشقي، البداية والنهاية، مجادلة المشركين رسول الله، ط3، ج 7، ص 69. مصدر سبق توثيقه.

(3) سورة الزمر، آية رقم 15.

(4) سورة الممتحنة، آية رقم 8.

قال تعالى: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ ﴾⁽¹⁾.

فالقرآن الكريم، يُبين لنا موقف إبراهيم عليه السلام من أبيه، لتأسى به، فكما تبرأ قبله نوح عليه السلام من ولده، فإن إبراهيم يتبرأ من أبيه المشرك.

(ب) آزر يهدد ابنه بالموت والرجم!

قال تعالى: ﴿ قَالَ أَرَأَيْبُ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنْتَه لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴾⁽²⁾.

آزر يسأل يا ولدي يا إبراهيم: هل تريد أن تترك عبادة آلهتي؟ والاستفهام للتعجب والاستنكار؟ بعد ذلك يعتزل إبراهيم أباه، ويعتزل الأوثان، إلا أن الله لم يتركه وحيداً، وعوضه خيراً، وأن رحمة الله ترعاه، وتسير معه حيثما سار. قال تعالى: ﴿ وَأَغْفِرْ لَأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ ﴾⁽³⁾.

كان إبراهيم يطمع في إيمان أبيه، ولكنه عندما ظهر له إصرار أبيه على الشرك، وعداوته المتأصلة لدين الله قطع صلته به⁽⁴⁾. قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴾⁽⁵⁾.

وهكذا نجد أن المؤمن الحق يتبرأ من أقرب الناس عليه، إذا كان مشركاً كافراً، وانه إذا لم يتبرأ منهم في الدنيا طوعاً، فإنه سوف يتبرأ منهم كرهاً في اليوم الآخر، بعد ما يترك هذه الدنيا، بما فيها من مال وزينة وأولاد ومتاع وجاه وسلطان، يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه، وصاحبته وبنيه، ويترك كل شيء وراءه، ليس معه شيء، يا له من مشهد مفرع، مرعب! إنه المشهد الذي يهزُّ القلب البشري هزاً عنيفاً⁽⁶⁾. قال تعالى: ﴿ لَقَدْ تَفَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَرْعُمُونَ ﴾⁽⁷⁾.

لقد أقام إبراهيم الحجة على أبيه، وأعلمه أنه لا يستطيع أن يدفع العذاب عنه يوم القيامة، وان إبراهيم لا يستطيع أن ينفذ أباه من نار جهنم. قال تعالى: ﴿ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ﴾⁽⁸⁾.

... هذا بلاغ للناس...

... هذا بيان للناس...

(1) سورة الممتحنة، آية رقم 4.

(2) سورة مريم، آية رقم 46.

(3) سورة الشعراء، آية رقم 86.

(4) قطب، سيد، في ظلال القرآن، مجلد 4، ص 322، مصدر سبق توثيقة.

(5) سورة التوبة، آية رقم 114.

(6) قطب، سيد، في ظلال القرآن، مجلد 3، ص 307، مصدر سبق توثيقة.

(7) سورة الأنعام، آية رقم 94.

(8) سورة الممتحنة، آية رقم 4.

... هذا نداء للناس... اليوم وليس غداً أن يعلنوا ولا هم للمؤمنين، وبراعتهم من المشركين، انه الولاء والبراءة، الذي يجمع ويفرق، اليوم وليس غداً، هذه المحطة، ألا وهي الحياة الدنيا، التي تُقرر فيها أين تكون، إما أن يقال لك نعم الثواب وحسنت مرتفقاً، أو بنس الشراب وساعت مرتفقاً.

(3) المشهد الثالث: قصته مع قومه وتحطيم الأصنام

"فما أشبه اليوم بالأمس"، فكثير من الناس يتخذون من دون الله أنداداً، فمعظمهم لا يفكر إلا بعقول قاداتهم، ولا يرون إلا ما يرونه، دون النظر إلى الدليل. وهكذا نجد المسلم قد يحسن إلى الكثير من الناس، إلا أنه عندما يطلب منه أن يحسن إلى قومه أو إخوانه أو أمه أو أبيه، تجده يزهد في ذلك، بل أحياناً يستعيز بالله من الشيطان الرجيم. فما أوجنا إلى النظر في سيرتك العطرة يا إبراهيم وأنت ترأف بقومك، وتتوعد إليهم بالمعروف، وهم ينتكرون لك بالكيد والأفاعيل.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ 51 إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ 52 قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ 53 قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ 54 قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِينَ 55 قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ 56 وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ 57 فَجَعَلَهُمُ جَذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ 58 قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِالْهَيْتَانِ إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ 59 قَالُوا سَمِعْنَا فَتَىٰ يَدُكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ 60 قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ 61 قَالُوا أَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِالْهَيْتَانِ يَا إِبْرَاهِيمُ 62 قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ 63 فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ 64 ثُمَّ نُكِسُوا عَلَىٰ رُؤُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ 65 قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ 66 أَفَلَا تَعْقِلُونَ 67 قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ 68 قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ 69 وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ 70 وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ 71 وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ 72 وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ 73﴾⁽¹⁾.

لا نريد أن نقف من هذه النصوص موقف المفسر لها، فما أكثر المفسرين! أو النظر إليها كقصة، فما أكثر القصص! ولكن الموضوع هو: المنهج الذي اتبعه إبراهيم عليه السلام في الدعوة إلى الله. وهو ما نبينه إن شاء الله.

(1) سورة الأنبياء، آية رقم 51 - 73.

لقد استوحش إبراهيم عليه السلام من الكون، حتى وصل إلى مقام الأُنس بالله وحده، استوحش من الناس، من شركهم وكفرهم وضلالهم، بهذا خصه الله بخصوصية، لم يحظ بها غيره من الأنبياء. قال تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾⁽¹⁾ ، والخلة هي شدة المحبة.

كيف يدعو إبراهيم إلى الله؟

كيف يدعو إلى الله في ظل عبادة التماثيل من الخشب والحجر!؟

كيف يدعو إلى الله في ظل عبادة الشمس والقمر والنجوم!؟

كيف يدعو إلى الله في ظل عبادة الملوك والحكام!؟

كيف يدعو إلى الله؟ وكانت مهنة أبيه آزر تضفي عليه قداسة خاصة في قومه، حيث كان إبراهيم من عائلة ارسقراطية، وأن الذي يدرس سير الأنبياء، يجد أن أول من يقف في وجه الدعاة إلى الله هي الطبقة الارسقراطية، حيث أن لها قداسة في المجتمع، وأنها تخشى على هذه القداسة وهذا الملك⁽²⁾.

كيف يدعو إلى الله أمام هذه المعضلات!؟ فهو أمام خيارين اثنين لا ثالث لهما، إما أن يضع رأسه بين هذه الرؤوس، في ظل الولاء الكامل للوثنية والشرك! وإما أن يثور ويتصدى ويتبرأ ويكفر بهؤلاء.

إذن: ما العمل؟ ما النهج الذي ينهجه؟ لنرَ سوياً....

... الطفل إبراهيم عليه السلام، يشاهد والده وهو يصنع الأصنام ويبيعها...

الطفل إبراهيم يسأل أباه ببراءة ما هذه التماثيل يا أبت! لمَ أراكم "تعكفون"⁽³⁾ أوقاتكم عندها؟ يجيب والده ... هذه آلهة يا بني.

الطفل إبراهيم يترجل ويمتطي ظهورها كما يمتطي الحمار!

الطفل إبراهيم عمره سبع سنين.

الطفل إبراهيم... أمّن صنع الإنسان يا والدي؟

آزر الأب... الإنسان يا بني، أنا صنعتك، وأبي صنعني!

الطفل إبراهيم... يا أبت سمعت رجلاً مرة يقول يا إلهي ارزقني أولاداً.

آزر الأب... نعم يا بني، مرات الله يساعد الإنسان في صنع الأولاد، ويستأنف الأب آزر: انظر يا ولدي ما أجمل هذه التماثيل لا ينقصها إلا التنفس.

(1) سورة النساء، آية رقم 125.

(2) بهجبت، أحمد ، أنبياء الله، دار الشروق، القاهرة، ط 25، 1999م، ص 79.

(3) تعكفون : تصرفون أوقاتكم.

الطفل إبراهيم: يا أبت، إذا لم يكن لهذه التماثيل نفس، فكيف توهبُ الأنفس إلى الإنسان؟ أقول يا والدي: إن هذه ليست آلهة.

آزر الأب: يا بني لولا أنك طفل لقطعت رأسك بهذه الفأس.

الطفل إبراهيم: يا أبت هذا التمثال الكبير الذي أركبه من الخشب الفاخر؟!
يا أبت: هل الذي يحرق الخشب يرتكب خطيئة؟

آزر الأب: نعم يا بني.

الطفل إبراهيم: يا أبت ما رأيك؟ تقول لهذه الآلهة التي تعملها من خشب وحجارة أن تصنع لك أولاداً؟ حتى تكون أكثر الناس أولاداً فنكون أقوى الناس، فلا يستطيع أحد أن يعتدي علينا!
آزر الأب: يضرب إبراهيم وينفض المجلس.

الطفل إبراهيم: هل هؤلاء القوم الذين يعكفون على السجود، لهذه التماثيل جميعهم على الباطل، وأنا لوحدي على الحق؟ فيذهب إبراهيم مع أبيه إلى أحد المعابد وكان مملوءاً بالتماثيل، وكان كبير الكهنة يتكلم ويتوسل ويسجد لهذه التماثيل، ويطلب منها أن تنزل عليهم الرحمة والرزق!!! وكان الطفل إبراهيم يستمع فقال للكاهن... ألا تلاحظ يا حضرة الكاهن أنها لا تسمع؟ فالتفت الكاهن إلى الصبي فإذا هو إبراهيم، فيغضب الكاهن.

آزر الأب: يا سيدي الكاهن: لا تؤاخذ هذا ولدي مريض.

الطفل إبراهيم: في حيرة من أمره.... فيذهب إلى أحد الجبال، ويبدأ النظر إلى ملكوت الله، فيبدأ يحاور قومه ويناقشهم الحجة بالحجة، حيث بُهتوا من منطق إبراهيم عليه السلام، فقرروا إعدامه بالحرق بالنار، كما يفعل الطواغيت في كل زمان ومكان.

فما أجمل الحوار بالحجة والبرهان! بالتالي هي أحسن، إلا أن قومه يعقدون لإبراهيم محكمة! وما أكثر المحاكمات في هذه الأيام لأتاس أبرياء، ذنبهم: أنهم يدعون إلى عبادة الله وحده، طواغيت اليوم، يقتلون ويعدمون متى شاءوا، ولكن طاغوت إبراهيم، ألا وهو النمروذ، سكت طويلاً عن إبراهيم عندما كان يُسفّه آلهتهم.

طاغوت إبراهيم كان يناظر إبراهيم ويحاوره، وتنتهي المناظرة ويذهب إبراهيم إلى بيته، لا إلى غوانتمو! ولا إلى الزنازين هنا وهناك!!!!

طاغوت إبراهيم، لم يكتم الأفواه!!!!

طاغوت إبراهيم، لم يُقيّد الحريات!!!!

طواغيت اليوم: لا يعقدون محاكمة للداعية، بل لا يعرف أهل الداعية أين يوجد، وإن عرفوا أين يوجد فلا يجروا أحد الاستفسار عنه⁽¹⁾

(1) زين العابدين، محمد سرور بن نايف، منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله، ص 114. مصدر سبق توثيقه.

لذلك ما العمل؟ المنطق يستدعي أن نسير على نهج إبراهيم عليه السلام فلنستمع سوياً إلى المحكمة.. إلى القاضي، والمدعى عليه، والشهود!

الكهنة: أحضروا إبراهيم الآن وحققوا معه... إبراهيم يَمُتِل أمام التحقيق!!!!

القاضي: أنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم؟

إبراهيم: بيتسم ويشير إلى كبير الآلهة الذي علق الفأس في رقبتك، بل فعله كبيرهم هذا فسألوهم إن كانوا ينطقون.

الكهنة: نسأل من يا إبراهيم؟

إبراهيم: أسألوا آلهتكم!

القاضي: أنت تعرف يا إبراهيم أن هذه الآلهة لا تنطق...

إبراهيم: كيف تعبدون آلهة لا تنطق، ولا تنفع، ولا تضر، ولا تحمي نفسها⁽¹⁾

قال تعالى: ﴿ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ، أَفْ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾⁽²⁾.

القاضي: أوتقوه وأعدوا له النار!

قال تعالى: ﴿ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴾⁽³⁾

هكذا نرى أنه ما يكاد الداعية يبدأ دعوته حتى تتقلب الدنيا كلها ضده، ويبدأ الهجوم عليه، والآن بدأ الهجوم على إبراهيم عليه السلام، حيث كلما ازداد عزمه، ازداد بلاؤه،

... بدأ الهجوم على إبراهيم....!

... بدأ الهجوم على الدعاة....!

... بدأ الهجوم على المؤسسات الخيرية....!

... بدأ الهجوم على من يريد أن يخرج زكاة أمواله....!

... بدأ الهجوم على دور تعليم القرآن!

... بدأ الهجوم على المساجد!

... لكن المسلم اليوم يشعر بالسعادة! لأنه لا شيء يجمع الناس، كما تجمعهم الهموم والمصائب المشتركة، فإنهم يشعرون أنهم يقفون أمام عدو مشترك فما أصدق ما قاله أحمد شوقي. إن المصائب يجمعن المصابينا.

(1) بهجبت، أحمد، أنبياء الله، دار الشروق، القاهرة، ط 25، 1999م، ص 88.

(2) سورة الأنبياء، آية رقم 66 - 67.

(3) سورة الأنبياء، آية رقم 68.

هم الاحتلال، هم القتل، هم الإعدام، الاستبداد، التخلف التكنولوجي، الظلم الاجتماعي، الاستبداد السياسي، الغزو الفكري، التمزق العربي وفوق هذا... الحروب الأهلية التي كان سببها المؤامرات الدولية⁽¹⁾.

هموم الأمة الإسلامية، مما حدا بابن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، حينما سأله أحد الناس من أهل العراق عن دم البعوضة في حالة الإحرام، فأنكر على السائل هذا التعمق في هذا السؤال الدقيق، في حين أن قومه خذلوا الحسين رضي الله عنه، حتى سفك دمه، ولقي ربه شهيداً مرضياً.

هكذا قال ابن عمر: يسألون عن دم البعوضة، وقد سفكوا دم ابن رسول الله، ر...!!!
هذه الهموم تجعل الأمة تقف مع بعضها البعض في قضاياها المصرية وهمومها، في مثل هذه الظروف، وقف إبراهيم عليه السلام يدعو إلى الله، في مثل هذه الظروف، يقف إبراهيم ويثور على الجاهلية الجاهلاء، إبراهيم يُسمي الأحجار والخشب "تماثيل".

﴿مَا هَذِهِ التَّمَائِلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ﴾⁽²⁾ عاكفون... تفيد الانكباب الدائم المستمر، وهذا العكوف معنوي⁽³⁾، معنى تعلقت قلوبهم بها.

قالوا: "وجدنا آباءنا لها عابدين" ... جواب يدل على أنهم يعيشون في العصر المتحجر.
(ما أقبح هذا التقليد والقول بغير برهان، وما أعظم كيد الشيطان للمقلدين، حين استدرجهم إلى أن قلدوا آباءهم في عبادة التماثيل، وعفروا لها جباههم، وهم يعتقدون أنهم على شيء، وجادون في نصرته مذهبهم، ومجادلون لأهل الحق عن باطلهم، وكفى أهل التقليد، أن عبدة الأصنام منهم)⁽⁴⁾.

والآن: ما هو موقف إبراهيم من تقليد قومه لآبائهم في عبادة الأصنام؟
لقد وقف موقف الداعية الذي لا يخشى إلا الله، ولم يُقَمِّ لِقَوْلِهِمْ وَزناً، ولم يحسب لهم حساباً.
قال تعالى: ﴿قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾⁽⁵⁾.

يريد إبراهيم أن يززع العقيدة في قلوبهم، لأن العقيدة تقوم على اليقين، لا على الوهم، فهم لا يدينون بعقيدة التوحيد الناصعة، ماذا يجيب قومه؟ قالوا:

قال تعالى: ﴿قَالُوا أَجِئْنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِينَ﴾⁽⁶⁾.
إبراهيم: إن هذه التماثيل لا تستحق أن تكون أرباباً من دون الله، بل الذي يستحق العبادة هو الله رب السموات والأرض.

(1) القرضاوي، يوسف، الصحة الإسلامية، ص 136. مصدر سبق توثيقه.

(2) سورة الانبياء، آية رقم 52.

(3) قطب سيد، في ظلال القرآن، مجلد 5، ص 544، مصدر سبق توثيقه.

(4) العدوي، محمد أحمد، دعوة الرسل، دار المعرفة، بيروت، ص 54.

(5) سورة الانبياء، آية رقم 54.

(6) سورة الانبياء، آية رقم 55.

والآن المحكمة تُصدر حكمها على إبراهيم، " حرقوه "

إنها سنة الله مع الرسل، ...

الآن ... الخبر ينتشر في المملكة...! فإذا الناس من كل حدب ينسلون، ليشاهدوا عملية الحرق!!!

المحكمة: أيها الناس.... هذا إبراهيم تجرأ على آلهتكم!

هذا إبراهيم يعترف أنه حطم آلهتكم!

هذا إبراهيم يسخر من الكهنة!

هذه النار العظيمة!!!

هذا المنجنيق!!!

هذا إبراهيم مُقيّد اليدين والقدمين!!!.

... لقد كان جمع الحطب تقريباً للآلهة؟! حيث كان الرأي العام في الشارع، أن الشخص الذي يجمع الحطب يكون محبوباً أكثر عند التماثيل، حتى أن فلسفة الكهنة، تقوم على تنقيف الناس بهذه المفاهيم، فالمرأة كانت إذا مرضت، إن عوفيت من مرضها، لتجمعن الحطب لحرق إبراهيم. حتى ضاق المكان بالحطب وتأججت النيران وسعرت⁽¹⁾.... الآن إبراهيم في وسط النار.... النار لم تلتهم إلا الوثاق الذي أوثقوه به، فكان وكأنه يجلس في حديقة غناء، يسبح بحمد ربه ويمجد ربه، علماً أن حرارة النار كادت تزهق أرواح الذين يقتربون منها، حتى أن الطير كان يحترق إذا مرّ في السماء من شدة وهجها، وقد ذكر ابن اسحاق أن جمع الحطب كان شهراً كاملاً قبل أن يشعلوها، وفي هذه الأثناء، كان إيمان إبراهيم أشد رسوخاً من الجبال الرواسي. وكان كله ثقة بنصر الله، فلم يكثر بكثرة الجماهير المحتشدة، ولا بكلماتهم النابية، ولا بنيرانهم الملتهبة. هنا تنتزل نصره الله على عبادة المؤمنين.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: كان آخر كلام إبراهيم حين القي في النار " حسبي الله ونعم الوكيل"⁽²⁾.

... إن الذي يسير في طريق الدعوة إلى الله، يعي هذه النتيجة، لأنه يعتبر نفسه مشروعاً وشفقة، وإن الذي دعاه لهذه الصفقة، هو الله.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ، تَوَمَّنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ، يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ

(1) الصابوني، محمد علي، النبوة والأنبياء، ص 170. مصدر سبق توثيقه.

(2) زين العابدين، محمد سرور بن نايف، منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله، ج 1، ص 128، مصدر سبق توثيقه.

وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ، وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَيَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١﴾ .

من هنا تأتي البشرى لإبراهيم عليه السلام، آية بشرى هذه؟ إنها الفوز العظيم بالنصر القريب، هذا في الدنيا، وفي الآخرة المساكن الطيبة في جنات عدن.

... لقد دفع إبراهيم عليه السلام الثمن مسبقاً، بيقينه بإيمانه، بصبره، عندما جاء إليه جبريل عليه

السلام، وهو في وسط النار!!!

ألك حاجة يا إبراهيم؟

إبراهيم: منك فلا، من الله، علمه بحالي يغنيه عن سؤالي (2).

هنا... نداء... نداء إلى رسلنا، وإلى كل المؤمنين إلى قيام الساعة، قال تعالى: ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي

بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿٣﴾ .

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ نَجَّيْنَا رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنَجِّ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤﴾ .

هكذا قطع تبارك وتعالى على ذاته أن ينجي المؤمنين ﴿كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنَجِّ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥﴾ (5)

بذلك، تكون النتيجة معروفة نهايتها عند المؤمنين، أما هي إحدى الحسنين، إما النصر وإما الشهادة.

وقال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَرَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٦﴾ .

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ، إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ ، وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٧﴾ .

وقال تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ ﴿٨﴾ .

(1) سورة الصف، آية رقم 10 - 13.

(2) الصابوني محمد علي، صفوة التفاسير، ص 268، مصدر سبق توثيقه.

(3) سورة الأنبياء ، آية رقم 69.

(4) سورة يونس، آية رقم 103.

(5) سورة يونس ، آية رقم 103.

(6) سورة يوسف، آية رقم 110.

(7) سورة الصافات، آية رقم 171 - 173.

(8) سورة المجادلة، آية رقم 22.

وهكذا نصر الله إبراهيم وكل من يسير في طريق إبراهيم. قال تعالى: ﴿وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾ (1).

وقال تعالى: ﴿فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ﴾ (2).

هذه سنة الله إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، أرادوا إحراقه بالنار، نصراً لآلهتهم، " فجلعهم " والجعل إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، " الاخسرين " ومن سنن الله أيضاً أن ينصر رسوله، كما أخبرنا القرآن الكريم، حتى إذا بلغت الشدة بهم منتهاها، فإن الله تبارك وتعالى، يخذل أعداءه المستكبرين. وها هم المستكبرون في الأرض، ينتظرون النهاية، المستكبرون في كل مكان، لهم الهلاك، ويخرج المؤمنون وقد عافاهم الله، لأنهم موقنون بأن الطريق التي يسيرون فيها قد رسمها لهم الله لهداية الناس، فلن يضلوا ما تمسكوا بها.

هكذا يكون اليقين الكامل عند رسل الله، أنهم هم المنصورون، " وظنوا أنهم قد كذبوا " والظن بمعنى اليقين، بمعنى تيقن الرسل أن أقوامهم كذبوهم، جاءهم النصر من عند الله، وذلك بتعذيب أممهم الكافرة، ونجاة الرسل واتباعهم (3).

دروس وعبر وتوصيات من منهج إبراهيم عليه السلام في الدعوة إلى الله

... لقد كانت الدعوة إلى الله في حياة إبراهيم تأخذ مكان الصدارة، فقد وهب حياته كلها للدعوة إلى الله، وأن الذي يأخذ الدين كله وحدة واحدة، تنتزل عليه النصرة من الله تبارك وتعالى، وأن الذي يأخذ الدين جزئياً يتحصل على الثواب، إلا أن نصرة الله لا تنتزل عليه، وقد أعطى إبراهيم عليه السلام، درساً لمن خلفه من المسلمين، فكان القدوة الحسنة، وأن على الأجيال من بعده، أن تترسوم خطاه لتسير على نهجه.

... لقد كانت الدعوة إلى الله أكبر همّه وشغله الشاغل، لهذا كفاه الله هم الدنيا والآخرة، فكان مطمئناً لكل ما يصيبه، فكان الدين مصدر سعادته وعزته.

وقد يسأل سائل: إذا كان الدين مصدر سعادة المسلمين فلماذا نراهم أشقياء؟

وإذا كان الدين مصدر عزة المسلمين وطريق عزتهم فلماذا نجدهم أذلاء؟

السبب... أن المسلمين صاروا حجة على الدين، لا حجة له، عالية عليه لا له.

(1) سورة الأنبياء ، آية رقم 70.

(2) سورة الصافات ، آية رقم 98.

(3) الأندلسي، ابن عطية ، المحرر الوجيز ، ج 8، ص 100. مصدر سبق توثيقه.

واقْتَبَسَ هذه الفقرة من كتاب دعوة الرسل: (ليس بيننا وبين إقناع الغربيين بالدين سوى إقناعهم بأننا لسنا مسلمين)⁽¹⁾.

معنى ذلك: إذا اقتنع الغربيون بأن الإسلام شيء، والمسلمون شيء آخر، هناك يُسلمون فتزول الحجب بين الغرب والإسلام.

معنى ذلك: أن الذي يمنع دخول غير المسلمين الإسلام، هم المسلمون وذلك بأفعالهم وأعمالهم التي تخالف دينهم.

فما أحوج الناس اليوم إلى دراسة سيرة إبراهيم العطرة عليه السلام، وما أحوجنا إلى تفرغ الأوقات، وبذل الأموال، وتقليل الشهوات، والسير على منهج إبراهيم عليه السلام.

لقد ركن إبراهيم إلى حماية الله، فعلم أنه لا يصيبه إلا ما شاء الله، هذه معضلة الأمة اليوم، فمتى تتعق الأمة من إसार الخوف؟ كما كان يقول إبراهيم، قال تعالى: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ﴾⁽²⁾. وكيف

يخاف الداعية إلى الله؟! وكيف يخاف المسلم! حكاماً ومحكومين رؤساء ومرؤسين؟

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾⁽³⁾. لقد وهب إبراهيم نفسه لتبليغ دعوة الله إلى الناس، لقد كان مع الله فكان الله معه، أما

حالتنا اليوم: كمثل السيارة التي تحمل حمولتها أو أكثر من حمولتها، هذه الحمولة كلها دنيا، آباء وأبناء وإخوان وأزواج وعشيرة وأموال وتجارة ومساكن، فليس للدين مكان في هذه السيارة، نقول له: نحملك في العودة، وعندما نعود إلى الله لا يمهلنا ملك الموت، حتى نأخذ الدين معنا في السيارة، فنخرج من الدنيا بلا دين، وهذه الطامة الكبرى.

... لقد علم إبراهيم عليه السلام، أن الدنيا فقط، هي طريق يوصل إلى الآخرة، فكان هدفه كيف يخرج من الدنيا وقد بلغ رسالة ربه؟

... لقد اتخذ إبراهيم من المحاكمة التي تقدم إليها مجالاً لعرض أفكاره ومعتقداته، فكانت محاكمته على الهواء مباشرة،

اتهمهم بالكذب.

رماهم بالخبل.

سخر من آلهتهم... هكذا صدع بما أمره الله به وهو في النار، فلم يتراجع، ولم يغير من معتقداته، ليلتقي معهم في منتصف الطريق.

(1) العدوي، محمد أحمد ، دعوة الرسل، ص 64. مصدر سبق توثيقه.

(2) سورة الأنعام، آية رقم 81.

(3) سورة الأحزاب، آية رقم 39.

فلم يعتذر ويساوم، فقد كانت الدعوة عند إبراهيم، أهم من نفسه وأهله وماله وزوجته، وولده وقومه، فكانت الدعوة إلى الله القضية التي لا يُقدم عليها قضية.

لقد حطم الأصنام فلم يهرب وكان بإمكانه، فكان يعتبر المحاكمة مجالاً لنشر دعوته، لأن الداعية إلى الله دستور. قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمْ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ﴾⁽¹⁾.

نرجو كما وقف إبراهيم عليه السلام في وجه الأصنام والتماثيل، أن يقف الدعاة إلى الله، في وجه السلاطين، لأن هؤلاء السلاطين عبارة عن أصنام حديثة، وان يقولوا للمحسن أحسنت، وللمسيء أسأت وخالفت الصواب، وأن الحسن ما حسنته الشرع، والقبيح ما قبحه الشرع.

... لماذا يتناسى دعاة اليوم موقف إبراهيم من أبيه؟

... لماذا يتناسى دعاة اليوم موقف إبراهيم من قومه؟

... لماذا يتناسى دعاة اليوم موقف إبراهيم من الأصنام؟ فمثل هذه الأصنام كما قال تعالى: ﴿تَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِنْدِهِ فَيُضْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسْرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ﴾⁽²⁾.

والأصل أن الأسوة هم المعصومون فيجب اتباعهم، قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ﴾⁽³⁾.

يا معشر المسلمين في كل مكان؟

هذا إبراهيم والذين معه، ليكونوا لكم أسوة تتأسوا بهم، إنها آية تحتوي على دستور المسلمين في الولاء والبراء.

نحن متبرئون منكم ومن أصنامكم التي تعبدونها، كفرنا بدينكم إلى الأبد، ما دمتم على حالكم هذا، حتى توحدوا الله، فتعبدوه وحده⁽⁴⁾.

يا معشر المسلمين... سأل قائد جيوش الفرس (رستم) ربعي بن عامر

ما جاء بكم؟

(1) سورة التوبة، آية رقم 52.

(2) سورة المائدة، آية رقم 52.

(3) سورة الممتحنة، آية رقم 4.

(4) الصابوني، صفوة التفسير، مجلد 3، ص 362، مصدر سبق توثيقه.

قال ربي... نحن قوم ابتعثنا الله، لنخرج من شاء من عبادة العباد، إلى عبادة رب العباد، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة، ومن جور الأديان، إلى عدل الإسلام، فأرسلنا الله بدينه إلى خلقه، لندعوهم إليه، فمن قبل ذلك قبلنا منه ورجعنا عنه، ومن أبى قاتلناه أبداً حتى نفضي إلى موعود الله. قالوا: وما موعود الله؟

قال: الجنة لمن مات على قتال من أبى، والظفر لمن بقي⁽¹⁾

كذلك لقد كانت سبب قوة إبراهيم عليه السلام قوة الإقناع التي رزقه إياها سبحانه وتعالى.

قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾⁽²⁾.

فالكلمة الطيبة كالشجرة الطيبة، توتي أكلها كل حين، في الصيف والشتاء والخريف والربيع.

ومن هذه التوصيات من منهج إبراهيم عليه السلام.

إن المؤمن إذا أصلح ما بينه وبين الله في السر والعلن، فإن الله يصلح ما بينه وبين الناس، وإن الداعية إلى الله مهما وضعت في وجهة العقبات فإنه لا يبالي، لأنه يؤمن بنصر الله، وأن قوانين الله ليست خاضعة لمقاييس البشر، وأنه سبحانه وحده هو القادر على تغييرها، فالنار تصبح برداً وسلاماً...

وأن الرجل ذا الهمة يُحيي أمة، حيث كان وحده يعدل جماعة، فيما رزقه الله، من إيمان وثبات، وحكم وسخاء، وبراءة من المشركين.

وأن الله تبارك وتعالى قد أمر محمداً ﷺ أن يتبع ملة إبراهيم.

قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾⁽³⁾

إبراهيم عليه الصلاة والسلام كان له وصية، هذه الوصية لأبنائه من بعده، وهي عبادة الله، والدعوة إلى وحدانية الله ودين الإسلام، قال تعالى: ﴿وَوَصَّي بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾⁽⁴⁾.

ولا بد من كلمة موجهة إلى أهل الكتاب بمثابة إعلان....

قال تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ، إِنَّ

أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾⁽⁵⁾.

(1) ابن كثير، إسماعيل ابن كثير الدمشقي، البداية والنهاية، ج 7، ص 38. مصدر سبق توثيقه.

(2) سورة الانعام، آية رقم 83.

(3) سورة النحل، آية رقم 123.

(4) سورة البقرة، آية رقم 132.

(5) سورة آل عمران، آية رقم 67 - 68.

معنى أن أمة محمد ﷺ ، هي الجديرة بأن تقول نحن على دين إبراهيم، لذلك نحن أمة الإسلام، أولى بإبراهيم ونوح وموسى وعيسى، وأنهم لو وجدوا في زمن محمد ﷺ، فما وسعهم إلا أن يتبعوه، لذلك، أمة الإسلام هي الحنفية السمحة⁽¹⁾.

(1) الصابوني، صفوة التفاسير، مجلد 1، ص 209، مصدر سبق توثيقه.

الفصل الثالث

منهج موسى عليه السلام في الدعوة إلى الله

كلمة موجزة:

موسى عليه السلام ابن عمران بن يصهر بن قاهت بن لاوي بن يعقوب بن اسحاق بن إبراهيم⁽¹⁾. واجه عليه السلام المحن وهو في بطن أمه، وعندما كبر وأصبح رجلاً، بعثه الله لقيادة بني إسرائيل، في جوٍ من الحكم الديكتاتوري المتسلط " فرعون " ساقه الله إلى مدين، حيث لبث عشر سنين، بعد ذلك ذهب إلى مصر، ولما صار قريباً من جبل الطور، كلمه الله واصطفاه للنبوّة والرسالة⁽²⁾

... تنوعت الابتلاءات معه، فقد رافقته المحن والمخاوف وهو رضيع فكان كلما كبرت سنّه كثرت محنه وابتلاءاته، إلا انه تجلّد وصبر حتى بلغ رسالة ربه، وسط الأمواج المتلاطمة⁽³⁾ فكانت دعوته ومهمته من أشق المهمات، لأن بني إسرائيل ألفوا الذل، فمن يألف الذل، يشق عليه الاستقلال، وهذه نعمة من الله، فإذا فسدت البشرية لا بدّ من ظهور مصلح لها، فكان ظهور موسى عليه السلام، وقد ذكر اسم موسى في القرآن الكريم أكثر من مئة وثلاثين مرة، والسبب في ذلك أن قصة موسى عليه السلام أشبه بقصة خاتم الرسل من أولي العزم محمد ﷺ⁽⁴⁾. وقد اشتمل منهج دعوته عليه السلام على أربعة محاور:

المحور الأول: كيف كانت دعوته لقومه؟

المحور الثاني: موقف قوم موسى عليه السلام منه " صبره ومعاناته " .

المحور الثالث: دعاء موسى عليه السلام على قومه .

المحور الرابع: سنة الله في نجات المؤمنين وهلاك الظالمين .

(1) الثعالبي، ابي اسحاق، قصص الأنبياء، دار الفجر للتراث، القاهرة، ط 1، 2001م، ص 230.

(2) حبنكة، عبد الرحمن حسن، فقه الدعوة الى الله، دار القلم، دمشق، ج 2، ط 1، 1996م. ص121

(3) المبارك، محمد، إعداد الدعوة، المؤتمر العالمي لتوجيه الدعوة والدعاة، المملكة العربية السعودية، المدينة المنورة، 24-29/2/1397م.

(4) العوي، محمد أحمد، دعوة الرسل إلى الله، ص 19. مصدر سبق توثيقه.

المحور الأول: كيف كانت دعوته لقومه؟

قال تعالى: ﴿وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ ، إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ، إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ ، فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَنْ لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَىٰ﴾ (1).

الاختيار من من؟ من الله، كيف لو أن عظيماً من عظماء الدنيا قال لأحد الناس " وأنا اخترتك؟! اصطفيتك، اخترتك لتكون سفيراً بيني وبين خلقي، " اصطنعتك لنفسى " أعددتك لرسالتي، هيأتك لخدمتي (2).

هذا الاختبار بدأ بالتوحيد " إنني أنا الله لا اله إلا أنا فاعبدي".

هذا الاختيار للتكريم بالرسالة، رسالة ثالث الأنبياء من أولي العزم، انها رعاية الرحمن لهذا النبي، ولهذه الرسالة، " فاستمع لما يوحى".

" إنني انا الله " ، الاعتقاد بالله تبارك وتعالى.

" فاعبدي وأقم الصلاة، يأمره بعبادته سبحانه وأن يتوجه إليه.

"إن الساعة آتية" انه الإيمان بيوم القيامة يوم الجزاء، يوم يُنبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر لذلك كونوا على حذر واستعداد لذلك اليوم (3).

لذلك هذه نقطة الانطلاق لأولي العزم من الرسل، من نوح عليه السلام وحتى محمد، ﷺ، حيث دعوا جميعهم إلى وحدانية الله.

وقال تعالى: ﴿يَا مُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ (4).

استخلصتك وهي مرحلة متقدمة حيث الاستخلاص أعلى مرتبة من الإخلاص، فضلتك يا موسى على أهل زمنك برسالاتي، لتدعو إلى الله، وهذا ما وصى به الأنبياء من الدعوة إلى التوحيد، أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه.

وبعد الاصطفاء والاختيار والاستخلاص، موسى يتوجه برسالاته وبدعوته الى آل فرعون.

قال تعالى: ﴿أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ، وَأَنْ لَّا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّي آتِيكُمْ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ، وَإِنِّي عُدْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ ، وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَرِلُونِ﴾ (5).

(1) سورة طه، آية رقم 13-16.

(2) العدوي، محمد أحمد ، دعوة الرسل، ص 235، مصدر سبق توثيقه.

(3) قطب سيد، في ظلال القرآن، مجلد 5، ص 467، مصدر سبق توثيقه.

(4) سورة الأعراف، آية رقم 144.

(5) سورة الدخان، آية رقم 18 - 21.

فيبدأ بتذكير قومه بنعم الله تبارك وتعالى على قومه:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ أذكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ (1).

هكذا بدأ دعوته عليه السلام كإخوانه من أولي العزم، بدأ دعوته بتذكير قومه بنعم الله عليهم التي لا تعد ولا تحصى، ولكن على وجه التخصيص، اذكروا نعمة الله عليكم فقد خصكم الله سبحانه بأن جعل منكم الأنبياء والملوك. الأنبياء: يرشدونكم إلى أمر الدين الذي هو سبب السعادة في الدنيا والآخرة، والملوك: فلا يغلبكم غالب، الأنبياء والملوك والأمراء والقوة، بعد أن كنتم مقهورين (2).

الأنبياء والملوك هاتان نعمتان، من الله تبارك وتعالى، والأنبياء نعمة خصكم بها سبحانه وتعالى، لأنها هبة من الله، وأنه لم يؤت هذه النعمة لأحد من العالمين حتى ذلك التاريخ، هذه النعم من الواجب أن تستعينوا بالله، بصبركم وذكركم نعمة، فتكونوا بذلك قد شكرتم الخالق الوهاب.

قال تعالى: ﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (3).

موسى عليه السلام يدعو قومه، فليس لأصحاب الدعوة إلى رب العالمين إلا ملاذاً واحداً، وهو الملاذ الحصين، وإلا ولياً واحداً، وهو الولي القوي المتين، أن يصبروا حتى يأذن الولي الحميد بالنصرة في الوقت الذي يقدره بحكمته، وألا يعجلوا، فهم لا يطلعون الغيب ولا يعلمون الخير، وأن الأرض يورثها سبحانه وتعالى من يشاء من عباده وفق سنته وحكمته، فلم يخالج قلوب الداعين إلى رب العالمين قلق على المصير إن هم استعانوا بالله (4).

وهكذا يتدرج موسى في دعوته، حيث بدأ بالوحدانية لله تبارك وتعالى، ثم كيف ترفق بقومه في الدعوة، وذكرهم بنعم الله، وأن يستعينوا به، وأن يستعدوا للبعث.

قال تعالى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾ (5).

فيوضح لقومه أن الإله الذي قدر على البدء قادر على الإعادة، وأن الإنسان إذا علم أنه سيعود إلى الله للحساب، فلا شك أنه يستقيم في حياته، فيتحصل على خيري الدنيا والآخرة.

(1) سورة المائدة، آية رقم 20.

(2) الصابوني، محمد علي، صفوة التفاسير، ج 2، ص 335، مصدر سبق توثيقه.

(3) سورة الأعراف، آية رقم 128.

(4) قطب، سيد، في ظلال القرآن، مجلد 3، ص 612، مصدر سبق توثيقه.

(5) سورة طه، آية رقم 55.

موسى عليه السلام يتخذ له بطانة خير .

موسى عليه السلام النبي الأسوة الحسنة يتخذ له بطانة صالحة، وهذا في حد ذاته تشريفاً للداعية إلى الله أن يتخذ له نقباء بحيث يذكرونه إذا نسي، لقد اختار موسى عليه السلام من كل سبطٍ نقيباً. وهذا الاختيار كان بمثابة عقد بين طرفين، الأول موسى عليه السلام والثاني هم نقباء بني إسرائيل الاثني عشر الذين يمثلون فروع بيت يعقوب وهو " إسرائيل " فقد كان في نص الميثاق ما يلي:

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾⁽¹⁾.

وهكذا نرى أن أولي العزم من الرسل كان لهم نقباء فهذا عيسى عليه السلام كان له حواريون، حيث اختارهم لصفاء قلوبهم ونقاء سرائرهم. وهكذا محمد عليه السلام، كان له تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس، فكانوا أول تنظيم للرسول محمد ﷺ خارج مكة، وقد نذروا أنفسهم أن يمنعوا محمداً بما يمنعون به أنفسهم⁽²⁾.

فقد كانت هذه العجالة السريعة على هؤلاء المستشارين لنأخذ العبرة من منهج هؤلاء المشاهير من الأنبياء ألا وهم أولو العزم من الرسل، لقد كان لكل نبي بطانة، فأين بطانتك أيها الداعية؟ لقد أصبح الداعية في هذه الأيام يقول: " رأيي صحيحاً ولا يحتمل الخطأ، ورأيي غيري خطأ لا يحتمل الصواب!!! " فأين أنت من الأنبياء الذين عصمهم الله، وقد كان لهم مستشارون..؟ عن عبدالله من مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ما من نبي بعثه الله من أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته، ويقفون بأمره⁽³⁾.

موسى يُبلِّغ الرسالة كما أمره الله سبحانه وتعالى

قال تعالى: ﴿أَذْهَبَ أَنتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي ، اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ، فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيْنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ، قَالَ رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يُفْرِطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطَّغَى ، قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا

(1) سورة المائدة، آية رقم 12.

(2) خطاب، محمود شيت، الرسول القائد، مكتبة الحياة، بغداد، ط3، 1960م، ص 40.

(3) أحمد بن حنبل، مسند الأمام أحمد، بهامشة منتخب كنز العمال على سنن الأقوال والأفعال، دار الفكر، ج 1،

أَسْمَعُ وَأَرَى ، فَأَتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مِنْ أَتْبَعِ الْهُدَى ، إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴿١﴾ .

أذهباً، فقولا، إنه القول اللين الذي هو مفتاح القلوب (لا يثير العزة بالإثم، ولا يهيج الكبرياء الزائف الذي يعيش به الطغاة، لأن الداعية لا يبأس ولا يخاف)⁽²⁾، لأنه القوي المتعالي معه.

ويستمر الجدل... والداعية إلى الله موسى عليه السلام يستأنف الحديث بتذكير فرعون بآيات الله فيقول: قال تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى ، كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِأُولِي النَّهْيِ﴾⁽³⁾. فالأرض مهّد، كمهد الطفل، والبشر كلهم أطفال على وجه هذه الأرض، وأنه سبحانه وتعالى أعطى هذه الهيئة الراسخة للأرض، حتى تكون صالحة لمعاش الناس، فالداعية على هذه الأرض يجب عليه أن لا يسمح لنفسه أن يمضي عليه لحظة، دون ذكر الله، لأنّ مثل الذي يذكر الله والذي لا يذكر الله، كمثل الحي والميت".

﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا﴾⁽⁴⁾.

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾⁽⁵⁾.

إنها وظيفة الأنبياء، يخرجون أقوامهم من الظلمات إلى النور، إلا أننا نجد محمداً ﷺ تتاقض مع إخوانه من أولي العزم فكانت رسالته قال تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾⁽⁶⁾.

يا لها من وظيفة! موسى عليه السلام بُعث ليخرج قومه من الظلمات، ظلمات الجهل والكفر إلى التوحيد ومحمد عليه السلام ليخرج الناس من الظلمات، ظلمات الجهل والكفر إلى التوحيد⁽⁷⁾. قال تعالى: ﴿وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنْ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ، قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ﴾⁽⁸⁾.

(1) سورة طه، آية رقم 42 - 48.

(2) قطب سيد، في ظلال القرآن، مجلد 5، ص 474، مصدر سبق توثيقه.

(3) سورة طه، آية رقم 53 - 54.

(4) سورة الأنعام، آية رقم 122.

(5) سورة إبراهيم، آية رقم 5.

(6) سورة إبراهيم ، آية رقم 1.

(7) الصابوني، محمد علي، صفوة التفاسير، ج 2، ص 90، مصدر سبق توثيقه.

(8) سورة الشعراء، آية رقم 10 - 11.

ففي الآية دعوة للنبي محمد صلى الله عليه وسلم بتذكير أمته بأن الله تبارك وتعالى كلف موسى عليه السلام بهذه المهمة وان يأتي القوم الظالمين، قوم فرعون، وأن شرع من قبلنا نحن مطالبون به، لذلك يجب على كل موحد أن يأتي القوم الظالمين، يدعوهم إلى الله فأين نحن من هذه الآية؟ أن إئتِ القوم الظالمين⁽¹⁾.

وقال تعالى: ﴿فَأْتِيَ فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾⁽²⁾، رسول رب العالمين معنى المصدر الذي أتت منه الرسالة، علماً بأن الله تبارك وتعالى يخاطب اثنين، موسى وأخاه هارون، "فقولا" رسول رب العالمين⁽³⁾.

فقولا... انه منهج الحوار والحكمة والحسنى، وليس السيف، فقولا باللسان أما إذا استفرغ الوسع في الدعوة بالوسائل التي استعملها الأنبياء عليهم السلام عندئذ توجه سيوف الأمة إلى أعدائها الحقيقيين من غير المسلمين، أو إلى الذين يخرجون من دائرة الإسلام.

هذه سيرة أولي العزم من الرسل، وهذا منهجهم عليهم السلام. حتى من قال: ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾⁽⁴⁾. حتى من قال: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾⁽⁵⁾.

فنحن مأمورون أن نقول لهم القول اللين⁽⁶⁾.

قال تعالى: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾⁽⁷⁾.

(1) الطبري، ابن جرير، جامع البيان، ج 11، ص 64. مصدر سبق توثيقه.

(2) سورة الشعراء، آية رقم 16.

(3) الطبري، ابن جرير، جامع البيان، ج 19، ص 65. مصدر سبق توثيقه.

(4) سورة النازعات، آية رقم 24.

(5) سورة القصص، آية رقم 38.

(6) حبنكه، عبد الرحمن، فصول في السياسة الشرعية، ص 91، مصدر سبق توثيقه.

(7) سورة طه، آية رقم 44.

المحور الثاني: موقف قوم موسى عليه السلام منه " صبره ومعاناته "

إن أول من يقف في وجه دعوة الأنبياء هم أقوامهم، ونرى أن قوم موسى عليه السلام يهددونه بالسجن وهذه سنة الأنبياء.

قال تعالى: ﴿ لئن اتخذت إلهاً غيري لأجعلنك من المسجونين ﴾ (1).

وهكذا نرى أن قوم موسى يعقدون مؤتمراً صحفياً يقررون فيه ان موسى ساحر، قال تعالى: ﴿ يريد

أن يخرجكم من أرضكم بسحره فماذا تأمرون ﴾ (2).

وقال تعالى في حق موسى: ﴿ إن هؤلاء لشردمة قليلون ﴾ (3).

وقال تعالى: ﴿ قالوا هذا سحر مبين ﴾ (4).

وقال تعالى: ﴿ فقالوا ساحر كذاب ﴾ (5).

وقال تعالى: ﴿ وقال فرعون ذروني أقتل موسى وليدع ربه إني أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر

في الأرض الفساد ﴾ (6).

وقال تعالى: ﴿ فلما جاءهم آياتنا إذا هم منها يضحكون ﴾ (7).

وقال تعالى: ﴿ إن هي إلا موتتنا الأولى وما نحن بمنشرين ﴾ (8).

وقال تعالى: ﴿ هل أتاك حديث موسى ، إذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى ، اذهب إلى فرعون إنه

طغي ، فقل هل لك إلى أن تزكى ، وأهديك إلى ربك فتخشى ، فأراه الآية الكبرى ، فكذب وعصى ،

ثم أدبر يسعي ، فحشر فنادى ، فقال أنا ربكم الأعلى ، فأخذه الله نكال الآخرة والأولى ، إن في

ذلك لعبرة لمن يخشى ﴾ (9).

يخاطب الله تبارك وتعالى نبيه محمداً ﷺ بسر من الأسرار الإلهية، ليكون عبرة لمن يخاف الله، يذهب موسى عليه السلام إلى فرعون ناصحاً، خائفاً على فرعون من عذاب جهنم، حيث جاءه بالآيات التي لا تدع مجالاً لذي عقل أن يعترض!!! وبأسلوب رقيق لين رسمه تبارك وتعالى بنفسه،

(1) سورة الشعراء، آية رقم 29.

(2) سورة الشعراء، آية رقم 35.

(3) سورة الشعراء، آية رقم 54.

(4) سورة النمل، آية رقم 13.

(5) سورة غافر، آية رقم 24.

(6) سورة غافر، آية رقم 26.

(7) سورة الزخرف، آية رقم 47.

(8) سورة الدخان، آية رقم 35.

(9) سورة النازعات، آية رقم 15 - 26.

وكلف موسى عليه السلام أن يذهب إلى فرعون، قال تعالى: ﴿فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا أَن تَزَكَّى﴾ (1)، هل لك يا فرعون أن تتطهر من الذنوب؟ هل لك يا فرعون أن تتطهر من الرجس؟ هل لك يا فرعون أن تتطهر من الدنس؟ هل لك يا فرعون أن تتعرف على طريق الخير والرشاد والبركة والصلاة؟ هل لك يا فرعون أن تتعرف على طريق الله؟ (2)

يا له من مشهد يجذب القلوب، مشهد "مواجهة" كما يقال في عصرنا هذا، وجهاً لوجه، أسلوب العرض التخييري، الذي اشتمل على أبلغ المقدمات في اللغة العربية، حتى أن موسى جاء فرعون بصيغة الفعل المضارع لا بصيغة فعل الأمر!!

هل = كلمة

لك = كلمتان

إلى = كلمة

أن = كلمة

تزكى = كلمة

فما جملة من جدال بالحسنى، غنه أدب النبوة، فيحرص موسى عليه السلام على تطهير فرعون من الذنوب بالرفق واللين، كما علمه تبارك وتعالى. ومن هو فرعون؟ الذي قال: قال تعالى: ﴿قَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ (3)، وقال أيضاً: قال تعالى: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ (4).

فماذا كانت النتيجة لهذا الخطاب؟ لنرى....

فما أكثر ما تجتمع قوى البشر في هذه الأيام، فيصدرون قراراتهم الظالمة بحق الدعوة إلى الله، ما أكثر المؤتمرات التي تعقد على كل صغيرة وكبيرة من ما يسمى بـ "مجلس الأمن" فرعون يوجه نداءً إلى الأمة، ويبعث بالكتب إلى الأشراف، ويأمر الجيش أن يجمعوا له الناس من كل الأرجاء، ويلقي خطابه المشهود، حيث اجتمعت الوفود واكتملت الحشود، فخرجوا بالقرارات التالية:

قال تعالى: ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشُرُذِمَةٌ قَلِيلُونَ، وَإِنَّهُمْ لَنَا لِعَائِتُونَ﴾ (5)، وقال تعالى: ﴿قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ، يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ (6).

الملا من حول فرعون يطلبون إمهالهم بضعة أيام حتى يحضروا للوقعة التي سوف تحل بموسى ومن معه، ها هي قوى الشر تجتمع كما تجتمع اليوم على كل من يقول لا إله إلا الله، قال

(1) سورة النازعات، آية رقم 18.

(2) قطب، سيد، مجلد 8، ص 444، مصدر سبق توثيقه.

(3) سورة النازعات، آية رقم 24.

(4) سورة القصص، آية رقم 38.

(5) سورة الشعراء، آية رقم 54 - 55.

(6) سورة الشعراء، آية رقم 34 - 35.

تعالى: ﴿قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ، يَا تُوَكُّبُ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ﴾⁽¹⁾. تم الاتفاق على يوم مؤقت حسب ما يريدون.

فجمع السحرة لميقات يوم معلوم، ﴿وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ﴾⁽²⁾. لأهمية الموقف!!! (كان الذي يزاول السحر كهنة الديانات وسدنة الآلهة، وقد استقر رأي الملأ من قوم فرعون أن يختفي موسى إلى الأبد، كيف استخفهم فرعون؟ فلا يمكن أن يكون أقوى من الألوف، هذه الشعوب والملايين في يومنا هذا لو شعرت بإنسانيتها وكرامتها وعزتها وحريتها، فلا يمكن لفرد أن يطغى على أمة!!! كيف يطغى فرد على أمة رشيدة؟ كيف لفرد أن يستخف بعقول أمة؟ أين رجال الفكر في الأمة؟ أين الأقلام النظيفة؟ قال تعالى: ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ﴾⁽³⁾ أين الجماهير؟ أين الشارع من هؤلاء؟ فلولا فسوق الجماهير لما استطاع فرد أن يفعل بها هكذا، ولما بقيت كالريشة في مهب الريح⁽⁴⁾. قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾⁽⁵⁾، أين نجد هؤلاء؟ نجدهم في قول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾⁽⁶⁾، نجدهم في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ﴾⁽⁷⁾.

وفي وسط هذه الحشود، وهذه الجماهير المضللة يقف الطاغية، كما يقف طواغيت اليوم، ويلقي خطابه بكل غرور واستكبار فيقول قال تعالى: ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾⁽⁸⁾. لماذا يستخف قومه؟ لأنهم عطلوا تفكيرهم فابتعدوا عن فطرتهم التي فطرهم الله عليها، ذلك بأنهم مدوا أعناقهم إليه فجرها، أحنوا إليه رؤوسهم، فاستعلى عليهم، تنازلوا عن العزة والكرامة فطغى عليهم⁽⁹⁾.

وهكذا نرى أن فرعون يُصدر بلاغاً آخر.... قال تعالى: ﴿فَاجْمَعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ أَنْتُوا صَفًّا﴾⁽¹⁰⁾، كطواغيت اليوم حيث يطلقون على حملتهم: "قوى التحالف".

(1) سورة الأعراف، آية رقم 111 - 112.

(2) سورة الشعراء، آية رقم 39.

(3) سورة الزخرف، آية رقم 54.

(4) قطب، سيد، في ظلال القرآن، ج 7، ص 340، مصدر سبق توثيقه.

(5) سورة الأحزاب، آية رقم 39.

(6) سورة التوبة، آية رقم 111.

(7) سورة البقرة آية رقم 207.

(8) سورة النازعات ، آية رقم 24.

(9) قطب، سيد، في ظلال القرآن، مجلد 8، ص 444، مصدر سبق توثيقه.

(10) سورة طه، آية رقم 64.

... والآن نحن على موعد مع النتيجة الطبيعية لنرى نهاية هذه الجولة! بين الحق والباطل.
 قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ ، وَلَنُسَكِّنَنَّكُمْ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدٌ﴾⁽¹⁾.
 يتدخل الحق سبحانه وتعالى، ويجعلها سنة من سننه، حيث أن النصر يكون فقط لمن خاف مقام الله،
 وإن الأمر إذا ضاق اتسع، حيث يتدخل سبحانه وتعالى عندما يتعرض الرسل للإخراج من الأرض،
 والإجبار على الكفر، لنهلكن الظالمين.

... قال تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ، فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ، فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ ﴾⁽²⁾.
 هنا ثبت الحق واستقر، وذهب ما عداه واندرثر.

نحن الآن أمام إعلان جديد!

نحن الآن أمام بلاغ جديد!

نحن الآن أمام بيان راسخ شامخ جازم!

هذا الإعلان الجديد! هؤلاء السحرة، هؤلاء الثلاثة من زبانية فرعون يعلنون الإسلام، يعلنون الإيمان،
 ساجدين مذعنين لرب العالمين، وما أكثرهم في هذه الأيام!!! ما أكثر هؤلاء المتعطشين إلى
 الإيمان، حيث أنهم بحاجة لكم أيها الدعاة إلى الله.

قال تعالى: ﴿ فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى ﴾⁽³⁾.

من هم هؤلاء السحرة؟

هم أولئك الثلاثة الكافرة التي تعلن إيمانها الراسخ، هؤلاء الثلاثة الذين بهرهم الحق حيث عاينوا الإيمان
 عملياً، لكن الطغاة... الفراعنة... يلجأون إلى التهديد والوعيد!

قال تعالى: ﴿ قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمَنَّ أَيْنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى ﴾⁽⁴⁾.

هذه وسيلة الطواغيت في هذه الأيام، حيث لا يملكون مواجهة الحق بالبرهان، انه الإيمان الذي
 يصنع الأمة، يصنع الرجال، الإيمان الذي تنتزل النصره به من القوى المتين.

(1) سورة إبراهيم، آية رقم 13 - 14.

(2) سورة الأعراف، آية رقم 117 - 119.

(3) سورة طه، آية رقم 70.

(4) سورة طه، آية رقم 71.

وفي لحظة واحدة يتوجهون إلى الله، فلا تعجب يا أخي من هؤلاء المدبرين عن رحمة الله هؤلاء رواد المقاهي وغيرهم، لا تتزكروهم لوحدهم فسوف يأتي اليوم الذي يكونون فيه أسود الإسلام، فلماذا نبخل عليهم بزيارة؟!

ومن المحاور التي حصلت مع موسى عليه السلام انه كلما جاءهم بآية كانوا بها يهزأون: قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ ﴾⁽¹⁾. أيها الداعية: إحلّم على هؤلاء الذين يتغامزون.

وقد قالوا عن رسول الله موسى، قال تعالى: ﴿ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴾⁽²⁾. وقال تعالى: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانَ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾⁽³⁾. هذا الكذب، وهذا الإنكار والعلو والاستكبار الذي واجهه موسى عليه السلام، هو ضريبة يدفعها كل الدعاة إلى الله.

هكذا كعادة الطغاة... يُعلن فرعون انه الإله المعبود، مع انه كان مؤمناً بصدق موسى عليه السلام. والدليل على انه كان موقناً بصدق الآيات التي جاء بها موسى، وأنها من رب السموات والأرض، قوله تعالى على لسان فرعون: ﴿ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَآئِرٍ ﴾⁽⁴⁾، دليل آخر قال تعالى: ﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴾⁽⁵⁾، يريد فرعون أن يبني قصرًا عاليًا من الطين المحروق، ليصعد عليه فيرى إله موسى الذي يدّعيه، " على حدّ زعمه "... حيث استعمل الظن في موضع اليقين، والظن هنا العناد في الإنكار⁽⁶⁾.

إنه الموقف المتشنج تجاه الدعاة إلى الله في كل زمانٍ ومكان، إنه موكب المكذبين، هذه مواقفهم من الدعاة إلى الله، فالحق عند هؤلاء ما يأتيهم عن طريق أهوائهم، وما يأتي عن غيرهم فهو ضلال وانحراف، ومن المؤسف أننا نرى أناساً مستمسكين بأراء قادتهم جامدين عليها مع بُعدها عن المنهاج الذي رسمه الله تبارك وتعالى لأنبيائه.

(1) سورة الزخرف، آية رقم 47.

(2) سورة الزخرف، آية رقم 52.

(3) سورة القصص، آية رقم 38.

(4) سورة الإسراء، آية رقم 102.

(5) سورة النمل، آية رقم 14.

(6) العنوي، محمد أحمد، دعوة الرسل إلى الله، ص 273. مصدر سبق توثيقه.

فالداعية إلى الله يعرف هذا الموقف المتشجنج من هؤلاء المعاندين، فلو سئل أبو جهل: من خلقك؟ لقال: الله ... قال تعالى: (ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فأنى يؤفكون)⁽¹⁾. فتراهم يعلنون أن الخالق هو الله إلا أنهم يتوجهون في أمورهم إلى غير الله فيستغيثون بغير الله ويفوضون أمورهم لغير الله ويتقربون من أهل الأرض أكثر من خالق السماوات والأرض.

.... ومن المحاور التي حصلت بين موسى وقومه، أنهم يتهمونه بالجنون. قال تعالى: ﴿ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴾⁽²⁾.

معنى: كيف لا يكون مجنوناً وهو يتجاهل القوم، ويتجاهل الأشراف من القوم؟ وهذا ما نراه في عصرنا!!!

وقال تعالى: ﴿ فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ ﴾⁽³⁾. إذ كيف يؤمنون بموسى وهارون؟ وقومهما من بني إسرائيل يعبدوننا، علماً أن هذين البشريين، هم من البشر مثلنا، حيث أنه لا فرق بيننا وبينهم، فجميعنا بشر، وهذه شبهة جاء بها أقوام الرسل جميعاً، فيطلبون رسولاً ملكاً، قال تعالى: ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ﴾⁽⁴⁾. فإرد عليهم سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يَنْظُرُونَ ، وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبَسُونَ ﴾⁽⁵⁾. فالله تبارك وتعالى قادر على أن يبعث ملكاً ورسولاً بهيئة بشرية دون علمهم به، فيلتبس عليهم الأمر.

والآن، المأ من قوم موسى يتآمرون مع فرعون، ظناً منهم إن فرعون يقربهم منه زلفى، وكعادة الحاشية التي ترافق الملك أو الرئيس في كل زمان ومكان. فما أكثر مؤتمرات القمة الطارئة التي تعقد بحق الدعاة إلى الله، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَدْرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتِكَ قَالَ سَتَقْتُلُ أَبْنَاءَهُمْ وَتَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ ﴾⁽⁶⁾، هذه محاولة أخرى، بعد فشل جميع التهم التي وُجّهت إلى موسى، الآن يبدأون بحياكة دسائس أخرى من نوع جديد. يا فرعون: لماذا تترك موسى وقومه يفسدون في الأرض؟ فإنه أمام خيارين إما حبسه وإما قتله، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾⁽⁷⁾، (فالإصلاح الذي يدعو إليه موسى إفساد، والدعوة إلى الحق تهريج، حتى يظهر أمام الناس بمظهر الظالم).

(1) سورة الزخرف، آية رقم 78.

(2) سورة الشعراء، آية رقم 27.

(3) سورة المؤمنون، آية رقم 47.

(4) سورة الأنعام، آية رقم 8.

(5) سورة الأنعام، آية رقم 8-9.

(6) سورة الأعراف، آية رقم 127.

(7) سورة الأنفال، آية رقم 30.

....ومن المشاهد مع قوم موسى، إنهم يرفضون أي آية يأتيهم بها على الإطلاق. قال تعالى:

﴿وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِنَسْحَرَنَّ بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ (1)

ماذا يعمل موسى الآن؟ كيف يدعوهم في مثل هذه المواقف؟ عندئذ تتدخل القوة الإلهية مع الداعية

إلى الله: ﴿لِنَهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ، وَلِنُسَكِّنَنَّكُمْ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ (2).

وهذه سنة إلهية، قال تعالى: ﴿وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ (3)

هذه الجنود، قال تعالى: ﴿وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ (4).

.... يتوجه قوم فرعون إلى موسى ليدع الله لهم أن يكشف الضر عنهم، وفعلاً دعا لهم الله فكشف

الله ما بهم من ضر. قال تعالى: ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بِالْعُورَةِ إِذَا هُمْ يَنْكُشُونَ،

فَأَنْتَقِمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ (5).

ولا بد من كلمة في هذا المشهد، نوجهها إلى أهل الجاهلية الحديثة اليوم، فإن الله تبارك وتعالى

يسلط الآفات على زروعهم، فلا يريدون أن يرجعوا إلى الله....

أيها الناس..... ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾؟! (6)

أيها الناس..... ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾؟! (7)

أيها الناس..... ﴿يَا حَسْرَةَ عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾؟! (8)

أيها الناس..... ﴿هَاتِئْتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِنُفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَخْلُ وَمَنْ يَخْلُ فَإِنَّمَا يَخْلُ

عَنْ نَفْسِهِ﴾ (9).

أيها الناس..... ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ

آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ (10).

أيها الناس..... ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ (11).

(1) سورة الأعراف، آية رقم 132.

(2) سورة إبراهيم، آية رقم 13 - 14.

(3) سورة هود، آية رقم 83.

(4) سورة هود، آية رقم 83.

(5) سورة الأعراف، آية رقم 135 - 136.

(6) سورة الحديد، آية رقم 8.

(7) سورة الحديد آية رقم 10.

(8) سورة يس، آية رقم 30.

(9) سورة محمد، آية رقم 38.

(10) سورة الحديد، آية رقم 21.

(11) سورة الحج، آية رقم 1.

سنة الله قادمة في أخذ المكذبين، بعد الابتلاء بالسراء والضراء، وتقع الواقعة، ويدمر الله المكذبين كلاً بذنبه... فانتقمنا منهم.... طوفان، وجراد، وطفادع، وقمل، ودم، ونقص أموال وأنفس وثمرات.

.... هكذا نرى أن نهاية الطريق معلومة، تلك هي طريق الدعوة إلى الله ألا وهي نصر الله، فما عليك أيها الداعية إلى الله، إلا أن تتحلى بالصبر... حيث أن الله تبارك وتعالى يطلب من خاتم الأنبياء محمد ﷺ أن يتأسى بإخوانه من أولي العزم من الرسل، وفي هذا ... " ترسيم للدعاة ".
قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَذَّبْتَ رَسُولٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبْرُوا عَلٰى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبِيِّ الْمُرْسَلِينَ ﴿١﴾﴾.
نبأ المرسلين... أن النصر آتٍ لا محالة، فما عليكم إلا أن تتعظوا أيها الدعاة إلى الله، بمنهج أولي العزم من الرسل، عندئذ فإن الله ناصركم ومؤيدكم.

(1) سورة الأنعام، آية رقم 34.

المحور الثالث: دعاء موسى على قومه

إن الله تبارك وتعالى يعطي الدنيا لمن يحب ولمن لا يحب، ولكنه سبحانه يعطي الدين فقط لمن يحب، وها هو فرعون الطاغية ، يعطيه الله المتاع الزائل، من حليّ ولباس وحرير وفُرُشٍ وأثاث وأموال يتمتع فيها كيف يشاء!؟

وبعد ما رأينا من صلفٍ وتجبرٍ وإصرارٍ وتعنتٍ على الكفر .

... نجد أن موسى عليه السلام يتوجه إلى الله ويقول: قال تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَتْ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوَا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَيَّ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَيَّ قُلُوبَهُمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿١﴾ .

... موسى عليه السلام لم يدع على فرعون وقومه، إلا بعد أن أقام عليهم الحجة، وأن هذه الأموال التي بين أيديهم لا تزيدهم إلا كفرًا، حيث لا يأتي من فرعون وقومه إلا الضلال المبين. وهذا بوحى من الله سبحانه إلى موسى عليه السلام.

هكذا أول أنبياء أولي العزم عندما قال: قال تعالى: ﴿وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ﴿٢﴾ .

والأمثلة كثيرة في كتاب الله قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ، وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿٣﴾ .

فإن الله تبارك وتعالى يعطي فرعون وأمثاله من الطغاة أسباب المعيشة، وهذه ليست من باب المحبة والرضى، وإنما من باب الكيد والمكر والاستدراج. قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ، وَأَكِيدُ كَيْدًا ، فَمَهْلُ الْكَافِرِينَ أَمَهُلُهُمْ رُويِدًا ﴿٤﴾ .

وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ فَقَطَّعَ دَابِرَ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٥﴾ ، وبعد إقامة الحجة على المدبرين عن رحمة الله تبارك وتعالى، وتركوا ما وعظوا به، أعطاهم الله كثيرًا من النعم والخيرات، وكانت استدراجاً لهم، حتى إذا أخذهم سبحانه استأصلهم وأهلكهم عن آخرهم .

فلنأخذ العبرة من هلاك فرعون عندما دعا عليه موسى عليه السلام فإذا رأيتم أن الله تبارك وتعالى يعطي العبد من الدنيا على معاصيه فهذا شيء طبيعي، وإنما هو استدراج. هؤلاء اليوم الذين

(1) سورة يونس، آية رقم 88.

(2) سورة نوح، آية رقم 24.

(3) سورة الأعراف، آية رقم 182 - 183.

(4) سورة الطارق، آية رقم 15 - 17.

(5) سورة الأنعام، آية رقم 44.

أعطاهم الله كل ما احتاجوا إليه من متاع الدنيا "وهم في المعاصي"، ليعلموا أن مصيرهم مصير فرعون⁽¹⁾.

فالداعية إلى الله يعرف أنه على الحق، وأن النصر يكون للحق، لهذا أُجيبَت دعوته عليه السلام فكانت سنة من سنن الله.

وقال تعالى: ﴿فَدَرَهُمْ فِي غَمَرْتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ، أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَّالٍ وَبَيْنَ ، نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَل لَّا يَشْعُرُونَ﴾⁽²⁾.

فلا تعجب يا أخي ببراء فرعون، وفراغته اليوم، فما نحن نرى بأمر أعيننا أناساً أثرياء طمس الله على أموالهم، لأنهم ييخلون بها، فهم أشحة على الخير، ييخلون بأموالهم على الفقراء، فتراهم في غناهم فقراء، وفي عزهم بالمال أذلاء، تجدهم بهذا المال معذبين.

"ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم".

الطمس – المحو والإزالة بلا أثر للأموال.

اشدد على قلوبهم – اجعلها قاسية يا الله، واطبع عليها حتى لا تنتشرح للإيمان.

قال الله لموسى وهارون "قد أُجبت دعوتكما".

وقال الله لموسى: ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى﴾⁽³⁾. وقال تعالى: ﴿وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾⁽⁴⁾.

ذلك أن النعمة بين يدي المفسدين من الأموال والأولاد، تززع القلوب التي لم يتمكن منها الإيمان، وهذا واقع عام في الناس، في كل زمان ومكان.

لذلك أراد موسى عليه السلام أن يوقف هذا الإضلال للناس بدعائه على فرعون وقومه، وحتى أنهم لو آمنوا عند حلول العذاب بهم فإن ذلك لا ينفعهم عند الله⁽⁵⁾.

وقال تعالى: ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَن هَؤُلَاءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ﴾⁽⁶⁾.

موسى عليه السلام يتوجه إلى العلي القدير داعياً على فرعون فتنزل النصر من السماء. قال تعالى: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُوهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ﴾⁽⁷⁾، فكانت هذه النتيجة الطبيعية للمدبرين عن رحمة الله.

(1) الصابوني، محمد علي، صفوة التفاسير، مجلد 1، ص 390، مصدر سبق توثيقه.

(2) سورة المؤمنون، آية رقم 54-56.

(3) سورة طه، آية رقم 36.

(4) سورة التوبة، آية رقم 85.

(5) قطب، سيد، في ظلال القرآن، مجلد 4، ص 470، مصدر سبق توثيقه.

(6) سورة الدخان، آية رقم 22.

(7) سورة القصص، آية رقم 81.

المحور الرابع: سنة الله في نجاة المؤمنين وهلاك الظالمين

قال تعالى: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾⁽¹⁾. فالهلاك كان مناسباً، كلُّ حسب ذنبه.

وقال تعالى: ﴿وَفِي مُوسَى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ، فَتَوَلَّىٰ بُرْكَانَهُ وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ، فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ، وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ، مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرِّيمِ ، وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ ، فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ، فَمَا اسْتَطَاعُوا مِنْ قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُتَنَصِّرِينَ ، وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ، وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ، وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ ، وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾⁽²⁾.

قوم عاد أخذهم الله بالريح الصرصر، وهو الذي يأخذ الحاصب معه من الأرض، فتنطير فتضربهم وتقتلهم، وكذلك قوم ثمود أخذتهم الصيحة بعد إمهالهم ثلاثة أيام. والصيحة هي الصاعقة. أما قوم قارون فقد خسف الله به وبداره الأرض، وقوم فرعون وهامان غرقوا في اليم بظلمهم جميعاً⁽³⁾. هذه جميعها قوى كونية، مدبرة بأمر الله، يُسلطها على من يشاء، فهي كأى جندي من جنود الله. هذه الآيات، وهذه الجنود مثلها كمثل الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم، وما يعلم جنود ربك إلا هو.

قال تعالى: ﴿وَاتْرِكِ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُغْرَقُونَ﴾⁽⁴⁾، جاء الفصل بقوم فرعون بعد تكذيبهم حيث دعا موسى عليهم، فماتوا غرقاً. وقال تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كَلِمَةَ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوهَا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾⁽⁵⁾، آية تحتوي على سنن إلهية في ضلال البشر.

فهم يتكبرون في الأرض بغير الحق، ويشعرون أنهم طبقة لا تضاهيها طبقة، وأن هذا التكبر بغير حق، وأنهم أصحاب شهوات. فلا شك أن خاتمهم تناسب أعمالهم. قال تعالى: ﴿وَإِنْ يَرَوْا كَلِمًا

(1) سورة العنكبوت، آية رقم 40.

(2) سورة الذاريات، آية رقم 38 - 46.

(3) قطب، سيد، في ضلال القرآن، مجلد6، ص 410، مصدر سبق توثيقه.

(4) سورة الدخان، آية رقم 24.

(5) سورة الأعراف، آية رقم 146.

آيَةٌ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ﴿١﴾. ذلك بأنهم استمروا الغي والفساد حتى صار سبيلهم .

هؤلاء الكذبة الغافلون في حياتهم الدنيا، بصنيعهم هذا فتحوا باباً لسنة الله بهلاكهم، فحبط عملهم واهلكهم الله بظلمهم.

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (2). وقال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ﴾ (3). سنة الله في الخلق، تتدخل لإهلاك الظالمين، فهذا موسى عليه السلام يدمر الله قومه....

قال تعالى: ﴿فَقُلْنَا اذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا﴾ (4).

وهذا نوح عليه السلام حيث دمر الله قومه.

قال تعالى: ﴿مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا﴾ (5).

وقال تعالى: ﴿وَقَوْمِ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (6).

هذه سنة الله في أخذ الناس سواء، الظالمين بالهلاك والطائعين بالنجاة.

وفي هذه السنة، يبقى مع أول الأنبياء من أولي العزم، وحتى لا نبتعد عن العنوان، وهو نجاة المؤمنين وهلاك الظالمين، فتكون قصة نوح عليه السلام ألصق بالعنوان.

قال تعالى: ﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ، وَنَصَرْنَاهُ مِنْ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (7)، هذه سنة الله مع المؤمنين، حيث أن عليهم أن لا يجزعوا، ولا يخافوا ولا يياسوا من روح الله، فالنصر آتٍ لهم، فلن تجد لسنة الله تبديلاً، وان كان للظلم جولة فإن للحق جولات.... فالنصر آتٍ لا محالة.

فهذا نوح أول الأنبياء لبث ألف سنة إلا خمسين عاماً، وهذه الفترة الطويلة نسبياً كان نوح عليه السلام يدعو قومه، فلا يستجيبون له، يسخرون منه، ازدادت محنته بعد أن خانته زوجته التي كانت

(1) سورة الاعراف ، آية رقم 146.

(2) سورة الأعراف، آية رقم 147.

(3) سورة إبراهيم، آية رقم 13.

(4) سورة الفرقان، آية رقم 36.

(5) سورة نوح، آية رقم 25.

(6) سورة الفرقان، آية رقم 37.

(7) سورة الأنبياء، آية رقم 76-77.

في بيته مئات السنين، ما آمن معه إلا قليل... فكانت سنة الله حيث أغرق الطغاة، وكانت السلامة للقلّة المؤمنة، ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (1) (2).

وقد عبد قوم موسى العجل، وبين سبحانه وتعالى عاقبة عبدة العجل من غضب الله عليهم، وذلتهم في الحياة الدنيا، وهذه سنة الله في جزاء المفترين على الرسل، في كل زمان ومكان، وهكذا... سنة الله في اخذ الظالمين (3).

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيِّئًا لَهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذَلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ﴾ (4)، تلك هي سنة الله في هلاك الظالمين المفترين.

هذه السنة اقتضت من الله تبارك وتعالى، إن الذي يعمل السيئات ويتوب، يغفر الله له برحمته، أما الذين يكذبون الرسل ولا يتوبون فإنهم جهلة، لأنهم لا يعرفون متى يموتون، فإن ماتوا وهم على إصرار هم هذا، فإن سنة الله ستجري فيهم.

وهذه سنة الله جل وعلا مع المؤمنين، حيث أنه سبحانه يُصلح بهم، ويُنزّل عليهم الأحوال التي هي من جنس الأعمال التي صعّدت إلى الله.

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَيَّ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾ (5). هذا الأمر له أصل ثابت، يرتبط بالناموس والأصل الذي قام عليه الوجود.

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ (6)، هذه أحوال الضلال... نتيجة الكفر.

وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ، وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ، فَسَنِيَرُهُ لِلْيُسْرَى ، وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ، وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ، فَسَنِيَرُهُ لِلْعُسْرَى﴾ (7). عاقبة الخير يسر، وهي الحسنى يعني الجنة، وعاقبة الشر عسر، وهي النار (8).

ومع سنة الله في هلاك الظالمين ونجاة المؤمنين.

(1) سورة المجادلة، آية رقم 22.

(2) التلمساني، عمر، الملهم الموهوب، أستاذ الجيل، حسن البناء، دار الأنصار، شارع الحمورية ص 44.

(3) قطب، سيد، في ظلال القرآن، مجلد 3، ص 643. مصدر سبق توثيقه.

(4) سورة الأعراف، آية رقم 152.

(5) سورة محمد، آية رقم 2.

(6) سورة محمد ، آية رقم 1.

(7) سورة الليل، آية رقم 5- 10.

(8) الصابوني، محمد علي، مجلد 3، ص 570، مصدر سبق توثيقه.

قال تعالى: ﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ، وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخِرِينَ ، وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ ، ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ ﴾ (1).

... جيش عظيم مدجج يغرق، يُغرقه الله بسنةٍ عكس عقول البشر، كيف يكون البحر هلاكاً لفريق ورحمةً لآخر؟! إنه أمر الله، انه سور استنادي من الماء! حيث انه من طبيعة الماء الاستواء وهذه سنة كونية، ولكن موجدُ هذه السنة سبحانه، بيده تغيير القوانين لان أمره بين الكاف والنون (2).

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ، إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ ، وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ (3). القوم الظالمون يدخلون البحر... فيرتطم عليهم بعد أن يكون آخر مؤمن قد خرج من البحر ونجا.

أيها الناس... ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ ﴾ (4) ، اقرؤوا القرآن الكريم، اعتبروا يا أولي الأبصار!!

قال تعالى: ﴿ وَكَانَ مِنْ آيَةِ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ، وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ، أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ (5).

وقال تعالى: ﴿ فَأَيُّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَاصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ﴾ (6).
هذه سنة الله مع أنصار رسله في كل زمانٍ ومكانٍ فلا تختلف ولا تتخلف، جعلنا الله من أنصار دينه المؤيدين لرسله.

(1) سورة الشعراء، آية رقم 63 - 66.

(2) الصابوني، النبوة والأنبياء، ص 200. مصدر سبق توثيقه.

(3) سورة الصافات، آية رقم 171 - 173.

(4) سورة إبراهيم، آية رقم 9.

(5) سورة يوسف، آية رقم 105 - 107.

(6) سورة الصف، آية رقم 14.

الفصل الرابع

منهج عيسى عليه السلام في الدعوة إلى الله.

... ولد المسيح في بيت لحم وقامت دعوته وأنصاره في الناصرة بفلسطين وقد بعثه الله في الثلاثين من عمره، على رسالة التوحيد، وهو السيد المسيح عيسى بن مريم، وهو عبدالله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم بنت عمران الطاهرة العذراء عليها السلام، ومع المنهج الذي سلكه عيسى عليه السلام في دعوته إلى الله، حيث جاء في فترة كان الناس فيها شيعاً ونحلاً كثيرة ومتعددة، فكانت رسالته إلى بني إسرائيل حيث كانوا ينتظرونه ليخلصهم من الذل الذي كانوا يرزحون فيه تحت حكم الرومان، فقد انتظروه ليتبعوه، فلما جاءهم نكروه وهموا أن يصلبوه⁽¹⁾. وقد رأينا أن نقسم فترة دعوته إلى الله إلى ثلاث مشاهد:

المشهد الأول: ولادة عيسى عليه السلام ودعوته إلى التوحيد.

المشهد الثاني: الأساليب التي اتبعتها في دعوته إلى الله عز وجل.

المشهد الثالث: العقيدة الصحيحة للنصارى في نظر الإسلام.

المشهد الأول: ولادة عيسى عليه السلام ودعوته إلى التوحيد

إنه مشهد الطهر والعفاف، الفناء العذراء، التي أرسل الله إليها "من روحنا" فَتَحْمِلُ، وتلد، وتأتي قومها وهي تحمله، ... مشاهد مثيرة... فنحن لا نروي قصة عيسى عليه السلام، فليس هذا موضوع البحث، إنما هو الجانب الدعوي الذي انتهجه عيسى عليه السلام.

... فنحن الآن أمام مشهدٍ مثيرٍ مدهشٍ عجيبٍ!؟ يتضمن الدعوة إلى التوحيد.

المشهد.... قال تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ، وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ، وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ، وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾⁽²⁾ إني عبد الله

هذه الكلمة إعلان منه عليه السلام، إلى هؤلاء الذي أكثروا الجدل حوله، هذا الإعلان: إلى أهل الكتاب من النصارى على مختلف فرقهم، اللاتين "النصارى"، والأورثوذكس، الكاثوليك، والبروتستانت الشرقيين والغربيين، هذا الإعلان: فيه حل لخلافكم، فما عليكم إلا أن تقرؤوا بهذه الحقيقة وهي: "العبودية لله من هنا نستخلص المنهج الذي دعا إليه عيسى عليه السلام وهو: إقرار العبودية لله"، فإذا كان الرسول الذي أرسل اليكم يقول: "إنه عبد الله"، لذلك دعواكم من الأقباط

(1) الفرخان، راشد عبدالله، الأديان المعاصرة، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، الجماهيرية الليبية، طرابلس،

ط3، 1985م، ص 9.

(2) سورة مريم، آية رقم 30-33.

الثلاثة، الأب والابن والروح القدس.... وهو يعلن أيضاً في الآية نفسها أن الله جعله نبياً، لا شريكاً، ولا ولداً ولا ابناً.

وقال تعالى: ﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ، مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ، وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ۝﴾⁽¹⁾. نداء إلى الذين يحملون العقائد المنحرفة، " لقد أعذر من أنذر " يا من تتحرفون عن الإيمان

بوحداية الله، أنذركم... " (إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ)"⁽²⁾ نبي من أنبياء الله... وهو في المهد عمره يوم... يقول للناس كل الناس في كل الأرض، إني عبد الله... مشهد عظيم... هل بقي بعد هذه الشهادة شهادة؟ شهادة نطق بها عيسى عليه السلام، منذ اليوم الأول من مجيئه إلى هذه الدنيا.

نعم، فالناس يستغربون إذا رأوا أحداً جاء وولد على غير طريقة أبيه " كيف تكلم من كان في المهد صبياً؟ " قال إني عبد الله". بدأ كلامه بعبوديته لله تعالى، ليُعلم الناس إنهم مخطئون في إخراجهم عن هذه العبودية. " والسلام علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حياً"

تعريف السلام بلام الاستغراق، فكأنه قال وكل السلام عليّ وعلى أتباعي، فلم يبق للأعداء إلا اللعن⁽³⁾، وأن ما تكلم به عيسى في المهد على ثلاثة مشاهد:

الشاهد الأول: لا يكون النطق إلا من رجل كبير مفكّر، فصدوره عن صغير يجعله خارقاً للعادة. وفي هذا إقرار بمنهج العبودية لله منذ ولادته.

الشاهد الثاني: إخباره عن أمور غيبية مستقبلية كإخباره عن إعطائه الكتاب، وجعله نبياً، ووصاته بالصلاة والزكاة هذه الأشياء لا يُؤمَرُ بها إلا أنبياء. وفي هذا إبراز لمنهجه عليه السلام.

الشاهد الثالث: براءة لمريم من اتهامها بالزنا، إذ كيف يكون لأم نبي ورسول أن تعمل الفاحشة؟ فالأنبياء جاءوا من طهرٍ وعفاف. وهذا من ملامح منهجه عليه السلام.

يا من تؤمنون أن عيسى نبي من عند الله، اسمعوا لهذا النداء الذي يوجهه إليكم عيسى عليه السلام من القرآن الكريم إذ يُعلنُ ويقول:

إني عبد الله: اعتراف بالعبودية لله.

اتاني الكتاب: الإنجيل.

جعلني نبياً: والنبوة يعطيها الله للأطهار الذين يصطفيهم.

وجعلني مباركاً: لأنه دعا إلى وحدانية الله.

وأوصاني بالصلاة: من الشرائع القديمة.

(1) سورة مريم، آية رقم 34 - 36.

(2) قطب، سيد، في ظلال القرآن، مجلد 5، ص 436، مصدر سبق توثيقه.

(3) العوي، محمد أحمد، دعوة الرسل إلى الله، ص 356، مصدر سبق توثيقه.

والزكاة: الإحسان إلى الخلق وهو عبادة مالية.

ما دمت حياً: ما دام عرق ينبض واني سأموت وسيبعثني الله.

وبراً بوالدتي: لا والد له، والبر كلمة جامعة لأعمال الخير.

ولم يجعلني جباراً: لست بفظ ولا غليظ ولا مستكبر.

والسلام عليّ: لام الاستغراق تعني وكل السلام عليّ وعلى أتباعي⁽¹⁾.

فكل مقطع من هذه النصوص نستطيع استنباط ما يدل على منهجية دعوية عنه عليه السلام.

وقال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلَفُونَ فِيهِ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا، إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾⁽²⁾، فاعبدوه... هذا المنهج، مُسَدَّدٌ بِالْوَحْيِ.

فالحكمة التي جاء بها عيسى عليه السلام هي التوراة وما فيها من تشريع والإنجيل وما فيه من مواظب.

نداء: يا من تدخلون في الجدل... أنا لم أقل لكم أنني إله، أنا لم أقل لكم أنني ابن الله، يا من تدخلون في الخلاف... ويتابع عيسى عليه السلام نداءه....

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ﴾⁽³⁾.

... لقد كان هذا الإعلان بمثابة الانقلاب في تلك الفترة التي ساد فيها الانقسام، طوائف مختلفة، انقسامات متناحرة، نحلاً متعددة؟ نذكر منها... الفريسيين، والصدوقين، والمتعصبين، والسامريين، والقراؤون⁽⁴⁾، والمقدونيين، والنسطوريين، هذا الإرث الذي وجدته عليه السلام، من عهد داود وسليمان عليهم السلام، ومن العهد القديم، حيث كانت كتب موسى عليه السلام الخمسة، مذاهب، فلسفات، طوائف، شقاق، خلاف، بليلة في الاعتقاد، عناد، ضلال، أحزاب⁽⁵⁾.

في ضلال هذه البيئة، جاء عيسى برسالته ليعلن... بيانه الراسخ الشامخ بلا خوف ولا وجل.

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ﴾⁽⁶⁾.

هذا الإعلان الذي كان له صدى عظيم فقد حاربت هذه الفرق وبدأت في الكيد كما هي سنة الأنبياء، وإنما هو طابع واحد متكرر، يدفع ضريته الدعوة إلى الله.

(1) العدوي، محمد أحمد، دعوة الرسل إلى الله، ص 356. مصدر سبق توثيقه.

(2) سورة الزخرف، آية رقم 63 - 64.

(3) سورة الزخرف، آية رقم 63.

(4) القراؤون: فرقة أنشأها عنان بن داود أحد أحبار اليهود في بغداد في أواخر القرن الثامن بعد الميلاد في عهد

الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور يدعون إلى التمسك بالعهد القديم فقط ونبذ ما دونه.

(5) قطب، سيد، في ضلال القرآن، مجلد 7، ص 348، مصدر سبق توثيقه.

(6) سورة الزخرف، آية رقم 63.

... في هذه الإثناء، وفي هذه البيئة، نرى عيسى عليه السلام يقف مخاطباً هذه الطوائف، يدعوهم إلى الله، ويرغبهم في رحمة الله، ويرهبهم من عذاب الله.

(أيها القادة العمي الذين يحاسبون الناس على البعوضة، ويبتلعون الجمل، ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون القراءون، إنكم كالقبور المبيضة، خارجها طلاء جميل وداخلها عظام نخرة)⁽¹⁾.
بهذا الخطاب نجد عيسى عليه السلام يتحدى أهل عصره، لأنه يعلم أن انتصار الحق سنة كونية كخلق السموات والأرض. وهكذا كان موقف أنبياء الله، فهذا هود عليه السلام يقف خطيباً معلناً منهجه أمام الملأ، ولو أنه ليس من أولي العزم من الرسل.

قال تعالى: ﴿قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ، إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ، مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونَ ، إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ، فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا إِنْ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ، وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿2﴾ .

وسط هذه الأمواج العاتية من الأمراض العقائدية، عشرات الآلهة تعبد من دون الله، نذكر منها: الإله عشيرة، الإله عشتروت، الإله الكروبيم، الإله الشخينة، الإله ماترونيت، الإله ليليت، الإله السبت أو السابات، الإله ايل ومعناها الله، الإله ايلوهيم وهو جمع إله، الإله أدوناي معناه الإله تموز، الإله يهوه وهو الإله القلبي، وأنه هو ربهم وحدهم ولا يحق للأمم " الجوبيم " أن تسمى هذا الاسم، حيث هو اسم رب إسرائيل وحدها قدوس إسرائيل الأوحد، وأن الأمم الجوبيم الأغيار خدم لهم، فلما فسدت حياة بني إسرائيل وحادوا عن جادة الطريق أرسل الله لهم عيسى عليه السلام، فجاءهم بالإنجيل من عند الله فكفروا به، وناصره العدا.⁽³⁾

هذا العدا... الذي لازم دعوة الرسل قبل عيسى عليه السلام، هكذا يستمر العدا، لأن عيسى عليه السلام كانت دعوته كأخوانه من أولي العزم من الرسل وهي: الإيمان بالله الواحد القهار، فلما كان عنوان دعوته عليه السلام " التوحيد " ناصره العدا، ثم حاولوا قتله وقتلوا شبيهاً له، وقالوا إنا قتلنا المسيح عيسى، وهذه عادة بني إسرائيل في قتل أنبياء الله، فقد قتلوا يحيى وزكريا.

(1) قطب، سيد، في ظلال القرآن، مجلد 7، ص 349، مصدر سيق توثيقه.

(2) سورة هود آية رقم 53- 58.

(3) الفرخان، راشد عبدالله، الأديان المعاصرة، جمعية الدعوة الإسلامية، الجماهيرية الليبية، طرابلس، ط3،

1985م، ص 13.

هكذا نرى أن كل من يدعو إلى " التوحيد " وهي عبادة الله الواحد القهار، تتداعى عليه الأمم كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها، فلا تظن أيها الداعية إلى الله أن طريقك محفوفة بالورود! فقد كان محمد ﷺ " خاتم أولي العزم " قبل أن يُعلن كلمة التوحيد... كان " الأمين " ولكن بعد أن أعلنها قاتلته العرب والعجم ورمته عن قوسٍ واحدة.

وسط هذه البيئة جاء عيسى عليه السلام، يقول للناس " إني عبد الله " في هذه الأثناء ظن أتباعه أن عيسى عليه السلام هو المسيح المنتظر المخلص، حيث كانوا يطلقون عليه اسم "المسيا"⁽¹⁾ وهي كلمة عبرية تعني الممسوح، ولكن اليهود رفضوا هذا النبي واتهموه بالكذب وطارده وتمرروا عليه، وحكموا عليه بالموت شنقاً على خشبة الصليب حتى نجاه الله منهم ورفعهم إليه، فلا نخرج عن هذه الفهم حيث لم يُدل القرآن بتفصيل هيئة الرفع⁽²⁾.

قال تعالى: ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَّبُوهُ وَلَٰكِنَّ شِبْهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اٰخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ، بَلْ رَفَعَهُ اللّٰهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللّٰهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾⁽³⁾.

أما نحن المسلمون، فنؤمن بأن السيد المسيح عيسى عليه السلام، جاء من عند الله بالهدى ودين الحق، وانه عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول.

لذلك فصل الخطاب في عيسى عليه السلام، ما ورد في كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، قال تعالى: ﴿ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا ، وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللّٰهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَّبُوهُ وَلَٰكِنَّ شِبْهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اٰخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ، بَلْ رَفَعَهُ اللّٰهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللّٰهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾⁽⁴⁾.

والقضية كالاتي: وهو أن يهوذا الاسخريوطي الخائن، كان قد دل اليهود على مكان عيسى عليه السلام وطلب منهم أن يمشي أمامهم وعندما دخل لم يجدوا شيئاً، وان الله تبارك وتعالى قد ألقى شبهة عيسى عليه السلام، " على يهوذا الاسخريوطي " وأن اليهود لم يجدوا إلا يهوذا... فقالوا له: " أنت عيسى أنت يسوع ". قال: أنا يهوذا...!! فلم يصدقوه، أنت تكذب علينا يا يهوذا، وصلبوه وهم في شك منه واضطراب.

والأعجب من ذلك أن النصارى يذهبون إلى هذا القول، بأن المسيح قد صُلب مع أنهم يعتقدون بالوهيته أو أنه ابن الله، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً⁽⁵⁾.

(1) كلمة عبرية تعني ملك عظيم يثبت الله ملكه على الكون كله ألا وهو المسيح المنتظر المخلص.

(2) قطب، سيد، في ظلال القرآن، مجلد 2، ص 588، مصدر سبق توثيقه.

(3) سورة النساء، آية رقم 157 - 158.

(4) سورة النساء، آية رقم 156 - 158.

(5) الصابوني، محمد علي، النبوة والأنبياء، ص 220، مصدر سبق توثيقه.

نروم جوابه ممن وعاه
يهودي فما هذا الإله؟

أعباد المسيح لنا سُؤال
إذا صُلب الإله بفعل عبدٍ

لذلك نرى أن أهل الكتاب، اليهود والنصارى قد غالوا في عيسى المسيح عليه السلام، فاليهود قالوا:
أن عيسى ابن زنى، لان الولد لا بد أن يكون له والد.
وكذلك النصارى قالوا: إن عيسى المسيح هو ابن الله، وابن الله هو من روح الله، وروح الله جزء
من الله، لذلك فهو ابن الله.

أما المسلمون فيردون على هذه الأباطيل بقول الله عز وجل: قال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا
فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى
مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ
يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿١﴾.

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ
اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ
أَنْصَارٍ ، لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثٌ ثَلَاثَةٌ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ
لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ، أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونََهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ، مَا
الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ
لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٢﴾.

ويضرب القرآن الكريم مثلاً بآدم عليه السلام وأنه خلق بدون أب وأم فيكون أمر آدم أعجب من
أمر عيسى عليهما السلام.

قال تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ، الْحَقُّ مِنْ
رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٣﴾.

هذه النصوص تؤكد بما لا يدع مجالاً للشك، أن العقيدة النصرانية التي جاء بها عيسى عليه السلام
هي عقيدة التوحيد التي نادى بها إخوانه الذين سبقوه من أولي العزم، وأنها إحدى ديانات التوحيد
الأساسية، وأن الأنبياء كلهم مسلمون، وأن الحقيقة هي التي جاء بها الرسل الكرام، وهي توحيد الله،
فلا تستقر تصورات الناس ولا مشاعرهم، إلا حين يكون عندهم اليقين الكامل بهذه الحقيقة، وهي

(1) سورة النساء، آية رقم 171.

(2) سورة المائدة، آية رقم 72 - 75.

(3) سورة آل عمران، آية رقم 59 - 60.

حقيقة الوجدانية، وان الله واحد، ونحن عبيد له، وأنه خالق ونحن مخلوقون، وهو مالك ونحن مملوكون، فلا بُدَّ لأحد، كل الناس عبيد لرب واحد، وأن موقف الناس تجاه الخالق واحد⁽¹⁾. يقول المُستشرق الفرنسي " ايتين " أن نصوص الإنجيل تبعث في النفس الشك لأن الإنجيل الموحى به من عند الله إلى المسيح ضاع واندثر فلم يبق له أثر، وقد عرفت في النصرانية أناجيل كثيرة، وصلت إلى أكثر من سبعين إنجيلاً، وقال البعض إنها أكثر من مائة إنجيل. وهذا مثال " نموذج " من النصوص التي وردت في أناجيل النصارى.

(ورد في انجيل لوقا جئت لألقى ناراً على الأرض، فماذا أريد لو اضطربت، أتظنون إني جئت لأعطي سلاماً على الأرض كلها، بل انقساماً، لأنه يكون من الآن خمسة من بيت واحد منقسمين، ثلاثة على اثنين، واثنين على ثلاثة، ينقسم الأب على الابن، والابن على الأب، والأم على البنت، والبنت على الأم، والحماة على كنتها، والكنة على حماتها)⁽²⁾، لا شك أنها نصوص ما انزل الله بها من سلطان، تدعو إلى إشاعة البغضاء بين الناس.

وحول ما أثير من أسئلة وأقاويل على لسان عيسى عليه السلام: فقد أكد القرآن الكريم، أن كل نبي مرسل دعا إلى التوحيد وإلى عبادة الله، فهذا عيسى عليه السلام يستجوبه الله بين الخلائق، فيُدعى يوم القيامة من بين الأنبياء فيسأله تبارك وتعالى وذلك تكريماً له عليه السلام، وتقريعاً لعبديه ممن كذبوا عليه، فيسأل الله تعالى وهو أعلم.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلهِينَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ، مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ اعبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ، إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبَادُكَ وَإِنْ تُغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣﴾

واذكر يا محمد... أيها الرسول للناس، يوم يجمع الله الرسل فيسألهم الله، ماذا أجابتكم أممكم؟ فيسأل الله جل جلاله عيسى من بين الأنبياء، يا عيسى: هل أنت قلت للناس أن يتخذوك وأمك الهين من دون الله؟ فلا شك ان هذه النصوص تدل على منهجه عليه السلام في الدعوة إلى الله وأن هذا المنهج فيه سعادة الناس في الدنيا والآخرة.

هل بأمر منك يا عيسى أم ابتدعوه؟ والله جل جلاله يعلم أن عيسى لم يقل لهم، والحكمة تقتضي من الله تبارك وتعالى تبرئة عيسى عليه السلام من الشرك أولاً، وثانياً إقامة الحجة على هؤلاء الذين

(1) قطب، سيد، في ظلال القرآن، مجلد 2، ص 614، مصدر سبق توثيقه.

(2) مقارنة أديان، منشورات جامعة القدس المفتوحة، ط 1، 1998م، ص 256، مصدر سبق توثيقه.

(3) سورة المائدة، آية رقم 116 - 118.

ظلموا عيسى وأمه. لأن رسل الله جميعاً جاءوا بالتوحيد الخالص⁽¹⁾. هذا السؤال لعيسى أمام الأنبياء والرسل، وكذلك يتكرر السؤال مرة أخرى للرسل جميعاً.

قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾⁽²⁾.

فالناس الذين عاصرونا نعلم الظاهر منهم فقط، وأما من أتوا بعدنا من الأقوام، فلا نعلم شيئاً عنهم. يا أهل الكتاب: إن تَبَرُّوا عيسى عليه السلام من كل ما قيل حول بنوته، وألوهيته، يدخل في علم الله الأزلي، بما يصير إليه أمر النصارى من اختلاف حول عيسى عليه السلام، فالقرآن الكريم يكشف هذا الحوار بين الأنبياء يوم الجمع، وهذا يُعتبر دعوة لكم إلى التوحيد⁽³⁾.

كذلك نقول إلى أهل الكتاب: إن عيسى عليه السلام عندما يقول: قال تعالى: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾⁽⁴⁾، هذا يعني: أن عيسى عليه السلام حصل منه البلاغ، وأقيمت عليهم الحجة بالأعذار إلى الله⁽⁵⁾.

ولأن عيسى عليه السلام يكون يوم القيامة شهيداً على الناس، لذلك أحرى بأهل الكتاب في هذه الأيام أن يؤمنوا به في الحياة الدنيا، قبل الموت وأن عيسى عليه السلام تسلّم العُهد من الأنبياء الذين سبقوه، حيث سلّمها إلى خاتم الأنبياء والمرسلين ليكمل البناء، بناء الدعوة إلى الله، حيث قام محمد ﷺ بوضع اللبنة الأخيرة لهذا البناء، وقد قام عيسى عليه السلام ذات يوم خطيباً في بني إسرائيل، فبشرهم بخاتم الأنبياء الذي سيأتي بعده، وقال لهم أن هذا النبي اسمه أحمد، وذكر لبني إسرائيل أوصافه ليتبعوه إذا شاهدوه، من أجل إقامة الدين. علماً أن الفترة التي كانت بين عيسى عليه السلام، ومحمد ﷺ ستمائة سنة.

ومن تعاليمه عليه السلام نجد تحت شعار النصرانية يقول لاتباعه: " أحبوا أعداءكم، باركوا لأعينكم، ومن ضربك على خدك الأيمن فأدر له الخد الأيسر"⁽⁶⁾، أما الذين يتبعون النصرانية اليوم، فليسوا من اتباع المسيح، لأنهم ليس في قلوبهم رافة ولا رحمة، وانه سوف يتبرأ منهم يوم القيامة، فهم يستيحيون تيتيم الأطفال، وتخريب البيوت، وإراقة الدماء في سبيل الاستعمار الجشع، والاحتلال المقيت.

فأين هؤلاء من سلفهم الذين اتبعوا المسيح عليه السلام؟ أين هم من أنصار عيسى عليه السلام؟ أين هم من تلامذة المسيح الذين فرّوا بدينهم إلى قمم الجبال وغلظ العيش حتى لا يظلموا أحداً؟

(1) العدوي، محمد أحمد، دعوة الرسل، ص 350، مصدر سبق توثيقه.

(2) سورة المائدة، آية رقم 109.

(3) بهجت، أحمد، أنبياء الله، دار الشروق، القاهرة، ط 25، 1999م، ص 351.

(4) سورة المائدة، آية رقم 117.

(5) الأندلسي، بن عطية، المحرر الوجيز، ج 5، ص 109، مصدر سبق توثيقه.

(6) القرضاوي، يوسف، الصحوة الإسلامية بين الجمود والتطرف، ص 141، مصدر سبق توثيقه.

إنهم نسوا تعاليم عيسى المسيح عليه السلام فبدلت رأفتهم قسوة، ورحمتهم غلظة وعدلهم ظلماً، وصالحهم فساداً، يحرصون على نشر فساد الأخلاق في كل بلد، يؤلبون الناس بعضهم على بعض، جعلوا الناس شيعاً وأحزاباً، ليزيق بعضهم بأس بعض، وكأنهم وكلاء الله في هذه الأرض، وأوصياؤه على الشعوب، وكأن الناس ليسوا من أولاد آدم، أهؤلاء الذين جعل الله في قلوبهم " رافة ورحمة "؟ أهؤلاء الذين لم يقبلوا بنظام الله؟ بل أضافوا الرهانية التي ابتدعوها، فهم يقولون: من لم يكن معنا فهو علينا، فلنسمع ما سوف يقوله لهم عيسى عليه السلام غداً يوم الحسرة والندامة⁽¹⁾، قال تعالى: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾⁽²⁾.

فلتستذكروا أمركم اليوم باتباع منهجه عليه السلام قبل أن لا يكون خلة ولا شفاعة.

المشهد الثاني: الأساليب التي اتبعها عيسى عليه السلام في الدعوة إلى الله

(أ) دعوته إلى الله بالحكمة

فالحكمة هي البراهين الساطعة المبيّنة للحق المدحضة للباطل، وهي نور يقذفه الله في قلب المؤمن بقدر تضحيته للدين ويتأتى معها وضع الأمور في مواضعها، وإدراك الصواب واتباعه . إن الذي علم عيسى عليه السلام الحكمة هو الله، قال تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾⁽³⁾، فالحكمة: هي حالة في النفس يتأتى معها وضع الأمور في مواضعها، وإدراك الصواب واتباعه⁽⁴⁾.

إن الذي علم عيسى الحكمة هو الله، والحكمة هنا الإنجيل، وهو إحياء لروح التوراة، والتي هي قاعدة دين المسيح عليه السلام، فلم يُعدّل الإنجيل في التوراة إلا القليل، فقد دعا المسيح إلى الله بالحكمة، والسداد في الرأي والعمل، وهذه سنة الأنبياء، فكان المسيح حافظاً للتوراة والإنجيل، فكان يمثل الروح التي نزلت فيها التوراة والإنجيل، فكانت خلفه الذي يمشي معه⁽⁵⁾.

(1) العدوي، محمد أحمد، دعوة الرسل، ص 365. مصدر سبق توثيقه.

(2) سورة المائدة ، آية رقم 117.

(3) سورة آل عمران، آية رقم 48.

(4) قطب، سيد، في ظلال القرآن، مجلد 1، ص 588، مصدر سبق توثيقه.

(5) الصابوني، محمد علي، صفوة التفاسير، مجلد 1، ص 202، مصدر سبق توثيقه.

ب) الخطابية:

وهي بيان الدعوة للناس وجهاً لوجه ، بالصورة والصورة، وهذا أبلغ في التأثير في نفوس الناس. قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾⁽¹⁾. عيسى ابن مريم لم يقل يا قوم، لأنه لا نسب له فيهم، حيث هو نفخة من روح الله، فلم يكن له في بني إسرائيل أب، خاطبهم حيث اعترف لهم بالتوراة، حتى يتحصل على مودتهم، وهذا نوع من الحكمة والتحبب، وأن لكم عندي بشارة عظيمة، هذه البشارة بأنه سوف يأتي بعدي نبي اسمه احمد، وهذا الاسم هو اسم لنبينا محمد ﷺ . ويتضمن الخطاب مقدمة بمثابة نداء أو إعلان بنبوته، وتصديق بكتابتهم العهد القديم، وبشارة برسول، لكن هذا الرسول الذي بشرهم به لم يأت من قومهم، لذلك كذبوه وحاربوه.

ج) سنة الأنبياء اتخاذ نقباء:

فالنقباء هم الأشراف من القوم ، الذين يستأنس برأيهم لمصلحة الدين والدنيا، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمْ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَا مُسْلِمُونَ﴾⁽²⁾.

ومع أن عيسى المسيح أتى بني إسرائيل بالدلائل الواضحات والآيات والمعجزات التي لم تتوافر لقوم من الأقوام، مثل إحياء الموتى، وإبراء الأكمة والأبرص، هذه الآيات تشهد بأن الله وراءها... وبالرغم من هذا كله... فقد كفر بنو إسرائيل.....!

لذلك فإن الدعوة إلى الله تستدعي من عيسى عليه السلام أن يتخذ له حواريين، لهذا وجّه عليه السلام إلى بني إسرائيل بطاقة دعوة يقول فيها: " من أنصاري إلى الله" من يمشي معي في هذه الدعوة ؟ من يسلك معي هذا الطريق؟ طريق الدعوة إلى الله، طريق المنهج الإلهي حتى نبُلِّغَ دين الله؟

ما أعظم هذا النداء وهذا الأسلوب التي اتخذه من قبله إخوانه من أولي العزم، منذ نوح عليه السلام وحتى خاتم الأنبياء محمد ﷺ .

فلا بد للداعية من بطانة سالحة، تعينه في دعوته، وتدافع عنه، ولا بد له من أنصار ينهضون معه، يبلِّغون دين الله، فيكونون بمثابة الخليفة على هذه الأرض، حتى ولو كانت هذه البطانة قلة،

(1) سورة الصف، آية رقم 6.

(2) سورة آل عمران، آية رقم 52.

فإن الله معها، وسينصرها لأنه تبارك وتعالى وليّ الصالحين المصلحين⁽¹⁾، فهو ولي ذلك والقادر عليه، فالنهاية لهؤلاء الأنصار إلى يوم القيامة.

قال تعالى: ﴿وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾⁽²⁾.

(د) دعوته إلى الله بالترغيب والترهيب:

قال تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾⁽³⁾، ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونََهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾⁽⁴⁾.

هكذا نجد أن عيسى عليه السلام يُحذّر بني إسرائيل من الشرك بالله، وبسبب إديارهم وشركهم يحرمن جنة فيها ما لا عين رأت، ولا إذن سمعت، وما خطر على قلب بشر، ﴿أَعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾⁽⁵⁾، ﴿فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَأَكِهَةٍ زَوْجَانِ﴾⁽⁶⁾، ﴿فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾⁽⁷⁾.

كذلك نجد أن عيسى عليه السلام يُحذّر هؤلاء الذين يشركون بالله، بأن الجنة هذه محرمة عليهم. ولكن أين يكون مأواهم؟ " ومن يُشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار " المأوى... النار ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾⁽⁸⁾. فهذا جزاء من أشرك بالله فمأواه جهنم وساعت مصيرا.

نرى أن عيسى عليه السلام يحض أهل الكتاب ويرغبهم في التوبة، وهذه الدعوة هي سنة الأنبياء جميعاً من قبله، وخاصة أولي العزم من الرسل، من عهد نوح إلى محمد عليهم السلام⁽⁹⁾. وهذا نداء على أهل الكتاب، نستلهمه من النصوص الدالة على منهجه عليه السلام: يا أهل الكتاب انتهوا عن تعظيم عيسى عليه السلام. يا أهل الكتاب انتهوا عن كل الانحرافات والأهواء.

(1) قطب، سيد، في ظلال القرآن، مجلد 1، ص 593، مصدر سبق توثيقه.

(2) سورة آل عمران، آية رقم 55.

(3) سورة المائدة، آية رقم 72.

(4) سورة المائدة، آية رقم 74.

(5) سورة الحديد، آية رقم 21.

(6) سورة الرحمن، آية رقم 52.

(7) سورة الرحمن، آية رقم 56.

(8) سورة السجدة، آية رقم 20.

(9) قطب، سيد، في ظلال القرآن، مجلد 2، ص 816، مصدر سبق توثيقه.

يا أهل الكتاب انتهوا عن القول إن عيسى ابن مريم هو الله..

يا أهل الكتاب انتهوا عن القول أن عيسى هو ثالث ثلاثة.

يا أهل الكتاب توبوا من قريب واستغفروا الله.

يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم.

يا أهل الكتاب قولوا: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾⁽¹⁾.

لذلك نوجه نداء إلى كنائس العالم الكنيسة الكاثوليكية الغربية ومقرها الفاتيكان، الكنيسة الأورثوذكسية الشرقية ومقرها القسطنطينية، الكنيسة البروتستانتية الأغلبية ومركزها بريطانيا ثم أمريكا. والسريانية الأرمنية في آسيا، دعواكم من فكرة التثليث والخطيئة الموروثة التي انتهت، وأدت إلى الصلب والفداء. لا تختلفوا في طبيعة المسيح، لأنه سوف يقول لكم... قال تعالى: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ آعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾⁽²⁾

وان الاسم الأصوب هو: النصرانية بالنسبة إلى الناصرة⁽³⁾، وهي التي استخدمها القرآن، وليس المسيحية، حيث أن النصرانية اشتقت من أنصار الله الذين نصرنا عيسى عليه السلام، الذين كانوا رحماء بالخاطئين والعائرين، ودعاة متواضعين، متجردين من أوامر المنافع والشهوات، "يوجهون خطابهم للجماهير الفقيرة والمطحونة والعاجزة، حيث أن هؤلاء في الغالب هم الحلفاء الطبيعيون لأي دعوة تغيير أو إصلاح، لأنهم لا يريدون استمرار الأوضاع الظالمة"⁽⁴⁾.

هؤلاء الذين حملوا دعوة عيسى المسيح عليه السلام. وكلمة المسيح هي لقب مشهور تقدم على الاسم، قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾⁽⁵⁾.

المشهد الثالث : العقيدة الصحيحة للنصارى في نظر الإسلام.

إن الحديث عن عقيدة النصارى الصحيحة يعزز المنهج الذي سلكه عيسى عليه السلام في الدعوة إلى الله، فنجد أن الإسلام يلتقي مع النصرانية في العقيدة الإلهية، لأنهم يقرون بالتوحيد قال تعالى على لسان عيسى عليه السلام: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ

(1) سورة المائدة، آية رقم 75.

(2) سورة المائدة، آية رقم 117.

(3) الناصرة : مدينة فلسطينية تقع شمال فلسطين.

(4) محمد مورو، منهج المسيح في الدعوة إلى الله، 2005/5/26م.

(5) سورة آل عمران، آية رقم 45.

وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ، وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ، وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلَنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ، وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿١﴾

وقال تعالى: على لسان عيسى عليه السلام: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾⁽²⁾، حيث أمر القوم أن يفرّدوا الله في العبادة وهو في المهد، وهذا في حد ذاته إعلان من عيسى عليه السلام عن ربوبية الله له وللناس، فهي دعوة إلى عبادة الله الواحد القهار⁽³⁾.

حيث نطق عليه السلام بالوحدانية المطلقة لله، هذا بالنسبة إلى العقيدة. فنحن المسلمون نعتقد أن المسيح ابن مريم "كلمة الله"، فكل من يعتقد من النصارى أن عيسى "كلمة الله" نلتقي معه، والكلمة تأتي بمعان كثيرة منها:

ففي معنى قول: قال تعالى: ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾⁽⁴⁾.

وفي معنى وعد: قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ، إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ﴾⁽⁵⁾.

وفي معنى عقيدة: قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا﴾⁽⁶⁾.

وفي معنى ناموس: قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾⁽⁷⁾.

وفي معنى مخلوقات: قال تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي﴾⁽⁸⁾.

وفي معنى حكم قضاء: قال تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾⁽⁹⁾.

فمن كان هذا فهمهم، على هذا السياق نتفق معهم وإلا فلا.

أما الذين أنكروا الكلمة بما يناقض عقيدة التوحيد، فقد ورد في انجيل يوحنا الرابع أن "كلمة" معناها الله، أو ابن الله فنختلف معهم⁽¹⁰⁾.

(1) سورة مريم، آية رقم 30 - 33.

(2) سورة مريم، آية رقم 36.

(3) قطب، سيد، في ظلال القرآن، مجلد 3، ص 216، مصدر سبق توثيقه.

(4) سورة الكهف، آية رقم 5.

(5) سورة الصافات، آية رقم 171.

(6) سورة آل عمران، آية رقم 64.

(7) سورة الأنعام، آية رقم 34.

(8) سورة الكهف، آية رقم 109.

(9) سورة الأنعام، آية رقم 115.

(10) الأطير، حسني يوسف ، عقائد النصارى الموحدين، دار الأنصار، ط 1، 1985م، ص 242.

...أما بالنسبة إلى القتل والصلب:

قال تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ﴾⁽¹⁾.

نحن المسلمين نؤمن أنهم ما قتلوه وما صلبوه، فلم يذكر القرآن قصة موت نبي من الأنبياء، ولا رسول من الرسل، كيف مات آدم، وحواء، ونوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد، كيف مات عيسى لا نعرف! سوى أنهم ما قتلوه، وما صلبوه، ولا نقول ما يقوله النصارى من أنه عليه السلام قدم نفسه ذبيحة فداءً عن البشر، أو كفارة عن خطيئة آدم، الخطيئة اللامتناهية بزعمهم.

لكن يوجد نصارى موحدون أنكروا هذا الزعم، هؤلاء نتفق وثلثي معهم في أصل الاعتقاد، وهم بحق مسلمون قبل المسلمين. فنحن وهؤلاء النصارى الموحدون نؤمن بأن عيسى ابن مريم، ولد من أمه وهي عذراء، أولئك هم القائلون بالتوحيد المجرد، المنكرون للتأليه.

قال تعالى: ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾⁽²⁾.

وقال القران الكريم على لسانها: ﴿قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾⁽³⁾.

وقال تعالى: ﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾⁽⁴⁾.

والإحصان: يعني أن المعاشرة الجنسية لم تحصل، ولم تقع بشأن الحمل للمسيح، بعض النصارى يفهمون هذا الفهم، لذلك نتفق معهم، وأما الذين يعتقدون بولادة المسيح بن مريم عن طريق علاقة بين مريم، ورجل عرفته أو يوسف النجار، هؤلاء نختلف معهم⁽⁵⁾.

فالإسلام يقر بولادة العذراء، ويرفض رفضا باتا تأليه المسيح، وندين ونعلن كفر هؤلاء الذين يفهمون غير هذا الفهم، ويرون غيره، وأنهم خرجوا من عقيدة التوحيد.

قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾⁽⁶⁾.

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾⁽⁷⁾.

(1) سورة النساء، آية رقم 157.

(2) سورة آل عمران، آية رقم 47.

(3) سورة مريم، آية رقم 20.

(4) سورة الأنبياء، آية رقم 91.

(5) الأطير، حسني يوسف، عقائد النصارى الموحدين، ص 235. مصدر سبق توثيقه.

(6) سورة المائدة، آية رقم 17.

(7) سورة المائدة، آية رقم 73.

وقال تعالى: ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ، لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ، تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ، أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ، وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴾⁽¹⁾.

وفي نهاية هذا المشهد أقول عن عيسى المسيح ما يقوله القرآن الكريم الذي ينطق بالحق، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﴾⁽²⁾.

وقال تعالى: ﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَى ابْنِ مَرْيَمَ وَاتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ ﴾⁽³⁾.

وقال تعالى: ﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾⁽⁴⁾.

وهذا يعني أن عيسى عليه السلام جاء لإتمام الناموس الذي جاء به موسى، وأنه لم يعلن عليه السلام يوماً من الأيام انه جاء لنسخ شريعة موسى عليه السلام، ولنا موقف معشر المسلمين من هؤلاء الذين حملهم الله التوراة ثم لم يحملوها حيث قال سبحانه: ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾⁽⁵⁾.

هؤلاء الذين لم يهتدوا بهدي التوراة ولا بنورها، ولا يعملون بها، ولو أنهم آمنوا بالتوراة وعملوا بها لآمنوا ذلك الإيمان الذي يدخلهم الجنة ويباعدهم من النار، فهم عالمون بالتوراة، بما فيها من آيات تدل على أن محمداً خاتم الأنبياء والمرسلين، ووجوب الإيمان به ﷻ ، فالله جل جلاله يوبخهم ويقول عنهم، بئس أولئك القوم فهم كالحمير التي تحمل الكتب ليس لها من حملها إلا الكد والتعب⁽⁶⁾، إذ ليس لأمة محمداً ﷻ إلا أن تقف هذا الموقف من أولئك الذين حملوا التوراة ولم يحملوها، ولم يعتقدوا بما فيها.

أما موقف أهل الكتاب من الإسلام، فهم يعرفون محمداً ﷻ من خلال كتبهم التوراة والانجيل، فهم يعرفون النبي الأمي كما يعرفون أبناءهم لأن أوصافه مكتوبة عندهم. قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾⁽⁷⁾.

(1) سورة مريم، آية رقم 88 - 92.

(2) سورة النساء، آية رقم 171.

(3) سورة الحديد، آية رقم 27.

(4) سورة المائدة، آية رقم 46.

(5) سورة الجمعة، آية رقم 5.

(6) الصابوني، محمد علي، صفوة التفاسير، مجلد 3، ص 379، مصدر سبق توثيقه.

(7) سورة البقرة، آية رقم 146.

فمنذ موسى عليه السلام، مروراً بجميع الأنبياء، وحتى عيسى عليه السلام، يعرفون محمداً، معرفتهم لأولادهم، لكن بعضهم يصر على كتمان الحق وهم يعلمون، وقد أكدت نصوص التوراة والانجيل بالنبي المنتظر محمد ﷺ، فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين، فمن من الآباء لا يعرف أبناءه؟ هذه المعرفة لا تترك لهم حجة أو مهرباً من الاعتراف بمحمد ﷺ كما أمرهم الله، هؤلاء الذين ينكرون محمداً ﷺ، لن يُفلحوا إذاً أبداً⁽¹⁾.

قال تعالى: ﴿تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ﴾⁽²⁾.

في نهاية هذا الفصل ألا وهو منهج عيسى عليه السلام في الدعوة إلى الله، لا بد من الإشارة إلى أن دعوته كانت في الأصل إلى بني إسرائيل، لهداية الضال منهم، أما مخطوطة الدعوة اليوم فقد نسوا تعاليم عيسى عليه السلام بل تتأسوها، فلجأوا إلى أسلوب آخر، وهو تشكيك الناس في أديانهم، فقد جُنِّد رجال الدين في الغرب لخدمة السياسة الغربية فهذا صموئيل زويمر رئيس الجمعيات التبشيرية "اليهودي" يقول في مؤتمر القدس 1935م. (يا أيها الأخوان الأبطال والزملاء ممن كتب لهم الجهاد في سبيل المسيحية، واستعمارها لبلاد الإسلام ومهمة التبشير التي ندبتمكم دول المسيحية للقيام بها في البلاد المحمدية، ليست هي إدخال المسلمين في المسيحية فإن في هذا هداية لهم وتكريماً، وإنما مهمتكم أن تخرجوا المسلم من الإسلام ليصبح مخلوقاً لا صلة له بالله، وبالتالي لا صلة تربطه بالأخلاق التي تعتمد عليها الأمم في حياتها، ولذلك تكونون أنتم بعملكم هذا في طليعة الفتح الاستعماري في الممالك الإسلامية. وهذا ما قمتم به خلال الأعوام المائة السالفة خير قيام، وهذا ما أهنتكم عليه⁽³⁾). حيث أن هذا الفكر هو التيار العام في هذه الأيام، فمن أين نأتي بفكر الصالحين أمثال آل عمران وعيسى نفسه؟؟؟ لنستمد من فكرهم روح الحياة.

(1) الباش، حسن، الكتاب والتوراة عندما باع الحاخامات موسى عليه السلام، دار قتيبة، ط 1، 2004م، ص 149.

(2) سورة المائدة، آية رقم 80.

(3) الفرخان، راشد عبدالله، الأديان المعاصرة، جماعة الدعوة الإسلامية العالمية، الجماهيرية الليبية طرابلس، ط2،

1985م، ص 40.

الفصل الخامس

منهج محمد عليه الصلاة والسلام في الدعوة إلى الله

تمهيد:

... لقد كانت عناية الله تبارك وتعالى برسله قبل أن تأتيهم الرسالة من السماء، فكانت عين الله ترعى محمداً خاتم الأنبياء والمرسلين، قبل أن يكون رسولاً وبعد أن كان.

... فمن هذه الإرهاصات والرعايات لرسول الله ﷺ، ما حصل له في يوم من أيام طفولته حيث قال: "لقد رأيتني في غلمان قريش، ننقل حجارة لبعض ما يلعب به الغلمان، ما منا إلا وقد تعرى وأخذ إزاره فجعله على رقبته يحمل عليه الحجارة، فإني لأقبل معهم وأدبر، إذ لكمني لاكم... ما أراه لكمة وجيعة، ثم قال: شدّ عليك إزارك، فأخذته وشددته عليّ، ثم جعلت أحمل الحجارة على رقبتي وإزاري عليّ. من بين أصحابي"⁽¹⁾.

وقد حدث مرة في صباه ﷺ بمكة، تجمع القوم فيه للهو واللعب، فذهب إليه كما يذهب الصبية للمشاهدة والسرور، لكنه لم يلبث أن غلبه النوم، فانتحى خلف الدار، ونام حتى أيقظته شمس الصباح.⁽²⁾

... صدق المثل الذي يقول: "من شب على شيء شاب عليه"، وأن "الإنسان أسير العادة". لذلك يقول علماء النفس أن الإنسان يسهل تشكيله وتهذيبه منذ طفولته إلى العشرين عاماً، وتبدأ الصعوبة في التغيير إلى الثلاثين عاماً، وتكاد تبلغ المستحيلات عند الأربعين.

... إن الذي يدرس سيرة الرسول محمد ﷺ، يجد أن الوحي جاءه في الأربعين، حيث كانت سيرته كلها خير قبل البعثة. فلا شك أن البيئة التي كانت سائدة في هذه الأثناء كانت بيئة ظلام، عبادة أصنام، وشرك، وشر، وفساد، وقمار، وخمر، ووأد بنات، وقتل، وبغي، وزنا، وعصبية قبيلية، وسلب، ونهب، وغارات على بعضهم بعضاً، وحروب.

في هذا الجو المتلاطم بالظلمات، بعضها فوق بعض، ألقى الله تبارك وتعالى في قلب محمد صلى الله عليه وسلم حب العزلة، فكان يخلو بنفسه ويتعد عن هذه الأحوال، فاختر لخلوته مكاناً، اسمه "جبل حراء" وهو أحد جبال مكة المطلّة عليها، فكان ﷺ يخلو، ويتعبّد، ويتحنّف⁽³⁾، وفي تلك الأثناء ينزل عليه جبريل عليه السلام، بأمر من الله تبارك وتعالى، فقال له: اقرأ، قال: ما أقرأ؟ قال

(1) عبد الوهاب، أحمد، النبوة والأنبياء في اليهودية والمسيحية والإسلام، مكتبة وهبة، القاهرة، ط 2، ص 175، 1992م.

(2) ابن هشام، أبو محمد عبد الملك، ج 1، ص 167، مصدر سبق توثيقه.

(3) يتحنّف = من الحنفية السمحة حيث يقال لهم "الأحناف".

فغنتي⁽¹⁾ به، حتى ظننت أنه الموت، ثم أرسلني فقال: اقرأ. قال: قلت ماذا أقرأ؟ قال فغنتي به حتى ظننت انه الموت ثم أرسلني فقال: اقرأ. قال: قلت ماذا أقرأ؟ قال فغنتي به حتى ظننت أنه الموت ثم أرسلني قال: اقرأ. فقال: قال تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ، اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ، الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ، عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾⁽²⁾.

قال: فقرأتها ثم انتهي، فانصرف عني، فكانت هذه الآيات فكأنما كتبت في قلبي كتابته، قال: فخرجت حتى إذا أدركت وسط الجبل، سمعت صوتاً من السماء يقول يا محمد: أنت رسول الله، وأنا جبريل، قال: فرفعت رأسي إلى السماء انظر، فإذا جبريل في صورة رجل صافٍ قدميه في أفق السماء، يقول: يا محمد، أنت رسول الله وأنا جبريل، فوقفت انظر إليه لا أتقدم وما أتأخر، فجعلت أصرف بصري عنه في آفاق السماء، قال: فلا انظر من ناحية إلا رأيتك كذلك، فما زلت واقفاً حتى بعثت خديجة رُسُلها في طلبي، فبلغوا على مكة، ورجعوا إليها وأنا واقف في مكاني ذلك، ثم انصرف عني⁽³⁾.

... محمد ﷺ: يُحَدِّثُ خَدِيجَةَ مَا رَأَى، فَتَقُولُ لَهُ أَبْشِرْ يَا ابْنَ عَمِّ وَاثْبِتْ، فَوَالَّذِي نَفْسُ خَدِيجَةَ بِيَدِهِ، أَنِّي لِأَرْجُو أَنْ تَكُونَ نَبِيَّ هَذِهِ الْأُمَّةِ.

هذه المعاناة التي اخبر عنها ورقة بن نوفل، عندما ذهبت إليه خديجة رضي الله عنها واخبرته بما حصل مع محمد، قال لها: "لم يأت رجل بمثل ما جاء به إلا عودي"⁽⁴⁾. فيا ليتني جدّعا⁽⁵⁾ فاتبعك! وسُيَخْرَجُكَ قَوْمُكَ.

(1) فغنتي = ضمني إليه وعصرني كما تضم الأم ولدها إلى صدرها رحمة به وشفقة عليه وفي رواية فدعنتي بمعنى الخنق والضم، وفي رواية غطني.

(2) سورة العلق، آية رقم 1 - 5.

(3) ابن هشام، السيرة النبوية، ج1، ص 241. مصدر سبق توثيقه.

(4) أمحزون، محمد، منهج النبي في الدعوة إلى الله، دار السلام القاهرة، ط 1، 2002م، ص 61.

(5) جدعا: قويا شاباً حدثاً. ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، مادة (جدع)، دار إحياء التراث، بيروت، مجلد8، ص45.

وقد اعتبر علماء السيرة أن ما حدث معه ﷺ هو: " التريبة بالحدث" حيث أنه عندما وصل إلى خديجة رضي الله عنها، كان يرجف فؤاده فقال لها: " زملوني زملوني" (1)، فزملوه حتى ذهب عنه الرعب، فلما قام من نومه قال لخديجة: " لقد خشيت على نفسي " فقالت: كلا والله ما يُخزيك الله أبداً، انك لتصل الرحم، " وتحمل الكل" (2) وتكسب المعدوم (3) وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق (4).

أما مراحل الدعوة فيمكن تحديدها على الأوجه الآتية:

المرحلة الأولى: بدأها ﷺ بالدعوة سراً والتي سوف نتعرض إليها بالتفصيل، ثم كيف قام ببناء العقيدة في قلوب أصدقائه، حيث اجتهد على بناء القاعدة الصلبة، والأساليب التي استخدمها في الدعوة، والوسائل التي اعتمد عليها في جهاد الدعوة السرية.

المرحلة الثانية: الصدع بالدعوة، وما صاحبها من صراعات.

المرحلة الثالثة: تكوين الدولة في المدينة، كيف واجه المشركين والمنافقين وتوجيهاته الجهادية.

المرحلة الأولى: بدء الدعوة سراً، والسماة التي اتسمت بها

أول من آمن مع محمد ﷺ ، خديجة رضي الله عنها، فصدقت به فهونت عليه الأمر منذ اللحظة الأولى بعد نزول الوحي، فقد بدأت المرحلة الأولى في الدعوة إلى الله، ألا وهي الدعوة السرية التي استمرت ثلاث سنوات في الخفاء...

آمن بعد خديجة رضي الله عنها، أبو بكر رضي الله عنه، ثم ابن عمه علي بن أبي طالب حيث كان فتىً، ثم زيد بن ثابت، كانوا يسألون الرسول ﷺ : ماذا نعمل؟ يقول لهم: عملكم عملي. فتكون وظيفتهم وظيفة الرسول صلى الله عليه وسلم، فمن يُسلم يدعو غيره إلى الإسلام.

فما كان من أبي بكر إلا أن دعا أصدقاءه عثمان بن عفان، وطلحة بن عبيد الله، وسعد بن أبي وقاص، وورقة بن نوفل، وأبو ذر الغفاري، والزبير بن العوام، وعمر بن عنبه، وسعيد بن العاص. وفي هذا منهج دعوي، فمن يؤمن يدعو غيره للإيمان.

(1) زملوني = أدخلوني في ثيابي وغطوني بها.

(2) الكل = المحتاج.

(3) تكسب المعدوم = تعطي من المال ما لا يُعطيه غيرك.

(4) الجزائري، أبو بكر، هذا الحبيب محمد، دار الفكر، بيروت، ط 1، 1995م، ص 57.

... بدأ الإسلام ينتشر في مكة، فترامت الأخبار بين الملأ من قريش، بعد فترة ثلاث سنوات سراً حيث أضفت هذه الفترة ظلالاً من الإيمان، نضح في قلوب هؤلاء الأوائل السابقين، فكانوا النواة الأولى التي صنعها ﷺ في جيش الإسلام⁽¹⁾.

بدأ عدد المسلمين يزداد، فأسلم أبو عبيدة عامر بن الجراح، وأبو سلمة، والأرقم بن أبي الأرقم، وعثمان بن مظعون، وأخوه قدامة وعبدالله ابنا مظعون، وعبيد بن الحارث، وسعيد بن زيد وامرأته فاطمة بنت الخطاب، أخت عمر بن الخطاب، وأسماء بنت أبي بكر وعائشة بنت أبي بكر " وكانت صغيرة " وخباب بن الارت، وعمير بن أبي وقاص، أخو سعد بن أبي وقاص، وعبد الله بن مسعود، وعبد الله بن جحش، وجعفر بن أبي طالب، وأسماء بنت عميس⁽²⁾.

وقبل أن يبدأ الصراع لا بد من الحديث عن العقيدة التي زرعتها ﷺ في قلوب أصدقائه وأتباعه، فكان لا يدعو إلا من وثق به، حيث أجابه ذلك النفر من الرجال والنساء، هؤلاء الذين آمنوا بالله وبرسوله، كيف انسلخوا من جاهليتهم؟

لا شك أن الأمر ليس بالسهل، ولكن الأسلوب الذي اتبعه محمد ﷺ في الدعوة إلى الله، اتسم بالرحمة مع العالمين، إنها مهمة صعبة كيف يترك هؤلاء دين الآباء والأجداد، وهذا مثل أسوقه من هؤلاء السابقين من الرعيل الأول من المؤمنين الموحدين، فهذا سعد بن أبي وقاص، عندما علمت أمه حمته بنت أبي سفيان بن أمية بإسلامه، قالت له: يا سعد بلغني أنك قد صبأت! فوالله لا يُظلني سقف من الحر والبرد، وأن الطعام والشراب حرام عليّ حتى تكفر بمحمد، وبقيت كذلك ثلاثة أيام، فجاء سعد إلى الرسول ﷺ شكاً إليه أمر أمه، فنزل في ذلك قرآناً، قال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾⁽³⁾، وصّاه ﷺ، بالإحسان إليها ولو كانت كافرة فما أعظم هذا الدين.

في هذه الأثناء كان ﷺ، يتفادى الصدام المبكر مع الملأ حيث كان يركز على " العقيدة أولاً "، و" الثبات والصبر " ثانياً، فكانت من أبرز سمات هذه المرحلة في الدعوة إلى الله.

... فالعقيدة الصحيحة ينبثق عنها السلوك الصحيح، والثبات على الحق، فامتازت هذه المرحلة بسرية تامة في بناء العقيدة، فلم نسمع يوماً من الأيام عن أي صدام وقع في مكة علماً أن قريشاً

(1) بهجت، أحمد، أنبياء الله، ص433، مصدر سبق توثيقه.

(2) شلبي، محمود، حياة رسول الله، مكتبة القاهرة، القاهرة، ط 2، 1970م، ص 37.

(3) سورة العنكبوت، آية رقم 8.

علمت بهذا الفكر وبهذه العقيدة، إلا أنهم قالوا: لا غضاضة عليه إن لم يتعرض لعقائدنا وأصنامنا، وظنوا أن الإسلام مثل هؤلاء الأحناف⁽¹⁾ الحنيفيين الذين اعتزلوا عبادة الأصنام قبل مجيء الإسلام. ... لقد برز في هذه الفترة سر المهادنة التي كان ينتهجها ﷺ، فقد وصل الأمر في هذه المرحلة أن قريشاً قالت: أن الدين إذا كان مجرد عقيدة في القلب وعبادة في المعابد والشعاب، فلا بأس بهذا الدين الجديد الذي جاء به محمد ﷺ. وهذا ما يخطئه أعداء الإسلام في هذه الأيام.

وفي ذات يوم خرج محمد ﷺ بصحبة علي بن أبي طالب بالخفاء مع أعمامه فأخذوا يصلين في الخفاء، حيث رأهما أبو طالب وهما يصلين.

فقال: ما هذا يا ابن أخي؟

قال ﷺ: أي عم! هذا دين الله وملائكته ودين رسله ودين أبينا إبراهيم، بعثني الله به رسولاً على العباد، فما رأيك أيها العم فأنت أحق الناس به والدعوة إليه!!!

أبو طالب: يا ابن أخي لا أستطيع أن أفارق آبائي وما كانوا عليه، ولكن يا ابن أخي... والله لا يضرك شيء ما بقيت⁽²⁾. وتذكر السيرة أنه قال لعلي بن أبي طالب: أي بني: ما هذا الذي أنت عليه؟ قال علي: آمنت برسول الله، وصدقت بما جاء به واصلت معه واتبعته.

قال أبو طالب: أما فإنه لا يدعوك إلى ضرٍ فالزمه⁽³⁾.

فهي ليست دعوة علنية، لأنها تقوم على الاصطفاء الشخصي وتقدير الداعية لطبيعة المدعو فقط، فلم تقم في الأندية العامة، ولا في المجالس أو المحافل، إلا أنها امتازت بتحول المفاهيم إلى حركة، إلا أن هذه الحركة بطيئة وثيدة الخطأ، حتى بلغ عدد الذين اسلموا في هذه المرحلة أربعين شخصاً من كل فئات المجتمع، فكانت عامّة - اقصد بها شرائح المجتمع من فقراء، وأرقاء، وأحرار، ورجال، ونساء، وشيوخ، وفتيان حتى لا تكاد تخلو عشيرة من عشائر قريش في مكة إلا ويوجد فيها من يؤمن بمحمد، وقد كان ﷺ يزور كل من آمن به، ودعاه في بيته أو يلتقي به خفية عن أعين الناس، فامتازت بالسرية في العبادة، في الحركة، في التنظيم، في تعليم الإسلام، حتى وصلوا على مكان النواة الأولى في الإسلام التي دعت إلى الله، أنها: "دار الأرقم بن أبي الأرقم"، يتعلمون سراً ويعودون إلى بيوتهم يعلمون أهلهم، دون أن يشعر بهم أحد. حيث أنه ﷺ لم يحرص على الدعوة بنفسه بل حرص على تكوين نواة تنطلق منه الدعوة إلى الله، فأذن لبعض أصحابه الاتصال

(1) الأحناف = جماعة من قريش لم ترق لهم عبادة الأصنام حيث أنهم يشكّون في أوثان الجاهلية، أمثال ورقة بن

نوفل، وقس بن ساعدة، وأمّية بن أبي الصلت، وعمر بن نفيل.

(2) ابن هشام، السيرة النبوية، ج 1، ص 229، مصدر سبق توثيقه.

(3) الغضبان، منير، المنهج الحركي للسيرة النبوية، ج 1، ص 29، د.ت.

بأهل مكة لدعوتهم إلى الإسلام، وهذا يضيف ظلالاً من الأهمية للدعوة سراً في هذه الفترة⁽¹⁾. " منهج حركي نفتقر إليه اليوم ".....
والآن يبدو أن قریشاً ومن خلال هذه التحركات وصلها الخبر إجمالاً، فأوجست خيفةً، من ذبوع خبره، وامتداد أثره، وأخذت ترقب دعوته، وفي هذه الأثناء وبعد مضي ثلاث سنوات على هذه السرية التي كان ينتهجها، وبعد تكوين النواة الصلبة من المؤمنين، قامت علاقتهم مع بعضهم على الأخوة والتعاون... نزل الوحي على قلب محمد ﷺ مكلفاً إياه إبلاغ قومه، ومُجابهة ظلمهم، ومهاجمة أصنامهم. بهذا تكون قد بدأت المرحلة الثانية من مراحل الدعوة إلى الله⁽²⁾.

(1) أبو فارس، محمد عبد القادر، فقه السيرة، ص 49. مصدر سبق توثيقه.

(2) المباركفوري، صفي الدين ، الرحيق المختوم، مكتبة الإيمان، المنصورة، ط 1، 1993م، ص 72.

المرحلة الثانية: الصدع بالدعوة

وهذا منهج دعوي انتهجه صلى الله عليه وسلم من خلال لنصوص القرآنية ، فبدأت الدعوة الجهرية عند نزول الآية الكريمة، قال تعالى : ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾⁽¹⁾ ، لقد كانت هذه الآية بمثابة الإعلان المهم، لذلك من الطبيعي أن تبدأ الحرب فور الإعلان عن هذه المرحلة! وعندما نزلت هذه الآية دعا ﷺ بني هاشم فحضروا، ونفر من بني عبد المطلب، حيث كانوا خمسة وأربعين رجلاً، فكان من هؤلاء سيد من ملأ مكة ، وهو أبو لهب ، حيث بادر قائلاً: ... يا محمد ! " هؤلاء هم عمومتك، فاعلم أنه ليس لنا طاقة بالعرب قاطبة، وأنت إذا أقمت على ما أنت عليه فإن بطون قريش تثب عليك وثبة رجل واحد ، وتمدهم العرب ، لذلك ما أظن أن أحداً جاء على بني أبيه بشر مما جئت به ... محمد يسكت ولم يتكلم في ذلك المجلس.... " حكمة بالغة ".....

ثم دعاهم ثانية، وبعد أن اكتملوا وقف فيهم خطيباً، فقال : "الحمد لله أحمده، واستعينه وأومن به وأتوكل عليه، وأشهد أن لا اله إلا الله، وحده لا شريك له، ثم قال: إن الرائد لا يكذب أهله، والله الذي لا اله إلا هو، أني رسول الله إليكم خاصة، وإلى الناس عامة، والله لتموتن كما تتامون و لتبعثن كما تستيقظون، ولتحاسبن بما تعملون وإنها الجنة أبداً، أو النار أبداً".

فقام عمه أبو طالب فقال: امض لما أمرت، فو الله لا أزال أحوطك وأمنعك، غير أن نفسي لا تطاوعني على فراق دين عبد المطلب . فلما رأت قريش أن أبا طالب رفض خذلان رسول الله، وقال له: يا ابن أخي، قل ما أحببت ووالله لا أسلمك لهم⁽²⁾ محمد ﷺ يريد أن ينتزع منهم اعترافاً انه صادق، فانتهاز هذه الفرصة المناسبة، في الوقت المناسب، فنادى بطون قريش، وقبائل مكة، ثم اجتمعوا، فصعد على الصفا، ثم نادى واصباحاه!! فاجتمع الناس بين رجل يجيء إليه بنفسه، وآخر يبعث رسولا عنه، فقال ﷺ: يا بني عبد المطلب يا بني فهر، يا بني كعب. أرايتم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم، أكنتم مصدقي؟

قالوا: ما جربنا عليك كذباً قط.

قال ﷺ : فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد.

قال أبو لهب وكان يقف بين الواقفين، تباً لك سائر اليوم ألهذا جمعتنا؟⁽³⁾ بهذا..... بدأت الحرب بين الإسلام والشرك، بداية كان المسلمون لا يستطيعون الدفاع عن أنفسهم، فدافع عنهم سبحانه وتعالى.

(1) سورة الشعراء، آية رقم 214.

(2) ابن هشام، السيرة النبوية، مجلد 1، ص 240، مصدر سبق توثيقه.

(3) حوى، سعيد ، الرسول ﷺ ، ط 3، ج1، 1974م، ص 108.

قال تعالى: ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ، مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ، سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ،
وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ، فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴾⁽¹⁾.

ثم اتسع نطاق الدعوة عند نزول الآية الكريمة بقوله تعالى: ﴿ لُئَلِمْتُمْ أَنَّ قُرَيْشَ وَالْحِمْيَرَ وَاللُّؤْلُكِيَّةَ وَنَدَانَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مَوْلَىٰ أَبِي لَهَبٍ ، وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ فِي اللَّهِ حِجَابٌ ، وَأَنَّهُمْ كَانُوا فِي حَقِّ اللَّهِ كَافِرِينَ ﴾⁽²⁾ ،
ثم اتسع منهج الدعوة على الله ليكون للعالمين ، قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾⁽³⁾.

من هذه اللحظة:

خرج ﷺ إلى الناس يقول لهم: " ألا رجل يحملني؟ فإن قريش منعوني أن أبلغ رسالة ربي"⁽⁴⁾
فان كنت يا أخي من الذين يحبون محمداً ﷺ ، فإن المحبة لا تأتي إلا بالاتباع ... اتباع محمد ﷺ ،
في منهجه، وثقافته، ورؤياه، قال تعالى: ﴿ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾⁽⁵⁾ ، فمن علامة المحبة: الاتباع،
كيف نتبع محمداً ﷺ ، في صورته وسيرته وسريته، لا بد من امتثال أوامر الله على طريق رسوله
الأمين.

..... أنت يا محمد تقول من يحملني ابلغ دعوة ربي؟ فما لنا إن حملناك وبايعناك؟ أيكون لنا الأمر
من بعد؟.... قال ﷺ: الأمر يومئذ لله يضعه حيث يشاء ... فلم يكذب عليهم بدأ... فما أوجنا إلى
هذه السيرة. محمد ﷺ " يريد اصطفاء واستخلاص النخب "

..... كانت المفاوضات مرات عديدة بين قريش وأبي طالب، وهم يقولون: يا أبا طالب استتهيناك
من ابن أخيك فلم تنهه. فنحن لا نصبر أكثر من ذلك. لذلك تم الإجماع على معاداته. ولكن قريشا
لجأت إلى أبي طالب بمبادرة جديدة!.....

حيث استصحبت معهم شاباً وسيم الخلق، فتى من قريش اسمه: "عمارة بن الوليد بن المغيرة" خذه
واتخذه ولداً فهو لك، وأسلم لنا ابن أخيك هذا الذي خالف دينك ودين آبائك وفرق جماعة قومك،
فقتله، فإنما هو رجل برجل.

فقال: والله لبئس ما تسومونني، أتعطوني ابنكم أغذوه لكم وأعطيكم ابني تقتلونه؟ هذا والله لن يكون
أبداً.

قام رجل من القوم اسمه ابن عدس بن نوفل بن عبد مناف بن قصي:

قال : والله يا أبا طالب لقد أنصفتك قومك، وما أكثر هذا الطابور في هذه الأيام!!!!

(1) سورة المسد، آية رقم 1 - 5.

(2) سورة الأنعام ، آية رقم 92.

(3) سورة الأنبياء، آية رقم 107.

(4) بهجت، أحمد، أنبياء الله، ص420، مصدر سبق توثيقه.

(5) سورة آل عمران، آية رقم 31.

أبو طالب: والله ما أنصفوني! تريد مظاهر القوم عليّ، اصنع ما بدالك فحميت الحرب، وتناوذ القوم، فبدأت قريش تُصعدّ من إيدائها لرسول الله ﷺ وصحبه، ومن الأمثلة على هذا التصعيد، التعذيب الذي عاناه بلال وآل ياسر، حتى وصل الإيذاء إلى أبي بكر الصديق، وإلى الرسول ﷺ، ففي يوم من الأيام بينما كان رسول الله ﷺ بفناء الكعبة، إذ أقبل عقبة بن أبي معيط، فأخذ بمنكب رسول الله ﷺ، ولوى ثوبه على عنقه فخنقه خنقاً شديداً، فأقبل أبو بكر فأخذ بمنكبه ودافع عن رسول الله ﷺ وقال: أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم؟⁽¹⁾ ففي هذه المرحلة كان ﷺ يحث أصحابه على الصبر ويربطهم بالجنة، وقد ذهب ذات يوم خباب بن الأرت إلى رسول الله ﷺ، مستجداً به من اضطهاد قريش، فقال: ألا تستنصر لنا؟ ألا تدعو لنا يا رسول الله؟

قال ﷺ: قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له حفرة في الأرض فيجعل فيها ثم يُوتى بالمنشار، فيوضع على رأسه فيجعل نصفين، ما يصدده ذلك عن دينه، والله ليتمنّ الله هذا الأمر، ولكنكم تستعجلون.⁽²⁾

اجتماع قمة طارئ!!!

قريش تدعو إلى عقد مؤتمر طارئ لتوحيد الهجوم على محمد ﷺ، فكان من نتائج هذا المؤتمر الطارئ، اختيار ممثل من رجالات قريش معروف بالدهاء والذكاء والحجة والبرهان، كان هذا الرجل من طبقة الإشراف واسمه، عتبة بن ربيعة، رفيع المنزلة، عالي الهممة، حيث أخذ يفاوض الرسول ﷺ. محاولاً إقناعه قائلاً له: يا ابن أخي، يا محمد، انك منا حيث قد علمت من المنزلة في العشيرة والمكانة والنسب، وأنت أتيت قومك بأمرٍ عظيم، فرقت جماعتهم، وسفّيت أحلامهم، وعبت آلهتهم، وكفرت ما مضى من آبائهم... هذه الأموال تحت تصرفك فإن كنت تريد الشرف... نسودك علينا، وإن كنت تريد الملك، نملكك علينا... حتى إذا فرغ عتبة ورسول الله يستمع منه. محمد ﷺ: أفرغت يا أبا الوليد؟ وفي هذه المواقف لرسول الله صلى الله عليه وسلم استدلالاً على منهجه وقبوله للحوار مما كان له الأثر البالغ في نفوس تابعيه.

عتبة : نعم.⁽³⁾

(1) محمد محزون، منهج النبي في الدعوة إلى الله، دار السلام، القاهرة، ط 1، ص 64، 2002م.
(2) البخاري، أبو عبد الله محمد بن اسماعيل، كتاب مناقب الأنصار، باب ما لقي النبي وأصحابه من المشركين بمكة، رقم الحديث (3852)، بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع، الرياض، 1998م.
(3) ابن كثير، إسماعيل الدمشقي، ج3، ص63، مصدر سبق توثيقه.

محمد ٣: يقرأ عليه: حم 1 تزييل من الرحمن الرحيم 2 كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم
 يعلمون 3 بشيرا ونذيرا فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون 4 وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه وفي
 آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل إننا عاملون 5 قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إليكم
 إله واحد فاستقيموا إليه واستغفروه وويل للمشركين 6 الذين لا يؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم
 كافرون 7 إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون 8 قل أننكم لتكفرون بالذي خلق
 الأرض في يومين وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين 9 وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها
 وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين 10 ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض
 ائنيأ طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين 11 ففضاهن سبع سموات في يومين وأوحى في كل سماء أمراها
 وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم 12 فإن أعرضوا فقل أنذرثكم صاعقة
 مثل صاعقة عاد وثمود 13 إذ جاءتهم الرسل من بين أيديهم ومن خلفهم ألا تعبدوا إلا الله قالوا لو
 شاء ربنا لآنزل ملائكة فإنا بما أرسلتم به كافرون 14 فإما عاذا فاستكبروا في الأرض بغير الحق وقالوا
 من أشد منا قوة أولم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة وكانوا بآياتنا يجحدون 15 فأرسلنا
 عليهم ريحا صرصرا في أيام نحسات لنذيقهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أخزى
 وهم لا ينصرون 16 وأما ثمود فهديناهم فاستجبوا أعمى على الهدى فأخذتهم صاعقة العذاب الهون
 بما كانوا يكسبون 17 ونجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون 18 ويوم يحشر أعداء الله إلى النار فهم
 يوزعون 19 حتى إذا ما جاؤوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون 20 وقالوا
 لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء وهو خلقكم أول مرة وإليه
 ترجعون 21 وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم أن
 الله لا يعلم كثيرا مما تعملون 22 وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين 23
 فإن يصبروا فالنار مثوى لهم وإن يستعجبوا فما هم من المعتبين 24 وقيضنا لهم قرناء فزيئوا لهم ما بين
 أيديهم وما خلفهم وحق عليهم القول في أمم قد خلت من قبلهم من الجن والانس إنهم كانوا
 خاسرين 25 وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون 26 فلنذيقن الذين
 كفروا عذابا شديدا ولنجزينهم أسوأ الذي كانوا يعملون 27 ذلك جزاء أعداء الله النار لهم فيها دار
 الخلد جزاء بما كانوا بآياتنا يجحدون 28 وقال الذين كفروا ربنا أرنا الذين أضلانا من الجن والانس
 نجعلهما تحت أقدامنا ليكونا من الأسفلين 29 إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم
 الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون 30 نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا
 وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون 31 نزلا من غفور رحيم 32 ومن
 أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين 33 ولا تستوي الحسنة ولا

السَّيِّئَةَ اذْفَعْ بِالنَّبِيِّ هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ³⁴ وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ³⁵ وَإِنَّمَا يَرْتَعَنُّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ³⁶ وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ³⁷⁽¹⁾ ، فلما وصل إلى آية السجدة سجد ﴿ فلما قام من سجوده، قال: يا أبا الوليد سمعت ما سمعت فأنت وذاك.

فقام عتبة إلى أصحابه، فلما رأوه، قال أحدهم: لقد جاءكم عتبة بوجه غير الوجه الذي ذهب به، قالوا: ما وراءك يا أبا الوليد؟

قال: سمعت قولاً والله ما سمعت مثله قط، يا معشر قريش أطيعوني، خلوا بينكم وبين هذا الرجل وما هو فيه، واعتزلوه، فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت منه نبأ عظيم، فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم، وإن لم تصبه فملكه ملككم وعزه عزكم وكنتم أسعد الناس به، قالوا: سحرك بلسانه يا أبا الوليد؟ قال: هذا رأي فاصنعوا ما بدا لكم⁽²⁾.

هذه المفاوضات لم تُجْدُ نفعاً، لذلك قريش تدعو إلى مؤتمر طارئ ثانٍ حيث نشطت المفاوضات، وقد اجتمع الزعماء، في فناء الكعبة بعد غروب الشمس. لم يكن على جدول أعمال هذه المفاوضات إلا عنوان واحد وهو:

"المفاوضة الأخيرة قبل المنازلة بالسيف حتى نعذر فيه".

اجتماع قمة طارئ آخر.... وما أكثر القمم الطارئة في هذه الأيام!!!! فما أشبه اليوم بالأمس. يذهب وفد إلى محمد ﴿ مسرعاً ظناً منه أن قد بدا لهم فيما كلمهم فيه بداء، فهو حريص عليهم، يعز عليه عنتهم، حتى جلس إليهم فقالوا: يا محمد، إنا قد بعثنا إليك لنكلمك، وإنا والله ما نعلم رجلاً من العرب أدخل على قومه مثل ما أدخلت على قومك، لقد شتمت الآباء، وعيت الدين، وشتمت الآلهة، وسفّيت الأحلام، وفرقت الجماعة، فما بقي أمر قبيح إلا وجنته فيما بيننا وبينك، - فإن كنت إنما جئت بهذا الحديث تطلب به مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً، وإن كنت إنما تطلب به الشرف فينا، فنحن نسودك علينا، وإن كنت تريد به ملكاً ملكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك رثياً تراه قد غلب عليك - بذلنا لك أموالنا في طلب الطب لك⁽³⁾ حتى نُبرئك منه، أو نعذر فيك. فقال لهم رسول الله ﴿: ما بي ما تقولون، ما جئت بما جنتكم به أطلب أموالكم ولا الشرف فيكم، ولا الملك عليكم ولكن الله بعثني إليكم رسولاً وأنزل عليّ كتاباً، وأمرني أن أكون لكم بشيراً

(1) سورة فصلت، آية رقم 1 - 37.

(2) ابن هشام، السيرة النبوية، ص 261، مصدر سبق توثيقه.

(3) رثياً = كانوا يسمون التابع من الجن رثياً، يعني به شيء من الجن والاجتات. ابن منظور، لسان العرب، مصدر سبق توثيقه.

ونذيراً، فبلغتكم رسالات ربي، ونصحت لكم، فإن تقبلوا مني ما جئتكم به، فهو حظكم في الدنيا والآخرة، وإن تردوه عليّ أصبر لأمر الله حتى يحكم بيني وبينكم.

قالوا: يا محمد، فإن كنت غير قابل منا شيئاً مما عرضناه عليك فإنك قد علمت أنه ليس من الناس أحد أضيق منا بلداً ولا أقل ماء، ولا أشدّ عيشاً منا، فسل لنا ربك الذي بعثك بما بعثك به، فليُسِّرَ عنا هذه الجبال التي قد ضيقت علينا، وليبسط لنا بلادنا، وليفجر لنا فيها أنهاراً كأنهار الشام والعراق، وليبعث لنا من مضي من آبائنا، وليكن فيمن يبعث لنا منهم قصي بن كلاب، فإنه كان شيخ صدق، فنسألهم عما تقول: أحق هو أم باطل، فإن صنعت لنا ما سألناك، صدقناك، وعرفنا به منزلتك من الله، وأنه بعثك رسولاً كما تقول.

فقال لهم صلوات الله وسلامه عليه: ما بهذا بُعثت إليكم من الله إنما جئتكم من الله بما بعثني به، وقد بلغتكم ما أرسلت به إليكم، فإن تقبلوا فهو حظكم في الدنيا والآخرة، وإن تردوه عليّ أصبر لأمر الله تعالى، حتى يحكم بيني وبينكم.

قالوا: يا محمد، والله لا نتركك حتى نهلك أو تهلكنا، وقالوا: لن نؤمن بك حتى تأتينا بالله والملائكة قبيلاً⁽¹⁾ وقد ورد في القرآن الكريم الأشياء التي طلبوها من محمد ﷺ، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا ، أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجَّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا ، أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمَتَ عَلَيْنَا كَسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةَ قَبِيلًا ، أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرَفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرَفِيقِكَ حَتَّى تَنْزِلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ﴿٢﴾ .

وهكذا يتوالى انعقاد المؤتمرات.....

بعد هذا الكفر الصريح، والعناد الطويل، قريش تدعو لمؤتمر آخر فيكون هذا المؤتمر إعلاناً وإيداناً ببدء الحرب الاقتصادية، والدعوة إلى الحصار والمقاطعة، وما أكثر الحرب الاقتصادية في هذه الأيام فما أشبه اليوم بالأمس، حيث الحصار الاقتصادي والإنساني، فكان بمثابة معاهدة قاسية هدفها نذب المسلمين وقتلهم اقتصادياً، كما يفعل أعداء الإسلام اليوم!

لقد علم الرسول ﷺ، أن الصدام مع قريش يُفضي إلى تدمير المسلمين وإبادتهم، فكان من الحكمة الاختفاء، ولكن هذا الاختفاء كان استراتيجياً مرحلياً بمثابة إنحاء للعاصفة التي سرعان ما تتلاشى جذوتها، فما أجمل أن نحقق هذا المنهج في أيامنا هذه ، وما أجمل دراسة سيرة الأنبياء والتأسي بهم، عندئذ يجد المسلمون حلاً لمعضلتهم التي أفضت مضاجعهم في وقتنا الحاضر، الذي تداعت علينا فيه الأمم حيث المقاطعة بأنواعها، والحرب بأشكالها، الإعلامية منها والاقتصادية، والمداهنة

(1) ابن هشام، السيرة النبوية، ج1، ص362، مصدر سبق توثيقه.

(2) سورة الإسراء ، آية رقم 90 - 93.

السياسية التي يتمنونها حيث قال سبحانه وتعالى: ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾⁽¹⁾ ، ولا يزالون حتى يومنا هذا، فمنذ بدء الرسالة أخذ الدعوة إلى الله يدفعون ضريبة مواقفهم، حتى بلغ الأمر بسعد بن أبي وقاص، أنه خرج يوماً ليقضي حاجته، فسمع قعقعة تحت البول، فإذا قطعة من جلد بعير يابسة، فأخذها وغسلها ثم أحرقها وفتتها وسفّها بالماء فكانت طعامه ثلاثة أيام⁽²⁾ وعلى الرغم من هذه الضائقة للمسلمين، فقد كان المسلمون يلتقون بالمسلمين في مواسم الحج ويدعوهم إلى التراحم والتعاطف والتآزر، فكان الناس يدخلون في الدين، حتى ازداد عدد المسلمين وثقتهم بالله في مزيد.

كذلك نجد أن محمداً ﷺ قد استعمل وسائل وأساليب عدة في دعوته إلى الله، حيث بدأ بعرض الإسلام على القبائل، فمن القبائل التي عرض نفسه إليها: بنو كلب، بنو حنيفة، بنو عامر: نأخذ شريحة من هذه القبائل، وكيف كانت تأكيد كيداً، وتتعتت تعنتاً، وتحمل الحقد والبغي والظلم، فقد أتى سوق عكاظ يوماً في مكة.

فقال: ممن القوم؟

قالوا: من بني عامر بن صعصعة.

قال ﷺ: من أي عامر أنتم؟

قالوا: من بني كعب بن ربيعة.

قال ﷺ: كيف المنعة فيكم؟

قالوا: لا يُرام من قابلنا، ولا يصطلي بنا رنا.

قال ﷺ: إني رسول الله - فإن أتيتكم تمنعوني حتى ابلغ رسالة ربي؟

ولم أكره أحداً منكم على شيء.

قالوا: من أي قريش أنت؟

قال ﷺ: من بني عبد المطلب.

قالوا فأين أنت من عبد مناف؟

قال ﷺ: هم أول من كذبني وطرردوني.

قالوا: ولكننا لا نطردك ولا نؤمن بك، ولكننا نمنعك حتى تبلغ رسالة ربك.

قال ﷺ: فنزل إليهم والقوم يتسوقون⁽³⁾ إذ أتاهم رجل اسمه بجرة بن قيس القشيري.

فقال: من هذا الغلام الذي أراه عندكم؟ يُنكر وتكّر لمحمد ﷺ!

قالوا: هذا الفتى اسمه محمد بن عبد الله القرشي.

(1) سورة القلم، آية رقم 9.

(2) بهجت، أحمد، أنبياء الله، ص 445، مصدر سبق توثيقه.

(3) يتسوقون = يبيعون ويشتررون. ابن منظور، لسان العرب، مصدر سبق توثيقه.

قال بجرأة: ما لكم وله؟

قالوا: زعم لنا أنه رسول الله! يطلب منا أن نمنعه حتى يبلغ رسالة ربه.

قال بجرأة: فماذا رددتم عليه؟

قالوا: قلنا له في الرحب والسعة، تأتي معنا إلى بلادنا ونمنعك مما نمنع به أنفسنا.

قال بجرأة: ما أعلم أن أحداً من أهل سوق عكاظ، رجع بشيء أشر من شيء ترجعون به، هذا الفتى من قومٍ بدأوا منابذة الناس، حتى رمتهم العرب عن قوسٍ واحدة، قومه أعلم به، حيث أنهم لو أنسوا منه خيراً ورشداً، لكانوا أسعد الناس به، تعمدون إلى رهيق⁽¹⁾ قومٍ قد طردوه قومه وكذبوه، فتؤوه وتتصروه؟

بئس الرأي رأيكم، بئس الرأي رأيتم. ثم أقبل إلى رسول الله ﷺ: فقال له: قم والحق بقومك، فوالله لولا أنك عند قومي لضربت عنقك.

قال: فقام ﷺ إلى ناقته فركبها، فغمز الخبيث بجرأة شاكلتها⁽²⁾ فقمصت⁽³⁾ برسول الله ﷺ فألقته على الأرض!!!

وتصادف في ذلك اليوم أن ضباعة بنت عامر، وهي من النسوة اللاتي أسلمن مع رسول الله عليه السلام بمكة، كانت في زيارةٍ إلى بني عمها، بني عامر... فلما رأت محمداً ﷺ ملقى على الأرض يسيل دمه!! قالت ضباعة: يا آل عامر ولا عامر لي!! أيصنع برسول الله هكذا بين أظهركم لا يمنع أحد منكم؟ فقام ثلاثة نفر من بني عمها إلى بجرة الخبيث، واثنان آخران أعاناه فأخذ كل رجل منهم رجلاً، فجلد به الأرض، ثم جلس على صدر بجرة الخبيث ثم علوا وجهه لطمأً، فقال ﷺ: اللهم بارك على هؤلاء والعن هؤلاء. قال... فأسلم الثلاثة الذين نصره ﷺ، وحسن إسلامهم وقتلوا شهداء⁽⁴⁾ وهم غطيف وغطفان وعروة.

وفي هذه المرحلة لنا مشهد مع الرسول ﷺ، لعل وعسى أن ننهل من المنهج الذي سلكه محمد عليه السلام، يعلم بمجيء رجل حاجباً ومعتماً، اسمه سويد بن صامت، هذا الرجل يعرف عنه ﷺ بأنه من عليّة القوم وأشرفهم، فهو شاعر، جلد، ذو نسب رفيع، كان يُسمى في قومه "الكامل" فيتصدى له رسول الله ﷺ: وبدأ يتكلم معه ويدعوه إلى الإسلام....

فقال سويد: يا محمد لعل الذي معك مثل الذي معي؟

(1) رهيق : الرهق السفه والخفة والحقق والفساد والذلة. ابن منظور، لسان العرب، مادة (رهق)، مجلد 10، ص128-129، مصدر سبق توثيقه.

(2) شاكلتها = خاصتها. المصدر السابق، انظر رقم (1).

(3) فقمصت = نفرت فوثبت فألقت الرسول على الأرض. المصدر السابق، انظر رقم (1).

(4) ابن كثير الدمشقي، البداية والنهاية، مكتبة الإيمان، المنصورة، ج 3، ص141.

فقال ﷻ : وما الذي معك يا سويد؟

سويد: مجلة لقمان. يعني بها حكم لقمان.

رسول الله: إعرضها عليّ.

سويد: يعرض المجلة على رسول الله، ورسول الله يستمع.

رسول الله: إن هذا كلام حسن، وإن الذي معي أفضل من هذا.... إنه قرآن أنزله الله تعالى فهو نور وهدى.

قتلا عليه ودعاه إلى الله ولم يبتعد عنه.

سويد: إن هذا القول حسن، ثم انصرف وقدم المدينة على قومه فلم يلبث أن قتله الخزرج، فقال رجال من قومه: إنا لنراه قد قتل وهو مسلم.

كيف نوظف هذا المنهج في حياتنا؟ إنه أسلوب قبول الآخر، حوار كيف نبليغ به أطراف الناس عامتهم وخاصتهم أمثال سويد؟

لقد كان ﷻ ، يعلم أنه لا يوجد أحد على وجه الأرض معه مثل الذي معه، ثم يقول لسويد بأدب وحسن خلق، اعرضها عليّ، وبعد أن يستمع ﷻ لا يُقَبِّح، ولا يُنكر، ولكنه يقول: هذا كلام حسن.

كيف عارضه رسول الله؟ كيف اعترضه؟ كيف اختاره؟ وما الأسلوب التي سلكه ﷻ في دعوته لسويد؟ كيف لو أنكر عليه ما معه ورفض الاستماع إليه؟⁽¹⁾، فيا ليت دعاة اليوم يتعلمون هذا المنهج.

لقد كانت التعليمات الإلهية تنزل على الرسول، فكانت تمثل المنهج الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فعندما نزلت الآية المكية، قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾⁽²⁾.

فكان ﷻ عندما نزلت هذه الآية عليه، يذهب إلى سوق ذي المجاز في مكة ويقول للناس: "يا أيها الناس، قولوا لا إله إلا الله تفلحوا" فكان الناس يحتمون إليه، وكان رجل وضيء الوجه أحول ذو غديرتين يقول: كاذب، لا تصدقوه، إنه صابئ، كان يسير وراءه فيتبعه حيثما يذهب، إنه "أبو لهب" الذي كان يقف محذراً الناس من خطورة دعوة الرسول التوحيدية، فكان يقف خطيباً في الناس قائلاً: أيها الناس لا يصدنكم هذا عن دينكم، فإنه يريد أن تتركوا عبادة اللات والعزى⁽³⁾.

ففي هذه الأثناء، وهو يدعو في الأسواق، ومواسم الحج، والجماعات، إذ قدم الطفيل بن عمرو الأوسى، فاستقبلته رجال قريش، فقالوا له: يا طفيل: إنك قدمت بلادنا وهذا الرجل الذي بين

(1) ابن هشام، أبي محمد عبد الملك، السيرة النبوية، ج 2، ص 53، مصدر سبق توثيقه.

(2) سورة الأعراف، آية رقم 158.

(3) أبو فارس، محمد عبد القادر، فقه السيرة، ص 65، مصدر سبق توثيقه.

أظهرنا قد أعضل بنا وفرق جماعتنا، وشتت أمرنا، وإنما قوله كالسحر يفرق بين المرء وأبيه، والرجل وأخيه، والرجل وزوجته. وإنا لنخشى عليك وعلى قومك ما دخل علينا، فلا تكلمه ولا تسمع له ولا منه، فما كان منه إلا أن تأثر ووضع القطن في أذنيه حتى لا يسمع كلام محمد ﷺ.... ولكنه قال في نفسه.... إني رجل لبيب شاعر ما يخفى عليّ الحُسن من القُبْح، فما يمنعني أن اسمع لهذا الرجل ما يقول؟ فإن كان الذي يأتي به حسناً أخذ به، وإن كان قبحاً تركته، الطفيل يتبع محمداً عليه السلام، حين انصرف من المسجد الحرام، وأخبره بما قالته قريش له.

يقول الطفيل: "فأسمعتُه شعري واسمعني"، فلا والله ما سمعت قولاً قط أحسن ولا أمراً منه، فأسلمت... وقدمت إلى أهلي، فأتاني أبي، فقلت: إليك عني يا أبت فلست مني ولست منك، فقال: لم يا بني؟

فقلت: قد أسلمت وتابعت دين محمد.

قال: أي بني، فديني دينك.

فقلت: فاعتسل وطهر ثيابك، ففعل ثم جاء، فعرضت عليه الإسلام فأسلم، ثم أنتتيتي صاحبتني فقلت: إليك عني، فلست مني ولست منك.

قالت: ولم بأبي أنت وأمي؟

قلت: فرق بيني وبينك الإسلام، وتابعت دين محمد.

قالت: فديني دينك.

فقلت: اذهبي وتطهري، ففعلت، فعرضت عليها الإسلام وأسلمت، ولم تسلم أُمي، ثم دعوت أوساً فأبسطوا، ثم جئت رسول الله ﷺ، فقلت: يا نبي الله، إني قد غلبني على أوس الزنا فادع الله لهم.

فقال ﷺ: اللهم اهد أوساً وأنت بهم، فارجع لقومك وارفق بهم⁽¹⁾.

فلا شك أن هذا كله يسمى تجمع حركي جديد، في مواجهة مع جاهلية جهلاء، مواجهة النقيض للنقيض، فلم يبق فرد في المجتمع الإسلامي إلا تعرض للأذى، حتى إهدار الدم، فكان سبباً في تكوين القاعدة الصلبة في المجتمع العربي، هذه القاعدة الصلبة التي تحدثت المجتمع الجاهلي، وتبرأت من كل صلة تربطها بالجاهلية أمثال الذين ذكروا آنفاً، مثل الطفيل وبني عامر وبلال وصهيب وسلمان وغيرهم⁽²⁾ فقد كان هؤلاء في نظر قريش مارقين وخارجين عن القانون، وأنهم عصاة، هكذا نعتهم قريش!!! فاستباححت دماءهم، فمات عمار بن ياسر في حر الظهيرة من التعذيب، وكذلك زوجته التي كانت أول شهيدة في الإسلام حيث طعنها أبو جهل بحربته فماتت، هذا كله، جعل الرسول ﷺ يعطي الإيعاز إلى بعض أصحابه ليهاجروا إلى الحبشة، فكان ذلك في السنة

(1) أبو فارس، محمد عبد القادر، فقه السيرة، ص70، مصدر سبق توثيقه.

(2) قطب، سيد، فقه الدعوة، مؤسسة الرسالة ببيروت، ط 1، 1970م، ص 194.

الخامسة من البعثة، لأنه ﷺ رأى ، انه لا يقدر أن يمنعهم مما هم فيه من البلاء، فقال لهم: لو خرجتم إلى أرض الحبشة، فإن بها ملكاً لا يُظلم عنده أحد، وهي أرض صدق، حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه، فخرجوا مخافة الفتنة وقراراً بدينهم، فكانت أول هجرة في الإسلام⁽¹⁾.

وهذا فيه دلالة واضحة أن محمداً ﷺ ، كان ابن العصر فيعرف أحوال الملوك في ذلك الزمان، وفي هذا عبرة للمسلم اليوم، فمن الواجب عليه ان يعرف موقعه على خارطة العالم. وفي هذا منهج عظيم.

مما مضى نستنتج أن كل من يجلس مع هؤلاء، الرعيل الأول من المسلمين الذين رباهم سيد الرجال محمد ﷺ ، فإنه يعلن إسلامه، فكان الناس يعلنون الإسلام، عندما يشاهدون اتباع محمد ﷺ في سيرتهم وصدقهم، والنهج الذي سلكوه.

فما اجدر أتباع الرسول محمد صلى الله عليه وسلم في هذه الأيام أن يسلكوا هذا المنهج فيكونوا مدرسة تجذب إليها قلوب داخلها، فتكون القاعدة الصلبة التي وليها الله، هؤلاء الثلاثة قال فيهم سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾⁽²⁾. هذه الثلاثة من المؤمنين لا يضرهم من خالفهم، وان الله تبارك وتعالى يسخر لهم ما في السموات وما في الأرض، ويجعل لهم من كل ضيق فرجاً، ومن كل هم مخرجاً، فلا يخاف ، ولا يحزنوا ولا يخشون إلا الله . فالأرض كل الأرض مجالاً لدعوتهم.

"محمد ﷺ الداعية إلى الله لم يفتر لحظةً واحدةً عن تبليغ الرسالة"

نسوق لك أخي القارئ مدى التحمل والمعاناة التي واجهها ﷺ ، في هذه المرحلة عندما ذهب إلى الطائف، لعل وعسى أن يجد فيها ملاذاً آمناً. مستخلصاً من هذا الحدث المنهج الدعوي.

يريد محمد ﷺ ، أن يعمل على توسيع رقعة العمل الإسلامي في الدعوة إلى الله، فلم يُرسل أحد أصحابه إلى الطائف، حيث أنهم لن يتحملوا ردّ أهل الطائف! فخرج بنفسه، ولكن توقعاته صدقت، فعاد من الطائف دون أن يفكر في أي ردّ عليهم، فكان ﷺ ، لا يعرف سادة أهل الطائف من بني ثقيف، فقال أهل الطائف: يريد محمد ﷺ ، أن يأخذ من الطائف مقراً له بديلاً عن مكة؟

لقد كان ذهابه إلى الطائف إعلماً بدعوته، وبعد ما فعلوا ما فعلوه برسول الله، من ردّهم القاسي، قال لهم: " فعلتم ما فعلتم فاكتموا عليّ" فلم يُبلِّغ قومه ما حدث معه، لئلا يحرش بينهم وبني قومه، وفي أثناء عودته من الطائف وعلى مداخلها اطمأن ﷺ ، إلى بستان فجلس في ظل شجرة، وقال قولته المشهورة: " اللهم إليك أشكو ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس، يا ارحم

(1) ابن هشام، أبي محمد عبد الملك، السيرة النبوية، ص280، مصدر سبق توثيقه.

(2) سورة المائدة، آية رقم 55-56.

الراحمين، أنت رب المستضعفين، وأنت ربي، إلى من تكنني؟، إلى بعيدٍ يتجهمني؟، أم إلى عدوٍ ملكته أمري؟، إن لم يكن بك عليّ غضب فلا أبالي، ولكن عافيتك هي أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة، من أن تنزل بي غضبك، أو يحل عليّ سخطك، لك العتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك"، تدل الرواية على المنهج الذي سلكه صلى الله عليه وسلم، وهو: إذا كان الله راضٍ عنه فلا تهمة الكائنات.

.... سمع هذه المناجاة، أبناء ربيعة وهم عتبة وشيبة، حيث تحركت له رحمهما، فدعوا غلاماً لهما نصرانياً يقال له عداس وقالوا له خذ قطعاً من العنب، وضعه في الطبق، ثم اذهب به إلى ذلك الرجل. يعنون بذلك الرجل " محمد " .

ففعل عداس، فلما وضع العنب في يده قال: " بسم الله" ثم أكل.... عداس ينظر إلى رسول الله .

فقال عداس: هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد!

فقال : فمن أي البلاد أنت يا عداس؟

عداس: أنا من بلد اسمها نينوى.

قال : ما دينك يا عداس؟

عداس: أنا نصراني.

قال : أنت من قرية الرجل الصالح يونس بن متى.

عداس: ما يدريك بيونس بن متى؟

قال : ذاك أخي كان نبياً، وأنا نبي.

فأكب عداس على رسول الله ﷺ يُقبل رأسه ويده ورجله. هنا ابنا ربيعة ينظران الحدث!!!

قال أحدهما للآخر: أما غلامك فقد أفسده عليك.

فلما جاء عداس قالوا له: ويلك يا عداس! مالك تقبل رأس هذا الرجل ويده ورجله؟

عداس: يا سيدي ما في الأرض خير من هذا، لقد أخبرني خيراً، ما يفعله إلا نبي.

قالوا له: ويحك يا عداس، لا يصرفك عن دينك فإن دينك خير من دينه⁽¹⁾.

فهو ، لا يريد ولا يطلب النصر من أهل الطائف حينئذ، لكنه كنوع من الأعلام، يعرض نفسه عليهم، ويشكو لهم البلاء. حيث أراد أن يجلس مع الملأ منهم، خاصة لان الرأي غالباً ما يصدر عنهم إلى بقية القوم. ولكن ردهم كان كما هو معروف في السيرة، حيث أنه عندما تيقن من عدم تقبلهم دعوته واستحالة الاستماع إليه، انصرف عنهم بكلماته التاريخية التي يجب أن تكتب بماء

(1) الكاندهلوي، محمد الياس ، حياة الصحابة، دار الشهباء، مجلد 1، ص 225.

الذهب حيث قال: " أرجو الله أن يُخرج من أصلابهم من يعبد الله ولا يشرك به شيئاً " بهذا الإعلان للملأ، اعتبر ﷻ أن رسالته قد وصلت.

.... نسي نفسه، وما تعرض له من الناحية الشخصية، من أجل الرسالة التي يحملها، فاستراح في بستانٍ لعبتة وشيية أبناء ربيعة، لينسى المتاعب، والدماء التي تسيل، فنراه ﷻ ، يهتم بكل نفس، الغلام عداس، ذلك الخادم! يلاطفه.... ويحاوره، ويبدأ ممارسة مهمته الرئيسية، إنها الدعوة إلى الله، إنها الإعلام بالرسالة، لم يكن همه الأكل والشرب، بل سأل الغلام الذي قدم له العنب، ما دينك؟ لأن همه الوحيد هو الدين، ثم أخبره انه نبي، وسؤاله عن يونس بن متى، هكذا تكون الدعوة، اللهم بلغ عنا فأنا لا نحسن التبليغ. وفي هذه الرواية مدلول دعوي مهم وهو لا بد من وصول الدعوة إلى الله إلى كل إنسان مهما كان وزنه الاجتماعي.

المنهج الدعوي المستوحى من الهجرة النبوية الشريفة

قال تعالى: ﴿أَذِّنْ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بَأْنَهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ، الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾ (1)

تعد هذه أول آية نزلت في الجهاد، حيث كثر الأذى في مكة لأصحاب رسول الله، وهم يشكون لرسول الله، ويقول لهم اصبروا، فإني لم أؤمر بالقتال، وقد نهى الله تبارك وتعالى عن القتال في أكثر من سبعين مرة في سبعين آية في القرآن الكريم، فكانت هذه الآية الإذن الأول بالقتال، كما مر معنا من الإيذاء والمعاناة والاضطهاد والدماء(2).

.... والآن وبعد هذه الآية أحلّ الله لرسوله الدماء والقتال لمن بغى عليهم، فالرسول صلى الله عليه وسلم يأمر بالهجرة إلى المدينة، فهاجر وأصحابه، فقال لهم: (إن الله قد جعل لكم إخواناً وداراً تآمنون بها)، فخرجوا أرسالاً(3).

... خرج من مكة إلى المدينة... وبقي رسول الله ﷻ في مكة ينتظر أن يأذن له ربه في الخروج من مكة إلى المدينة، في هذه الأثناء كانت قريش تخطط لقتل الرسول!! وما هي أنجع طريقة للتخلص من محمد ﷻ.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ (4)،

(1) سورة الحج، آية رقم 39-40.

(2) الصابوني، محمد علي، صفوة التفاسير، مجلد 2، ص 290، مصدر سبق توثيقه.

(3) أرسالاً = جماعة وراء جماعة، طائفة بعد طائفة. ابن منظور، لسان العرب، مصدر سبق توثيقه.

(4) سورة الأنفال، آية رقم 30.

كان من نتائج المؤتمر الطارئ الذي عقده الملاً من أشرف قريش الإجماع على القرارات البرلمانية الغاشمة التي صدرت عن دار الندوة. وهو "برلمان قريش"⁽¹⁾.

قال قائل منهم: احبسوه في الحديد وأغلقوا عليه باباً ثم تربصوا به حتى الموت.

قال آخر: نخرجه من بين أظهرنا، فننفيه من بلادنا، فإذا خرج عنا فوالله ما نبالي أين ذهب، ولا حيث وقع.

أما أبو جهل بن هشام: والله أن لي فيه لرأياً ما أراكم وقعتم عليه بعد.

قالوا: وما هو رأيك يا أبا الحكم؟

قال: أرى أن نأخذ من كل قبيلة شاباً فتىً جليداً وسيطاً فينا ثم نعطي كل فتىً منهم سيفاً صارماً، ثم يعمدوا إليه، فيضربوه ضربة رجل واحد، فيقتلوه، فنستريح منه، فإنهم إذا فعلوا ذلك تفرق دمه في القبائل⁽²⁾.

محمد ﷺ وأبو بكر رضي الله عنه، يستأجرا عبدالله بن أريقط مع راحلتين، بعد أن عهد ﷺ، إلى علي بن أبي طالب أن يؤدي الأمانات التي عنده إلى أصحابها. وفي هذا مدلول منهجي نبوي وهو: "أداء الأمانة".

لقد كان بين خروجه من مكة إلى دخوله المدينة خمسة عشر يوماً، لأنه قام بغار ثور ثلاثة أيام. وكان عمر الرسول ﷺ 53 سنة⁽³⁾. وفي هذا دليل على منهجه صلى الله عليه وسلم، إذ يجب على كل مسلم أن يتدرب على الصبر والجوع والمشى.

وصل رسول الله ﷺ المدينة المنورة، ولنرى المنهج الذي اتبعه ﷺ في دعوته إلى الله حيث أن الله هو مولاة وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير، فكان أول عمل عمله في المدينة هو تأسيس مسجد قباء، فيكون هذا المسجد، الأول في الأرض بعد النبوة، وبعد مضي أربعة عشر يوماً يركب ﷺ ناقته وتسير به، فكان كلما مر بمنزل من منازل المدينة إلا رغبوا في نزوله عندهم، والناقة تمشي وهو يقول لهم: دعوها فإنها مأمورة، حتى بركت في موضع مسجده اليوم، فلم ينزل عنها، فقامت مرة أخرى وسارت قليلاً، ثم التفت وسارت، فرجعت إلى موضعها الأول، فنزل عنها ﷺ، عند بني النجار أخواله، محبة منه في إكرام أخواله... فما أجمل أن يكرم المرء أخواله....⁽⁴⁾.

(1) المباركفوري، صفي الدين، الرحيق المختوم، ص151، مصدر سبق توثيقه.

(2) شليبي، محمود حياة رسول الله، مكتبة القاهرة، ط 2، 1970م، ص 76.

(3) الخضري بك، محمد، نور اليقين في سيرة سيد المرسلين، مطبعة دار الأيتام الإسلامية، القدس، ط 19، ص 58، 1966م.

(4) الجوزيه، ابن قيم، زاد المعاد في هدي خير العباد، ج 1، ص 55. مصدر سبق توثيقه.

... محمد يتوجه إلى الله ويقول: قال تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا ، وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ (1).

دعاء... يُعَلِّمُهُ اللهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ ، فهو كناية عن صدق الرحلة بدئها وختامها، أولها وآخرها، فما أجمل أن يتوجه المسلم إلى الله، طالباً من الله جل وعلا أن يجعل له ولياً وهيبة وسلطاناً وقوة إنه اللجوء إلى حمى الله، فلا يمكن لصاحب الدعوة إلا أن يستمد السلطان من الله، هذا منهجه، هذه الرؤيا التي يجب أن نستلهمها من سيرة أولي العزم من الرسل (2) لأنهم أكثر الناس معرفة بالله، لهذا يكونون أكثر الناس استغفاراً لله، فالإنسان لا يعاقب على النسيان أو السهو، لكن الأنبياء يعاقبون! لقد نسي آدم فأهبطه الله من الجنة لأنه لم يضبط نفسه فغوى وافتقر إلى العزم، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَتَسِيٍّ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾ (3). ولو لم يكن نبياً لما آخذه الله على النسيان (4).

" التدرج في الأعمال لتأسيس الدولة: فمن أعمال رئيس الدولة "

أولاً: المسجد

نبقى مع المنهج الذي اتبعه ﷺ ، والذي سلكه في المدينة ذلك المنهج المسدد بالوحي، فقام ببناء المسجد في المكان الذي بركت فيه الناقة كما ذكرنا، وكان المكان الذي بركت فيه لغلامين يتيمين من الأنصار وهما سهل وسهيل، فساوم رسول الله ﷺ الغلامين على هذا المكان ليتخذ مسجداً فقالا: بل نهيه لك يا رسول الله، فأبى رسول الله فابتاعه منهما بعشرة دنانير (5). فكان ﷺ يصلي فيه حيث كانت قبلته بيت المقدس.

..... لا بد من الحديث عن أهمية المسجد في الإسلام، فالمسجد له أهمية خاصة في حياة المسلمين، فهو مركز إشعاع لمختلف النشاطات الدينية والدنيوية، فيكون الرسول ﷺ قد أرسى القواعد الأساسية للتعليم، التعليم الانفرادي والجماعي، وتدارس القرآن الكريم، فلا شك أن هذه السياسة وهذا المنهج، عمل على انتشار الكتابة والقراءة خارج المدينة، وليس غريباً أن نرى محمد ﷺ يتعلم ويشجع على التعليم وقد كانت أول آية تنزل عليه اقرأ... لم تقتصر كلمة اقرأ على الرجال دون النساء، فكانت عائشة رضي الله عنها من أبرز نساء صدر الإسلام علماً ومعرفة، ومن

(1) سورة الإسراء، آية رقم 80 - 81.

(2) قطب، سيد، في ظلال القرآن، مجلد 5، ص 354، مصدر سبق توثيقه.

(3) سورة طه، آية رقم 115.

(4) بهجت، أحمد، أنبياء الله، ص 22. مصدر سبق توثيقه.

(5) الجوزيه، ابن قيم، زاد المعاد في هدي خير العباد، ج 1، ص 56. مصدر سبق توثيقه.

أفقهين ديناً، فكان الصحابة يسألونها عن الفرائض⁽¹⁾، فلم يكن العلم حكراً على النساء، فالرجال والنساء يتعلمون القرآن والحديث والمغازي والشعر والأنساب والكتابة، وكثيراً ما كان ﷺ، يُرغَّب في العلم وبناء المساجد، قال ﷺ: "إن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته علمٌ علمه ونشره، وولد صالح تركه أو مصحف ورثه، أو مسجد بناه، أو بيت لأهل السبيل بناه، أو نهر أجراه، أو صدقة أخرجها من ماله في صحته وحياته، يلحقه بعد موته"⁽²⁾.

وتثبت الأحاديث النبوية الشريفة أن هذا المسجد الذي بناه ﷺ هو: المسجد الذي أسس على التقوى، المذكور في القرآن وليس كما يقول بعض المفسرين إنه مسجد قباء.

وسئل رسول الله ﷺ: من المسجد الذي أسس على التقوى؟ فأخذ كفاً من حصباء فضرب به الأرض ثم قال: "هو مسجدكم هذا مسجدي هذا"⁽³⁾.

من هذا المسجد الذي بناه ﷺ بيده، انطلق المنهج الذي رسمه ﷺ. تعليماً وتوجيهاً وقُدوةً، وفق سياسته التعليمية. فكان يعمل صلى الله عليه وسلم بيده، وفي هذا استدلالاً على منهجه الذي رسمه بمقامه وليس بكلامه فقط.

ثانياً: المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار.

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾⁽⁴⁾.

معنى الأنصار: الذين آمنوا قبل هجرة النبي إليهم، وليس الذين آمنوا قبل المهاجرين، فانزلوا المهاجرين في منازلهم واشركوهم أموالهم، حتى أن النبي قسم أموال بني النضير على المهاجرين، دون أن يعطي الأنصار، ومع هذا طابت أنفس الأنصار، انه الإيثار الذي هو أعلى درجات السخاء، لقد رباهم محمد ﷺ، التربية الإيمانية، تربية القلوب، فاستهم الأنصار، واقترعوا على إيواء

(1) أمحزون، محمد، منهج النبي في الدعوة إلى الله، ص 176. مصدر سيق توثيقه.

(2) الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الترغيب والترهيب، مكتبة العارفين، الرياض، ط 1، ج 1، 2000م، ص 156.

(3) النووي، محي الدين يحيى بن شرف بن حزم، شرح صحيح مسلم، دار الثقافة العربية، بيروت، ج 9، ط 9، 1929م، ص 168.

(4) سورة الحشر، آية رقم 9.

المهاجرين، فكانت ضروباً من التضحية لم يشهد التاريخ مثلها. فقد خلدتهم تبارك وتعالى في كتابه العزيز⁽¹⁾. حيث التقى إيثار الأنصار مع عزة أنفس المهاجرين.

... كثيرة هي الدروس والعبر المستنبطة من هذا المنهج المحكم وهو: المؤاخاة فما أوجنا إلى التأخي في إيماننا هذه، في وقت عزت فيه الأخوة في الله.

كيف نمتى صلى الله عليه وسلم الإيثار في نفوسهم؟

كيف أقنعهم بالتنازل عن ممتلكاتهم؟

لا شك انه ربّاهم على الإيمان فكان يشعر الواحد منهم أن ما يقدمه هو الذي يبقى له عند الله. قال تعالى: ﴿ مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ ﴾⁽²⁾

" موقف حزن "

.... حزن رسول الله ﷺ حزناً شديداً، ذات يوم (حدثنا محمد بن بشار، حدثنا بن أبي غدي وسهل بن أبي يوسف عن سعيد بن قتاده عن أنس رضي الله عنه إن النبي ﷺ أتاه رعل وذكوان وعصية وبنو لحيان فزعموا أنهم قد أسلموا، واستمدّوه على قومهم فأمدهم النبي ﷺ، بسبعين من الأنصار، قال أنس كنا نسماهم القراء، يحطّبون في النهار، ويصلون في الليل، فانطلقوا بهم حتى بلغوا بئر معونة، غدروا بهم وقتلوه، فقتت شهراً يدعو على رعل وذكوان وبنو لحيان، قال قتادة وحدثنا أنس: أنهم قرأوا بهم قرآناً، ألا بلّغوا عنا قومنا بأنا قد لقينا ربنا فرضي عنا وارضانا"⁽³⁾.

سبعون رجلاً من الذين يحبهم الله ويحبونه!! يُقتلون!!! كيف أنت يا رسول الله، كيف أنت وأنت تدعو وتقت في صلاتك على هؤلاء المجرمين؟ ما هو ذنب هؤلاء الحفظة، ذنبهم أنهم آمنوا... وما أكثر المؤمنين في هذه الأيام الذين يتم تصفيتهم؟! حقاً: أنك خاتم أولي العزم من الرسل، حيث قال لك ربك، قال تعالى: ﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبُثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ ﴾⁽⁴⁾.

لنأخذ العبرة من موقف رسول الله ﷺ. فخلاصة الأمر: أن الدعاة إلى الله، قد استشهدوا، فكانت أجسادهم طعاماً للانسور والطيور الجارحة، وكما ذكرنا فقد نجا من السبعين، رجل واحد، رجع إلى رسول الله ﷺ وقص عليه القصة كما حصلت بحذافيرها!

(1) الصابوني، محمد علي، صفوة التقاسير، مجلد 3، ص 352، مصدر سبق توثيقه.

(2) سورة النحل، آية رقم 96.

(3) البخاري، محمد بن اسماعيل بن المغيرة بن بردزبه، صحيح بخاري، المطبعة الكبرى الاميرية، بولاق، مصر،

ج 4، 1311هـ، ص 73.

(4) سورة الاحقاف، آية رقم 35.

الرسول ﷺ يستعيد للمسلمين هيبتهم ولكن... بالمنهج الذي يريد. فختار الزمان والمكان المناسبين وعلى نارٍ هادئة.

أبى ﷺ أن يلجأ إلى العنف ليستعيد للإسلام هيبته، فأرسل الرسول ﷺ، إلى بني النضير يأمرهم أن يخرجوا من المدينة، فأعطاهم مهلة عشرة أيام، ثم خرج بألف من المسلمين، يختفي بهم نهراً، ويسير بهم ليلاً، ليثأر لأصحابه القراء، ويعيد هيبة الدعوة الإسلامية، حتى وصل بعد خمس عشرة ليلةً إلى مضارب خصومهم، فاجتاحوها. هكذا عمل ﷺ هجوماً خاطفاً فكان من أعظم أساليب الدفاع أمناً. وفي هذه منهج نبوي وهو كيف يتصرف الداعية إلى الله في الأزمات؟

عنصر المفاجأة، الذي استعمله ﷺ، يرفع مقدرة الجيش الإسلامي القتالية. كيف نسترد هيبة المسلمين اليوم؟ كيف نوازن بين عوامل الحذر والرغبة في نشر الإسلام؟

لا بد من اتباع منهج الرسول ﷺ في الدعوة إلى الله، المنهج الأسوة، الأسوة في الحرب، الأسوة في السلم⁽¹⁾، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾⁽²⁾.

مميزات المرحلة الثانية:

تميزت هذه المرحلة في المدينة بالإخلاص واليقين والشجاعة والوفاء. ففي باب الإخلاص والصدق، كان ﷺ، واضحاً في نهجه، فالعقيدة يجب أن تتجلى وخاصة في هذه المواقف. فعن عائشة رضي الله عنها قالت: "إن النبي خرج قبل بدر فلما كان "بجزة الوبرة" أدركه رجل، قد كان يدرك منه جرأةً ونجدةً، ففرح أصحاب رسول الله ﷺ حين رأوه، فلما أدركه قال لرسول الله ﷺ: جئت لأتبعك وأصيب معك، قال له رسول الله ﷺ "تؤمن بالله ورسوله"؟ قال: لا، قال ﷺ: فارجع فلن استعين بمشرك على مشرك. قالت عائشة: ثم مضى حتى إذا كنا بالشجرة أدرك الرجل رسول الله، فقال له مرة أخرى، فقال ﷺ: ارجع فلن استعين بمشرك على مشرك، ثم رجع فأدركه بالبيداء، فقال له ﷺ أتؤمن بالله ورسوله؟ قال نعم، فقال له رسول الله ﷺ، انطلق⁽³⁾. فيا ليت علماء هذا العصر فهموا هذه الفتوى! وما أحوج أمتنا على تجديد الدين وتذكير الناس بهذا الدين، وبالمنهج القويم، وهو: "لا أستعين بمشرك على مشرك".

(1) بهجبت، احمد، أنبياء الله، ص479، مصدر سبق توثيقه.

(2) سورة الأحزاب، آية رقم 21.

(3) النووي، محي الدين يحيى بن شرف بن حزام، صحيح مسلم، ج12، ص198، مصدر سبق توثيقه.

وفي هذه المرحلة نرى أن محمداً ﷺ ربّى الصحابة على العقيدة الصافية، ففي باب الإخلاص وفي حقيقة الجهاد عن أبي موسى الأشعري قال: سئل رسول الله ﷺ عن الرجل يقاتل شجاعة ويُقاتل حمية، ويقاقل رياءً، أي ذلك في سبيل الله؟ قال رسول الله ﷺ " من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله"⁽¹⁾.

وعلى القائد أن يكون قدوة في الشجاعة، فقد ربّى صحابته ﷺ على الإقدام والشجاعة حيث هي من أنبل الصفات للرجل، ففي غزوة حنين عندما انكشف المسلمون وانهزموا، ثبت عليه الصلاة والسلام، حيث يقول البراء بن عازب، رضي الله عنه " كنا والله إذا اشتدّ البأس ننقّي برسول الله، وأن الشجاع منا الذي يحاذي به، ولقد رأيت رسول الله ﷺ على بغلته البيضاء، وهو يقول:

أنا النبي لا كذب = أنا ابن عبد المطلب

فلا يدير المعارك وهو في قصر عاجي، بل يثبت في وسط المعركة يقاتل قتال المؤمنين. فأين نحن من هذا المنهج؟

ثالثاً: الاتصالات التي قام بها ﷺ مع الملوك.

منذ نزول الآية الكريمة، " قم فانذر " فقد نذر نفسه ﷺ لتبليغ الرسالة، وإنذار الناس فكان، الرسول المؤمن، العابد، المجاهد، المعلم، الزاهد، المبشر، المبلغ، السياسي، ونحن أمة الإسلام نشهد على هذا، أنك بلغت الرسالة للعالمين، العشيرة خاصة، وقريش عامة، الحبشة، الطائف، وإيفاد الرسل، للتبليغ العالمي، وهذه صور من مراسلاته ﷺ في سبيل الدعوة إلى الله.

أولاً: الكتاب الذي بعثه ﷺ ، إلى أكبر دولة في ذلك الوقت، إلى كسرى الرجل الأول في دولة الفرس، الذي يمثل الموقف الرسمي في بلاده، حيث بعث له كتاباً مع الصحابي الجليل عبدالله بن حذافة السهمي رضي الله عنه، وهذا نص الكتاب: بسم الله الرحمن الرحيم.

من محمد رسول الله . إلى كسرى عظيم الفرس:

سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وإن محمداً عبده ورسوله:

أدعوك بدعاء الله، فإني أنا رسول الله إلى الناس كافة، لأنذر من كان حياً، ويحق القول على الكافرين. أسلم تسلم، فإن أبيت، فإن عليك إثم المجوس⁽²⁾. كسرى ملك الفرس، علم بقدم ابن حذافة حاملاً رسالة من رسول الله، فأراد أن يظهر زينته وقوته، وأن يؤثر في نفسية رسول رسول الله

(1) النووي، محيي الدين يحيى بن شرف بن حزام، صحيح مسلم، ج13، ص49، مصدر سبق توثيقه.

(2) الكاندهلوي، محمد الياس ، حياة الصحابة، ج1، ص115، مصدر سبق توثيقه.

﴿ ، فأمر بتجهيز إيوانه، وإعداده وترتيبه، وتزيينه الزينة المؤثرة، ودعا عظماء الفرس والوزراء والقادة لحضور الاجتماع مع ابن حذافة، رسول رسول الله ﴾ .

ابن حذافة يدخل الإيوان، لم يلتفت إلى مظاهر الزينة ولم ينبهر بها، وظل متجهاً نحو كسرى، كسرى يعجب من رباطة جأش ابن حذافة، وعدم انبهاره بما حوله، ومسيرة إليه بجرأة. كسرى يريد إذلال ابن حذافة، فأمر أحد زبانيته أن يأخذ الكتاب من ابن حذافة قبل وصوله إليه، ولم يشأ أن يتناول منه الكتاب مباشرة، إذ يريد إذلاله.

رجال كسرى يتوجهون إلى ابن حذافة يطلبون منه أن يُسلمهم الكتاب، ليوصلوه إلى كسرى.

ابن حذافة يرفض إعطاءهم الكتاب.... فأخبروه أن هذا الأمر من كسرى.

قال لهم: أنا لا أتلقى أوامر من كسرى، وقال: لقد أمرني رسول الله أن أسلم الكتاب باليد، ولا بد لي من تنفيذ أمر الرسول ﴾ .

فوجئ الفرس بشخصية ابن حذافة، وأيقنوا أنهم أمام طراز فريد من الرجال، فلا المظاهر خدعته، ولا الزينة بهرته، ولا القادة أخافوه، حتى انه لم ينفذ أوامر كسرى ولم يهتم بها.

القادة يُخبرون كسرى أن ابن حذافة يُصر على تسليمك الكتاب يداً بيد فقال كسرى: أدنوه.

ابن حذافة يتقدم بخطىً وثقة ونفسٍ عزيزة، وقلب ثابت، وسلّم الكتاب لكسرى كما أمره رسول الله.

كسرى يأخذ الكتاب ويُسلمه إلى رجل عربي ليترجمه له، العربي يقرأ الكتاب لكسرى ويترجمه له. فلما فرغ من ترجمة الكتاب، كسرى ينفعل ويغضب ويمزق الكتاب أمام الجميع، ويقول: كيف بدأ محمد كتابه باسمه قبل اسمي؟!

كيف يكتب إليّ بهذه الصيغة وهو عبيدي؟ فكسرى يعتبر العرب عبيداً له، فهو يعرف العرب قبل الإسلام، ولم يعرف أن الإسلام صقل نفسية هذا العربي!

فوجئ رجال كسرى " الفرس " بتمزيق كسرى للكتاب، لأن هذا التمزيق يتنافى مع الأعراف الدبلوماسية، لكنهم لم يعترضوا عليه لأن مصيرهم الزنازين.

..... يعدُّ تمزيق الكتاب إعلاناً لرفض دعوة الرسول، ﴿ له للإيمان والإسلام، بهذا تكون قد

انتهت مهمة ابن حذافة عند كسرى، وعاد إلى رسول الله ﴾ .

ابن حذافة يخبر رسول الله ﴾ ، أن كسرى مزّق الكتاب، فقال ﴿ : "اللهم مزّقه كل ممزق" (1).

(1) البخاري، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة ، المطبعة الكبرى الأميرية، بولاق، ج 4،

تكشف الرواية عن النخبة الذين رباهم سيد الرجال محمد صلى الله عليه وسلم الذين قال فيهم سبحانه: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ﴾⁽¹⁾، علماً أن هؤلاء الرجال الذين تخرجوا من مدرسة الرسول الخاتم صلى الله عليه وسلم لديهم الاستعداد أن يبادوا جميعاً عن بكرة أبيهم ، ولا يشاك محمد صلى الله عليه وسلم شوكة في قدمه. لقد بعث صلى الله عليه وسلم إلى الملوك والرؤساء في شتى بقاع الأرض يدعوهم على الإسلام، من هذه الاتصالات:

الاتصالات بين الرسول ﷺ ونصارى نجران، وهرقل ملك الروم وأمراء العرب، والنجاشي، والمقوقس ملك مصر، ناهيك عن السرايا، والغزوات، ونذكر بعضاً من مراسلاته ﷺ:

حيث كتب مسيلمة الكذاب بن حبيب كتاباً إلى رسول الله ﷺ: من مسيلمة رسول الله الى محمد رسول الله، سلام عليك، أما بعد: فإنني قد أشركت في الأمر معك، وإن لنا نصف الأرض ولقريش نصف الأرض، ولكن قريشاً قوم يعتدون.

... الرسولان يصلان إلى رسول الله محمد عبد الله، ﷺ:

الرسول ﷺ يقرأ الكتاب....

الرسول ﷺ يقول للرسولين... ماذا تقولان أنتما؟

قال الرسولان: نقول كما يقول رسولنا مسيلمة.

الرسول ﷺ: "أما والله لولا أن الرسل لا تقتل لضربت أعناقكما"

الرسول ﷺ: يرد على مسيلمة ويكتب له كتاباً.

بسم الله الرحمن الرحيم.

من محمد بن عبد الله إلى مسيلمة الكذاب، السلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين"⁽²⁾ كان ذلك آخر سنة عشر للهجرة.

المرحلة الثالثة: تكوين الدولة في المدينة

تمهيد....

لقد رفض ﷺ السلطة، حيث عرضها عليه قومه طوعاً، وكذلك رفض الاستيلاء عليها باستخدام القوة بادئ الأمر، لأنه ﷺ ، يريد إقامة شرع الله على الأرض، وهذا بحاجة إلى بناء الرجال.

(1) سورة الأحزاب، آية رقم 39.

(2) شلبي، محمود، حياة رسول، مكتبة القاهرة، ميدان الأزهر، ط 2، 1970م، ص 242.

لذلك....طالت مرحلة الانتقاء، والاختيار، وترسيخ العقيدة لإيجاد الرجال المؤمنين، وأن القتال لم يُشرع محبة في إراقة الدماء، أو تخريب البيوت، أو تيتيم الأطفال، لذلك....فقد جهل الذين جعلوا الإسلام سيفاً مسلطاً على رقاب العباد ، ولا يعرفون حكمة الكلمة الطيبة ،والموعظة الحسنة والمجادلة والتي هي أحسن⁽¹⁾. فكانت البنية التحتية لإقامة الدولة الإسلامية هي تكوين " القاعدة الصلبة"⁽²⁾، فالدعوة إلى الله، مقدمة على غيرها، فهي تعتبر الصبر الصامت، والعمل الدؤوب ، فالإسراع في تكوين الدولة يقود إلى الخطأ، هكذا علم **ر** ، وان طول الزمن لا يفقد الحق احقيته في إقامة الدولة، بهذا المنهج، يفعل المسلم ما يريد، لا ما يُراد له، وان يفعل وفق ما خطط، لا وفق ما خطط له، عندئذ يتكفل الله سبحانه وتعالى بهذه الطريق، التي تتبثق عن منهج حركي رباني دعوي ، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون⁽³⁾.

لقد قام **ر** بتعيين اثني عشر نقيباً ليكونوا على أقوامهم بمثابة وزراء، تسعه من الخزرج وثلاث من الأوس، فكانوا أمناء، وحيث كان عيسى عليه السلام له حواريون، هؤلاء النقباء والحواريون بمثابة الإعلاميين والوزراء المساعدين كل في تخصصه، فما أجمل أن يكون نقباء من الملائكة لهؤلاء الملوك والرؤساء في وقتنا الحاضر. إنه الإعداد للأمة حتى تستطيع العيش في دوله⁽⁴⁾.

جاء الأنصار إلى الرسول يوماً، فقالوا له : يا رسول الله اسمح لنا أن نقتل الكفار كافة؟ ونقضي على رؤوس الكفر، ولا يشرق النهار حتى تُعلن الدولة وتكون ملكاً، فقال عليه الصلاة والسلام : "لم أؤمر بهذا " وكان بإمكان الرسول **ر**، أن يقضي فعلاً على الكفار، نعم هذا المنطق حق! إلا انه أريد به باطل⁽⁵⁾.

فلو حصل أنه **ر** قتل حاكماً أو اثنين أو ثلاثة، واخذ الحكم، ولكن ماذا بعد... فليس من الشجاعة أن أرى أسداً واعبث بذيله وأنا اعزل وأقول أنا شجاع! هذا المثل كمن يغسل الدم بالبول !!! معنى ذلك: تغيير الخطأ بخطأ أكبر منه، مع أننا لنا الحق أن نقتل أنفسنا بشرف في ساحة الجهاد⁽⁶⁾.

هكذا نرى أن رسول الله **ر** ، قبل أن يعلن الدولة الإسلامية قد عمل على إرساء مقوماتها وهو الإعداد والاستعداد. والآن وصل الرسول **ر** إلى المدينة المنورة الدولة الإسلامية المباركة، التي

(1) عبد العزيز، جمعة أمين، الدعوة قواعد وأصول، دار الدعوة، ط 3، 1989م، ص 214.

(2) القاعدة الصلبة = هي كلمة التوحيد في قلوب الموحدين وتعني عظمة المبادئ والعمل بمقتضياتها. حيث أجمع على تسميتها بهذا الاسم فقهاء الأمة.

(3) قطب، سيد، فقه الدعوة، ص 210. مصدر سبق توثيقه.

(4) الغضبان، منير، المنهج الحركي للسيرة النبوية، ج 1، ص 173. مصدر سبق توثيقه.

(5) عبد الرحمن عبد الخالق، فصول في السياسة الشرعية، جمعية إحياء التراث الإسلامي، ص 206.

(6) يكن، فتحي، مشكلات الدعوة والداعية، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط 3، 1974م، ص 221.

انطلق منها الشعاع، شعاع النور للعالمين، فما هي أعماله ؟ فيها؟ لنرى سوياً....ومع رئيس
الدولة ؟.

أولاً: الرسول ﷺ يحاور أهل المدينة

... ولدت الدولة الإسلامية الناشئة بوصول الرسول ﷺ إلى المدينة فكان ﷺ الرئيس، الداعية، المبلغ، بإذن الله وسراجاً منيراً،... الرئيس القائد محمد ﷺ، يتصل بأهل المدينة، ويُعلّمهم أن أوصافه موجودة عندهم في التوراة.

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾⁽¹⁾، الرسول القائد يحاور أهل المدينة ويعقد معهم وثيقة ويدعوهم إلى الإسلام، إلا أنه ما آمن معه إلا قليل، نذكر منهم: عبد الله بن سلام، كان اسمه حصين بن سلام، فقد كان حبراً عالماً، يبدو أنه كان يعرف صفة الرسول وزمانه ومكانه، وكان يتوقع ظهور هذا النبي في هذه الفترة، فعندما قدم محمد ﷺ المدينة، كان عبد الله بن سلام عند عمته، فإذا به يقول الله أكبر!!!!!!

قالت له عمته: خبيك الله، ماذا تقول؟ فلو أن الذي جاء إلى المدينة موسى بن عمران ما سُررت هكذا!!!!

عبد الله بن سلام: والله إنه أخو موسى بن عمران، وُبُعث بما بُعث به.

عمته: أهو النبي الذي سمعنا عنه أنه يُبعث مع الساعة نفسها؟

عبد الله بن سلام: نعم، ثم خرجتُ فأسلمتُ معه وأمرت أهلي فأسلموا معه.

الحبر العالم عبد الله بن سلام يكتُم إسلامه عن اليهود⁽²⁾.

الرسول ﷺ يدعو اليهود إليه، ويحاورهم، وينتزع منهم اعترافاً بأن عبد الله بن سلام هو عالمهم وحبرهم وسيدهم وابن سيدهم ويشيدون به بمختلف العبارات الطيبة!! أسلوب سردي، مسرحي، موضوعي يشهد على نفسه، يقول الرسول ﷺ لليهود: نعم أنا أشهد معكم أن عبد الله بن سلام، حبر، عالم، ثقة، سيد في قومه، من طبقة الأشراف والعلماء، ما كان ليسلم، وكان ﷺ، قد أدخل عبد الله بن سلام في بعض بيوته، حيث سمع الحوار الذي جرى بين الرسول ﷺ واليهود، فقال ﷺ: يا عبد الله بن سلام أخرج عليهم.

عبد الله بن سلام يخرج عليهم ويقول: يا معشر اليهود، اتقوا الله، واقبلوا ما جاءكم به محمد ﷺ، فوالله الذي لا اله إلا هو إنكم لتعلمون إنه لرسول الله، وأنكم تجدونه مكتوباً عندكم في التوراة بصفته وأسمه، وإني أشهد أنه رسول الله وأومن به وأصدقته وأعرفه.

... لقد أسقط في أيديهم عندما سمعوا!! فبهت الذي كفر!!! لليهود: اسمع يا رسول الله هذا حصين بن سلام، رجل كاذب ثم أوقعوا فيه الأباطيل...

(1) سورة الأعراف، آية رقم 157.

(2) ابن هشام، أي محمد عبد الملك، السيرة النبوية، ص118، مصدر سبق توثيقه.

الرسول ﷺ يأمر بإخراج اليهود من المجلس، ينفذ المجلس، هكذا كان منهج الرسول ﷺ مع أهل الكتاب من الحوار وإقامة الحجة عليهم، علماً أنه كان ﷺ يعلم أن اليهود قوم بُهت يُحرفون الكلم عن مواضعه، ويعلم ماذا صنع اليهود بأنبيائهم⁽¹⁾ إلا أنه ﷺ، كان يطمع في إيمانهم، لأنهم أهل كتاب سماوي، وأصحاب شوكة ومنعة، وليس لصالح الرسول ﷺ، فتح حرب معهم حينئذٍ، فكانت الوثيقة الدستورية والرؤية النبوية.

ثانياً: الوثيقة الدستورية النبوية

تتضمن هذه الوثيقة: الدستور الذي نظم علاقة المسلمين مع غيرهم... فتعتبر بمثابة المبادئ الدستورية، والقواعد العامة التي تحدد الواجبات والحقوق للمسلمين وغيرهم في الدولة الإسلامية الناشئة، وهذا ما نورده بإيجاز.

- (1) الوقوف بجانب المظلوم ونصرته وانصافه ممن ظلمه دون النظر إلى هوية المظلوم الدينية أو قبيلته.
- (2) المحافظة على الجار وحقوقه وعدم الاعتداء عليه.
- (3) إجارة من يطلب الجوار بعد إعلام أهله واستئذانهم إذا كان من رعايا الدولة.
- (4) الخصومات والمنازعات المفضية إلى فساد الأمن والنظام يحكم فيها رسول الله بصفته رئيس الدولة.
- (5) وجوب الوفاء بما ورد في هذه الوثيقة على جميع الدولة الإسلامية .
- (6) نقض العهد بتحميل نتيجته الناقض وأهله، ولا يتعدى ذلك إلى غيره من القبائل الأخرى.
- (7) تقتضي الأمور الأمنية عدم خروج أي فرد من أفراد الشعب إلا بعد استئذان رئيس الدولة الإسلامية وإذنه⁽²⁾، أسأل الله العلي القدير، أن يُلهمنا إدراك أهمية هذا المنهج الذي يعكس الصورة الصادقة لهذا الدين، بهذا يسعد العباد وتطمئن البلاد.

ثالثاً: رسالة خاصة

بعد صياغة الوثيقة الدستورية نرى أن رسول الله ﷺ، يرسل رسالة خاصة إلى يهود خيبر، حيث كانت من ضمن الرسائل التي أرسلها خارج الدولة⁽³⁾ الإسلامية. وهذا نصها:

(1) أبو فارس، محمد عبد القادر، فقه السيرة، ص78، مصدر سبق توثيقه.

(2) أبو فارس، محمد عبد القادر، فقه السيرة، ص78، مصدر سبق توثيقه.

(3) الدولة: تعني المدينة المنورة.

(بسم الله الرحمن الرحيم : من محمد رسول الله ﷺ ، صاحب موسى وأخيه، والمصدق بما جاء به موسى: ألا إن الله قد قال لكم يا معشر أهل التوراة، وأنكم لتجدون ذلك مكتوبا في كتابكم، قال تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿١﴾)

وإني أنشدكم بما انزل عليكم، وأنشدكم بالذي أيبس البحر لأبائكم حتى أنجاكم من فرعون وعمله ، ألا أخبرتموني هل تجدون فيما أنزل الله عليكم أن تؤمنوا بمحمد؟ فان كنتم لا تجدون ذلك في كتابكم فلا كره عليكم، " قد تبين الرشد من الغي " فادعوكم إلى الله وإلى نبيه(2) .

هكذا نري أنه ﷺ حاججهم، فمن يقرأ هذا الكتاب ويتأمله يجد أننا بحاجة إلى هذا المنهج الذي سلكه ﷺ ، فهل يمكن توظيف هذا المنهج في حياتنا اليوم؟ الجواب: نعم اقرأوا سيرة الرسول ومنهجه، الذي لن تضلوا بعده أبداً، ما إن تمسكتم به.

رابعاً: الرسول ﷺ يبعث السرايا

الرسول ﷺ يبعث السرايا لتعقب قوافل المشركين... ما أكثر السرايا والرايات التي بعثها ﷺ ، كراية الفقه، والعلم، والقران، والإخاء، المحبة والإتباع، والرحمة بين المؤمنين، والشدة على الكافرين.

...فمن يحمل الراية اليوم؟ من يتصدر لهذه المهمة اليوم؟ من يتعقب راية رسول الله ويحمل لواءها اليوم؟

إننا نعيش في زمانٍ قد تخلى فيه الناس عن حمل الرايات على اختلاف أنواعها، فكانت الذلة التي وقع بها المسلمون، لمخالفتهم لمنهج رسول الله ﷺ ، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَى﴾ (3)،

لقد كانت السرايا والمغازي ثقافة في عصره ﷺ ، فكانت منهجاً، فهل يتكرر هذا المنهج؟ هل يمكن تكرار هذه النماذج؟ هل هو منهج مضى ولن يعود؟ أقول: سيعود بإذن الله، وسيرفع الله عنا

(1) سورة الفتح، آية رقم 29.

(2) ابن هشام، السيرة النبوية، ج 2، ص 138، مصدر سبق توثيقه.

(3) سورة المجادلة، آية رقم 20.

العذاب، والدليل: قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾⁽¹⁾ ، وأنت فيهم .. ومنهجك فيهم يا محمد صلى الله عليه وسلم.

فتكون الثقافة نفسها التي زرعاها ﷻ في قلوب أصحابه، فكان يقول لحسان بن ثابت اهجهم وروح القدس معك. فكان يقول:

وقريشٌ تفرُّ منَّا لوادًا أنْ
لم تُطِقْ حملةً العواتقِ منهُم
يُقيمُوا وخَفَّ منهُمُ الحُلُومُ
إِنَّمَا يَحْمِلُ اللُّوَاءُ النُّجُومُ

هذه ثقافتهم ... كيف نوظفها في هذا العصر؟ فلا بد من الإلتباع والسير على تلك الخطى التي رسمها ﷻ، كيف ولماذا أعزهم الله؟ كانوا إذا قضى الله ورسوله أمراً، فلا خيار غيرة، لأن الله ورسوله اختار لهم المنهج المسدد بالوحي. نعم نستطيع توظيف سيرة الرسول ومنهجه اليوم، ولم نعدمها، فقد كان الصدر الأول من السلف الصالح الذين تربوا في مدرسته ﷻ، يقول أحدهم لأخيه: كان أبي يُعلمنا مغازي رسول الله ﷻ، ويعدّها علينا ، ويقول : " يا بني ! هذه شرف آبائكم فلا تضيعوا ذكرها "

ويقول الحسين بن علي:

كنا نعلم مغازي النبي كما نعلمُ السورة من القرآن⁽²⁾.

وقال تعالى : ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾⁽³⁾.

وأنه ﷻ كان يوصي بالإتباع حتى لا نتفرق حيث قال ﷻ " ما نهيتكم عنه فانتهاها وما أمرتكم به فافعلوا منه ما استطعتم "⁽⁴⁾.

خامساً: أخلاقيات الجهاد وتوجيهاته للمجاهدين .

قال تعالى: ﴿فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾⁽⁵⁾.

(1) سورة الأنفال، آية رقم 33.

(2) حجاجر، عرسان غازي، حاملوا الألوية والرايات لرسول الله في الغزوات، دار النهضة للطباعة، الناصرة، ط1، 2006م، ص7.

(3) سورة النساء، آية رقم 65.

(4) صحيح مسلم، أبي الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، شرح النووي، وجوب إتباع الرسول، ج 15، ص 109، مصدر سبق توثيقه.

(5) سورة البقرة، آية رقم 194.

نحن المسلمون نشهد أن رسول الله قد جاهد في الله حق جهاده، ونحن على ذلك من الشاهدين، هذا الجهاد كان الهدف منه منع الفتنة، والدفاع عن الأوطان والدماء والأعراض، ونشر الدين في الأرض.

قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ (1).

وكان ﷺ عندما يرسل السرايا للغزو، يعرض على الأعداء ثلاثة خيارات، الإسلام، أو الجزية، أو القتال، وكان ﷺ إذا أمر أميراً على جيش أو سرية أوصاه بخاصة نفسه، بتقوى الله عز وجل، ومن معه من المسلمين خيراً، ثم قال: أغزوا باسم الله وفي سبيل الله، وقاتلوا من كفر بالله، فإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال، فأيتهن ما أجابوك فاقبل منهم، وكف عنهم، فإن هم أبوا فسلهم الجزية، فإن هم أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم، فإن أبوا فاستعن بالله وقاتلهم، فإن حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه ﷺ، فاجعل لهم ذمتك وذمة أصحابك، فإنك لا تدري أتصيب حكم الله فيهم أم لا، فإنك أن تخفر ذمتك وذمة أصحابك أهون من أن تخفر ذمة الله وذمة رسوله، أغزو ولا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمتلوا، ولا تقتلوا وليداً⁽²⁾ بعد ذلك انطلقت الجيوش المسلمة في الفتوحات الإسلامية والتي منهجها ورسالتها التحرير من العبودية، كما قال رباعي بن عامر رضي الله عنه، نحن قوم بعثنا الله لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة. هذه الوصايا في الجهاد وهذه الأخلاقيات، نستطيع القول إن الأمة عندما تخلت عنها أصابها الألم العميق، أنه درس الطاعة، فالأمة عندما عصت أمر رسول الله ﷺ في معركة أحد، ماذا كانت النتيجة!؟

...لذلك فإن منهج الرسول يعتبر المركز الذي يجتمع عليه المسلمون، فينبغي في هذه الأيام أن يكون فكر الرسول هو الأهم، وقد رأينا أن القرآن الكريم عاتب من ألقى سلاحه في معركة أحد بعد الإشاعة التي انتشرت بأن الرسول ﷺ قد قتل. قال تعالى: ﴿أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾⁽³⁾ فهذا لا يجوز في شريعة الإسلام، فالمسلمون أتباع مبادئ، لا أتباع أشخاص، فالمسلم لا يستسلم، "يموت أو ينتصر"، إنما هي إحدى الحسينيين. فقد ربط القرآن الكريم عقيدة المسلمين بالإسلام، لا بشخص رسول الله ﷺ، قال تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ

(1) سورة الأنفال، آية رقم 39.

(2) صحيح مسلم، أبي الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، شرح النووي، باب تأمير الإمام على البعث، ص 37، مصدر سبق توثيقه.

(3) سورة آل عمران، آية رقم 144.

الشَّاكِرِينَ ﴿١﴾. وفي هذا دليل على أن هذا المنهج باقٍ إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، يرثه جيل بعد جيل.

سادساً : المواجهة مع المشركين والمنافقين واليهود

" وضع اليهود أيديهم في أيدي المشركين ودخلوا في حلفٍ واحد، وساعدهم في ذلك الطابور الخامس من المنافقين، حيث بدأوا سلسلة كبيرة من المؤامرات والأحلاف، خاصة عندما علموا أن شوكة محمد ﷺ قد قويت في المدينة، فأفتى أحبار اليهود أن ديانة قريش التي توله الأصنام، أفضل من ديانة محمد ﷺ، التي تقصر الألوهية على إلهٍ واحد، كما أن تقاليد الجاهلية أفضل من تعاليم القرآن" (2)!!!!

بهذا تكون سياسة اليهود قد نجحت في توحيد الأحزاب الكافرة وتوظيفها ضد المسلمين، فقد قرروا الزحف على المدينة في عشرة آلاف جندي ... حقاً إن التاريخ يعيد نفسه، حيث نرى القرآن الكريم يصف اليهود وعلوهم في الأرض، العلو الكبير فقد استطاعوا أن يؤلبوا أمريكا وأوروبا على المسلمين في كل مكان ... لكن الرسول ﷺ، لم يدهشه هذا، الزحف على المدينة، وبالرغم من اتفاق اليهود مع المشركين العرب لمواجهة النبي محمد ﷺ، فقد دعا ﷺ إلى عقد اجتماع طارئ لمواجهة هذا الزحف وليستمع إلى الاقتراحات من الصحابة، وبعد مداولاتٍ حثيثة، نرى أن الرسول يتبنى رأي سلمان الفارسي، وهو حفر الخندق، حيث أنها عادة فارسية، فقد بدا للوهلة الأولى، أن الأمر مستحيل ويصعب تطبيقه، ولكن أمر الرسول ﷺ بحفر الخندق حول المدينة ... الطقس ماطر فالفصل شتاء، والعمل شاق، والجو شديد البرودة، ومع هذا نرى الرسول القائد ﷺ يتسلم أصعب المهمات وأشقَّها، إلا أن الجيش الإسلامي عندما رأى القائد الرسول يقوم بأعظم المهمات مشقة، ارتفعت معنوياته حتى وصلت إلى عنان السماء، فكانوا واثقين من نصر الله لهم. والدليل من القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾ (3).

على الرغم من هول المواجهة، وضخامة الحدث، والكرب والشدة التي واجهها المؤمنون في هذه الغزوة، وأنهم بشر، وللبشر طاقه لا يكلفهم الله فوقها.

(1) سورة آل عمران، آية رقم 144.

(2) بهجت، أحمد، أنبياء الله، ص 485. مصدر سبق توثيقه.

(3) سورة الأحزاب، آية رقم 22.

... لقد كان تصوير الواقع الذي رآه حذيفة عندما كلفه ﷻ أن يستطلع طلائع العدو، حيث قال ﷻ " من رجلٌ يقوم فينظر لنا ما فعل القوم ثم يرجع " (1) يشترط ﷻ الرجعة، حيث وعد مَنْ يقوم بهذه المهمة بالجنة، حيث قال: أسأل الله أن يكون معي في الجنة،...والجنة مهرها غال ، قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْتَهْمِبًا وَالضَّرَاءُ وَزُلْزَلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢﴾ (2)، بأس، وضر، وزلزلة، وزوغان أبصار، وكرب أنفاس، فعندما أدرك هؤلاء الموحدون هذه الأحوال، علموا أن النصر آتٍ، فالنصر قريب ((ألا إن نصر الله قريب)) حيث أنه يأتي بعد الزلزلة ((وزلزلاوا)) وأن نصر الله قريب منهم، هذا كله زادهم إيماناً وتسليماً "، لقد استمر الحصار ثلاثة أسابيع، العين لا تعرف النوم، ومع هذا لم يعرف المسلمون أن المدينة احتلت أم لا !!!

هل دخل المهاجمون من أحد الثغرات؟

اليهود الذين كانوا في معاهدة مع رسول الله نقضوها.

الموقف يزداد سوءاً كل يوم.

أعصاب المسلمين تُمْتَحِنُ، الخطر وصل إلى ذروته!!!

ماذا يقول المسلمون للقائد محمد ﷻ ، في مثل هذه الأحوال ؟ التي ليس لها مثيل ، ظلام.... إذا أخرج يده لم يكن يراها.

لم يعد أحد من المسلمين يستطيع رؤية إصبعه من فرط الظلام الدامس، لم يستطع المسلمون أن يقوموا من مكانهم بسبب شدة البرد والريح.

هنا يبرز دور القائد.... بعد أن أنفذوا كل ما في وسعهم من الإعداد والاستعداد ، لم يعد بوسعهم غير الدعاء ، والله سبحانه هو السميع المجيب، سميعُ سبحانه لمن يؤدي واجبه، مجيب سبحانه لمن يستحق الإجابة.

قال لهم رسول الله ﷻ: " قولوا اللهم اهزمهم وانصرنا عليهم " خرج هذا الدعاء من تلك الأفواه المؤمنة الذاكرة بعد أن صنعوا معجزتهم في صد الهجوم

...الآن.....حذيفة يعود من المهمة التي أوكله بها ﷻ ، بعد أن توغل في جيش العدو، فراهم يحاولون إيقاد نارٍ إلا أن الريح كانت تأكلها قبل أن تشتعل، فإذا بأبي سفيان يقول: يا معشر قريش، يا معشر قريش!!! إنكم ما أصبحتم بدار مقام فارتحلوا فإنني مرتحل حذيفة رضي الله عنه يخبر الرسول ﷻ، بهذه الأنباء... لم أقصد الرواية بذاتها، بقدر ما أريد أخذ العبرة من منهج

(1) صحيح مسلم، أبي الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، شرح النووي، ص 145، مصدر سبق توثيقه.

(2) سورة البقرة، آية رقم 214.

الرسول القائد في سيره وغزواته، من هذا نتعرف على الإعداد والتخطيط الذي استطاع أن يفعله ﷺ .

كيف كان ﷺ يدير العمليات العسكرية ويستفيد من نتائجها

.... فإذا أراد قادة اليوم الانتصار في معاركهم عليهم دراسة هذا المنهج.

1- كان ﷺ قد بعث فدائياً اسمه حذيفة يلتقط المعلومات، فقد جاءت الأخبار للرسول ﷺ إن عشرة الآف مقاتل يقودهم أبو سفيان بن حرب جاءوا لاستئصال شأفة المسلمين، وهذا ما تقوم به الاستخبارات العسكرية اليوم، فله الأثر البالغ في نتائج المعارك وحسمها، فعلى ضوء المعلومات التي تصل إلى القائد يستطيع أن يأخذ قراره العسكري. بهذا نقول أن حذيفة رضي الله عنه استخدمه ﷺ، لرصد تحركات العدو فكان من الطلائع الإستكشافية.

2- حالف الرسول ﷺ غير المسلمين ليستعين بهم على رصد تحركات الأعداء، ومن هؤلاء قبيلة خزاعة التي أخلصت كل الإخلاص للرسول ﷺ، حيث تقول كتب السيرة، إن ركباً من خزاعة قد خرج من مكة إلى رسول الله ﷺ مسرعاً فقطع المسافة في أربعة أيام والمسافة تستغرق أسبوعاً في الأحوال العادية، واخبره بخروج القبائل العربية لحرب المسلمين.

عبراً كلها: ولم يكتف الرسول ﷺ بالمعلومات التي أتى بها الرجل الخزاعي لوحدها!!! بل بعث رجلين اسمهما سليط، وسفيان بن عوف، ليرصدا تحركات الأحزاب.

ولمعرفة الرسول ﷺ باليهود وأنهم قوم بهت، ينقضون الميثاق والعهد، فقد بعث أثناء غزوة خيبر رجلين هما سعد بن معاذ وسعد بن عباد....

قال لهما انطلقا حتى تنظروا قريظة هل نقضت عهدها؟ فإن كانوا حقاً نقضوا عهدهم فآلحنوا لي لحناً أعرفه، ولا تقشوا بين ظهراي الناس، وإن كانوا على الوفاء فيما بيننا وبينهم، فأجهروا به في الناس، وعندما ذهبوا إلى قريظة وجدوا أنها نقضت العهد وحاربت الرسول مع الأحزاب. نأخذ من هذا عبراً أيضاً وهي: إن الكفر ملة واحده، هدفهم تدمير الإسلام وإبادة أهله....

ومن الدروس والعبر أيضاً... أنه إذا سمع أحد خيراً يتعلق بالمسلمين ويسيء إليهم فلا يذيعه، أما إذا كان لخير فيذاع، وفي هذا منهج.

ومن العبر المستفادة... عندما بعث ﷺ سعد بن عباد وسعد بن معاذ إلى بني قريظة، كان قد وضع الرجل المناسب في المكان المناسب، سعد بن عباد وسعد بن معاذ من الأنصار، والأنصار كانوا أعرف الناس باليهود حيث كانوا زمن الجاهلية في حلف واحد.

3- تبادل الآراء فما تعس عبداً بمشورة، ولا سعد عبداً باستغناء رأي.

صدق الشاعر: رأي الجماعة لا تشقى البلاد به = رغم الخلاف ورأي الفرد يُشقيها.

وهذا حصل عندما أشار سلمان الفارسي بحفر الخندق من الجهة الشمالية للمدينة، حيث تلاقحت الآراء ممن يستلهم بهم الرأي السديد. فالقائد حتى ولو كان قائداً فلا ينبغي له أن ينفرد برأيه فإن ذلك مهلكة له ولجندته وتكون العاقبة على الأمة جمعاء. كان حفر الخندق بمثابة الفتوى فهي عادة فارسيه ويجوز أخذ فنون القتال من غير المسلمين، وفي هذا منهج.

4- عبره أخرى من منهج الرسول ﷺ من هذه الغزوة.

إن القائد وهو الرسول ﷺ كان الأسوة في العمل فكان نصيب كل عشرة من الرجال يحفرون أربعين ذراعاً، أما الرسول ﷺ فقد أجهد نفسه في الحفر ونقل التراب حتى وارى التراب بطنه⁽¹⁾ وهو يقول: والله لولا الله ما اهتدينا، ولا تصدقنا ولا صلينا، فانزلن سكينتنا علينا، وثبتت الإقدام أن لاقينا. والأهم من هذا المعنويات التي زرعتها ﷺ في نفوس جنوده، حيث اعترض الصحابة صخرة وهم يحفرون في الخندق، فكسرت معاولهم حتى هموا أن يتركوها، وعندما علم الرسول ﷺ بذلك، قام وبطنه معصوب بحجر، وكان قد مضى عليه ثلاثة أيام لا يذوق ذواقاً، فأخذ النبي ﷺ فصرها فكسر ثلثها، فقال: الله أكبر أعطيت مفاتيح الشام والله إني لأبصر قصورها الحمر من مكاني هذا. ثم قال: بسم الله وضرب أخرى، فكسر ثلثها: فقال: الله أكبر والله إني لأبصر المدائن وأبصر قصرها الأبيض من مكاني هذا....

ثم قال: بسم الله وضرب أخرى، فقلع بقية الحجر أو صار كثيباً، فقال: الله أكبر! أعطيت مفاتيح اليمن، والله إني لأبصر أبواب صنعاء من مكاني هذا. ويقول سلمان الفارسي رضي الله عنه، أن صخرة غلظت أمامي، وكان رسول الله قريباً مني، فلما رأني أضرب، ورأى شدة المكان علي، نزل وأخذ المعول من يدي، فضرب به ضربه لمعت تحت المعول برقة: قال: ثم ضرب به ضربة أخرى فلمعت تحته برقة أخرى، قال: ثم ضرب به الثالثة فلمعت به برقة أخرى قلت بأبي أنت وأمي يا رسول الله، ما الذي رأيت لمع تحت المعول وأنت تضرب يا رسول الله؟ قال: أو قد رأيت يا سلمان؟ قلت نعم⁽²⁾.

يدل الحديث على أن الرسول ﷺ كان يختار أشق الأعمال، وقد بلغ من العمر ثمانية وخمسين عاماً، حيث شارك الشباب في حفر الخندق، وفي هذا منهج.

5- المساواة: نأخذ من المنهج الذي وضعه ﷺ في حفر الخندق أنه أعطى أوامره في حفر الخندق للجميع الغني، والفقير، والقائد، والجندي، وكبار الصحابة، والشباب، حيث أن الله تبارك وتعالى يبارك في العمل الجماعي.

(1) صحيح مسلم، أبي الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، شرح النووي، ص170، مصدر سبق توثيقه.

(2) ابن هشام، السيرة النبوية، ج 3، ص 130، مصدر سبق توثيقه.

6- الرسول ﷺ يختار زيد بن حارثة لحمل راية المهاجرين وسعد بن عباد لحمل راية الأنصار. فكان سعد بن عباد زعيم الخزرج وسيدهم وحامل لواء الأنصار، فكيف إذا رأى الأنصار أن زعيمهم في المقدمة؟ لا شك أن القلوب تهفو إليه، فتدب فيهم الحماسة للقتال.

7- الرسول القائد ﷺ يختار شعاراً سرياً لهذه الغزوة وهو " هم لا ينصرون ". حيث أن لهذا الشعار هدفاً عسكرياً يلقي الرعب في قلوب الأعداء فلا يُنصرون، وهذا فيه أيضاً تعبئة معنوية للجيش الإسلامي.

8- الرسول ﷺ يختار الموقع الشمالي من المدينة، فكان جبل سلع خلفه والخندق الذي حفرة أمامه، وهذا يدل على الإعداد والاستعداد، لأن فراسة الرسول ﷺ ، أنه سيتم مهاجمة المدينة من هذه الجهة. وفعلاً هذا ما توقعه ﷺ .

9- الرسول ﷺ يرد على أبي سفيان..

عندما فوجيء أبو سفيان بالخندق غضب غضباً شديداً فكتب إلى رسول الله ﷺ كتاباً ولنر كيف رد ﷺ على كتاب أبي سفيان.

نبدأ بنص الكتاب الذي بعثه أبو سفيان إلى الرسول ﷺ حيث قال: باسمك اللهم أحلف باللات والعزى وإساف ونائلة وهبل لقد سرت إليك أريد استئصالكم، فأراك قد اعتصمت بالخندق وكرهت لقاءنا، يا محمد؟ ولك مني يوم بيوم، يوم كيوم أحد، وبعث رسالته مع أبي أسامة الجشمي....

أبي بن كعب يقرأ الرسالة على الرسول ﷺ

الرسول ﷺ يرد على رسالة أبو سفيان فيقول: "قد أتانا كتابك، وقديماً غرك يا أحق بني غالب وسفيهم بالله الغرور ، وسيحول الله بينك وبين ما تريد ، ويجعل لنا العاقبة، وليأتين عليك يوم اكسر فية اللات والعزى وإسافاً ونائلة وهبل يا سفيه بني غالب".

...إن الذي يحلل هذا النص ، في هذا الموقف العسكري، يجد نفسه ينادي ويستصرخ القادة العسكريين في كل مكان ...

يقول لهم: تعالوا خذوا العبرة!!!

تعالوا تعلموا السياسة!!!

تعالوا تعلموا الدروس من سيرة خاتم الأنبياء والمرسلين!!!

...أبو سفيان يستفز محمداً ﷺ ، لاستدراجه وجره إلى موقف يريده هو، في وقت فيه المسلمون في شدة ما بعدها شدة ، إلا أن أبا سفيان لم يُفلح في استدراج الرسول ﷺ ، إلى موقف يختاره أبو سفيان ، فلا شك أن هذا الاستدراج يكون لصالح المستدرج وهو أبو سفيان.

هنا نأخذ العبرة من الرسول القائد، الذي لا تخفى عليه حيل المحتالين، ولا خدعة المخادعين،

لقد كانت اللهجة التي اتبعها أبو سفيان بمثابة الحرب النفسية وما أكثرها اليوم حيث وسائل الإعلام التي يمتلكها أعداء الإسلام للنيل من رسول الله ﷺ، إما بالرسوم، أو بالعبارات التي لا تليق، أو..... وذلك لاستدراج المسلمين إلى موقفٍ يتمنونهُ هم.

لقد كان رد الرسول ﷺ على كتاب أبي سفيان بأسلوب فيه حرب نفسية أشد: حَلَفَ له أنه مهزوم لا محالة، وأن العاقبة للمتقين المؤمنين، وأنه سوف يأتي يوم تكسر فيه اللات والعزى وإساف ونائلة. إن عليك يا أبا سفيان أن تجر أذيال الهزيمة وتعود من حيث أتيت. ما هذا الأمل الذي حملهُ كتاب الرسول ﷺ وهو في أحلك الظروف " ويجعل لنا العاقبة " فهذه المعنويات يجب أن لا تفارق المجاهدين، وأن النصر آتٍ، مهما كانت الظروف. ثم يقول لأبي سفيان إن المعركة بيننا وبينك هي معركة مبدأ، فأنت لست خصمي، إنما خصمي هي مبادئك، وإني سوف أحطم أصنامك.

الرسول القائد محمد ﷺ، يعمل على تصدع جبهة الأحزاب. والحشود الهائلة تحيط بالمدينة، هنالك أبتليَ المؤمنون وزلزلوا، القلوب وصلت إلى الحناجر، هكذا صور القرآن حالهم..... الرسول ﷺ، يُخطط فيوجد شرخاً في صفوف التحالف المتعدد الجنسيات، من أحابيشهم ومن تبعهم من بني كنانة، وأهل تهامة، وغطفان، وأهل نجد، وغيرهم.

الرسول ﷺ، يستدعي قادة غطفان ويعرض عليهم أن يعودوا إلى ديارهم على أن يعطيهم ثلث ثمار المدينة، فوافقوا على ذلك، والرسول ﷺ، لم يرد الصلح معهم، بل المراوضة على ذلك⁽¹⁾!!! ما هذا المنهج يا رسول الله! ما هذا التفكير العسكري الذي أحدث شرخاً وتصدعاً في تحالف الأعداء، اختار ﷺ قبيلة غطفان... لمعرفته الحكيمة بالقبائل... وغطفان كانت تعتمد على الترحال.... تعاني من الفقر، لم تخرج غطفان من أجل مبدأ فكري، إنما خرجت من أجل مغنم، فقد أخذت وعداً من يهود خيبر إن تغلبنا على محمد سوف يكون لكم من الغلول!!! بزعمهم!!! لهذا غطفان حققت هدفها المالي، وسهل عليها الرجوع....

.... في هذه الأثناء يأتي رجل من قبيلة غطفان اسمه نعيم بن مسعود بن عامر بن هلال بن اشجع ابن ريث بن غطفان... يقول: يا رسول الله، إني قد أسلمت، وإن قومي لم يعلموا بإسلامي، فمرني بما شئت، فقال ﷺ: إنما أنت فينا رجل واحد فخذل عنا إن استطعت، فإن الحرب خدعة.

إنها وصية القائد الرسول المسدد بالوحي... يوصي الغطفاني بعدم إظهار إسلامه خاصة في هذه الظروف، إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار، وكذلك تشريع لنا بجواز خدعة الأعداء، والكذب في الحرب، ماذا كانت النتيجة؟ نجاح خطة الرسول، ﷺ في تمزيق جبهة التحالف بإيقاع الاختلاف

(1) ابن هشام، أبي محمد عبد الملك، السيرة النبوية، ج 3، 133، مصدر سبق توثيقه.

بينهم، ولما أصبح الرسول ﷺ ، انصرف عن الخندق راجعاً إلى المدينة ووضع المسلمون السلاح⁽¹⁾.

... لقد كانت نتيجة مشرقة للمسلمين، وهزيمة مُخزية لجيوش التحالف، لجيوش الأحزاب الذين تحزّبوا ضده، وما أكثرهم اليوم، نعم لقد اضطروا للانسحاب وستضطر جيوش التحالف اليوم في العراق للانسحاب أيضاً، طال الليل أم قصر، نعم لقد تمزق التحالف وأصدر أبو سفيان إعلانه بالانسحاب، كما سيصدر بوش إعلانه بالانسحاب بإذن الله، مذموماً مدحوراً.

لقد تم عرض أحداث هذه الغزوة بأسلوب مسرحي تشويقي بشئ من الإطناب حتى نقف على المنهج الذي سلكه صلى الله عليه وسلم، في السرايا والغزوات والجهاد، ليكون نهجاً للمسلمين، يسيرون عليه، ففي ذلك تشريع للأمة يجب إتباعه، فليس للأمة خيار إلا ما اختاره لهم الله ورسوله. قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾⁽²⁾.

... خشيت في نفسي أن تفتر عزيمتي عندما بدأت بالكتابة عن آخر أولي العزم من الرسل سيدنا محمد، ﷺ، لأن ترتيبه الزمني كان آخرهم ولكني كنت كلما أمسكت يراعي⁽³⁾ يكاد يشتعل توقداً ورغبة ومحبة، فما أوجدنا في هذه الأيام إلى سيرته ومنهجه المسدد بالوحي، فلو أردنا الحديث عن كل جزئية في حياته، فإننا نجد أن كل عنوان جانبي يصلح لكتابة رسالة كبيرة، ولكني أجد نفسي أمام عدة عناوين مهمة ولا أدري أيهما أبدأ يصلح الحديبية؟ التي كانت أعظم نصر في التاريخ، أم بفتح مكة؟، أم غزوة بدر؟، وأحد وذات الرقاع وخيبر، وقريضة؟ وغيرها الكثير الكثير....

ولكن أخي القارئ معذرة فإني أجد قلمي قد كتب العنوان التالي وهو :

غزوة فتح مكة المعظمة؟

تمهيد: إن الهدف المتوخى من هذا المشهد هو: أخذ العبرة من هذه الغزوة لعل وعسى أن يعيننا الله جل وعلا على تطبيق هذا المنهج في حياتنا، كثيرة هي المشاهد في فتح مكة، فلا أستطيع حصرها في هذا العنوان الفرعي، مع أن فتح مكة يصلح لكتابة بحث طويل.... ولكن الجانب الذي يهمننا هو الجانب الأكثر لصوقاً بعنوان بحثنا، وهو منهج أولي العزم من الرسل في الدعوة إلى الله، ومع منهج رسول الله ﷺ في الدعوة إلى الله في فتح مكة....

(1) ابن هشام، أبي محمد عبد الملك، السيرة النبوية، ص140. مصدر سبق توثيقه

(2) سورة الأحزاب ، آية 36.

(3) يراعي = قلمي.

فنقول أولاً... الحمد لله الذي أعز بهذا الفتح دينه ورسوله وجنده وحزبه، حيث دخل الناس في دين الله أفواجا، وأشرقت الأرض بنور ربها ضياءً وابتهاجا⁽¹⁾ ففسير بكم حديثاً، من محطة إلى محطة، فإلى أسباب الغزو....

أولاً: أسباب غزوة فتح مكة:

معلوم من بنود معاهدة الحديبية أن قبيلة خزاعة دخلت في عهد رسول الله ﷺ، وقبيلة بكر دخلت في عهد قريش، وان أي اعتداء على أي قبيلة يعتبر اعتداءً على الطرف الآخر، ولما كان الخلاف شديداً بين القبيلتين في الجاهلية، فقد جاء الإسلام ووقع هذه الهدنة ولكن قبيلة بكر أغارت على قبيلة خزاعة ليلاً، فأصابوا منهم رجلاً، قريش قدمت الدعم لبكر، خزاعة تشتكي أمرها إلى رسول الله فنقول: على لسان عمر الخزاعي، فأنشد:-

يا رب إني ناشدُ محمداً	حلفنا وحلفُ أبنينا الأتّاداً
فأنصر هداك الله نصراً أيّدا	وإدع عباد الله يأتوا مددا
فيهم رسول الله قد تجردا	أبيض مثل البدر يسمو صعدا
ان قريشاً اخلفوك الموعدا	ونقضوا ميثاقك المؤكّدا
وهم أذلُّ وأقلُّ وعددا	وقتلونا ركعاً وسجّدا

قال ﷺ: نصرت يا عمرو بن سالم⁽²⁾....

... هنا وقفة طويلة وطويلة.... إقرأوا نقض المعاهدات في الإسلام وأسبابها وما يترتب على من ينقض المعاهدات..... ففي وقتنا الحاضر لم تبق معاهدة مع الأعداء إلا ونقضوها مرات ومرات، هنا يضع ﷺ تشريعاً للأمة عندما يقوم أحد المتعاهدين بنقض المعاهدة..... هكذا يكون المنهج النبوي في المعاهدات في الإسلام، حيث قال لعمرو.... نصرت يا عمرو...

ثانياً: هكذا تكون المبادئ

على أثر هذا المشهد علم أبو سفيان بذلك، فخرج صوب المدينة يريد من محمد صلى الله عليه وسلم إعادة النظر في نصرة عمرو وخزاعة ويريد تمديد الصلح... يدخل على ابنته أم حبيبة.... زوجة الرسول ﷺ، وهم بالجلوس على فراش الرسول ﷺ، طوته عنه!!! فقال: يا بنيتي، أرغبت بي عن هذا الفراش، أم رغبت به عني؟

(1) الجوزية، ابن قيم، زاد المعاد في هدي خير العباد، ج1، ص 161. مصدر سبق توثيقه.

(2) المباركفوري، صفي الدين، الرحيق المختوم، ص382، مصدر سبق توثيقه.

فقلت: بل هو فراش رسول الله ﷺ، وأنت رجل مشرك نجس، فلم أحب أن تجلس على فراش رسول الله ﷺ.

أبو سفيان: والله لقد أصابك بعدي شر، ثم خرج حتى أتى رسول الله ﷺ فكلمه، فلم يرد عليه شيئاً.
أبو سفيان: يذهب إلى أبي بكر فكلّمه أن يكلم له رسول الله ﷺ.
أبو بكر: ما أنا بفاعل.

أبو سفيان: يذهب إلى عمر بن الخطاب فكلمه.

عمر بن الخطاب: أنا اشفع لكم عند رسول الله؟ ﷺ، فوالله لو لم أجد إلا الذر لجاهدتكم به.

أبو سفيان: يذهب إلى علي بن أبي طالب، وعنده فاطمة بنت رسول الله ﷺ، فيقول له انتشفع لي عند رسول الله؟

علي بن أبي طالب: ويحك يا أبا سفيان، والله لقد عزم رسول الله ﷺ على أمرٍ ما نستطيع أن نكلمه فيه.

أبو سفيان يلتفت إلى فاطمة: يا ابنة محمد، هل لك أن تأمري بئيك هذا فيجبر بين الناس فيكون سيد العرب إلى آخر الدهر؟

فاطمة: والله ما بلغ بئني ذلك أن يجبر بين الناس، وما يجبر أحد على رسول الله ﷺ.

أبو سفيان: يا أبا الحسن إني أرى الأمور قد اشتدت عليّ فانصحنى.

علي رضي الله عنه: والله ما اعلم لك شيئاً يغني عنك شيئاً، ولكنك سيد بني كنانة، فقم فاجر بين الناس، ثم الحق بأرضك.

أبو سفيان: أو ترى ذلك مغنياً عني شيئاً؟

علي رضي الله عنه: لا والله ما أظنه، ولكني لا أجد لك غير ذلك.

أبو سفيان: يقوم إلى المسجد ويقول: يا أيها الناس، إني قد أجزت⁽¹⁾ بين الناس، ثم ركب بغيره فانطلق⁽²⁾.

أما الدروس والعبر التي نستنتجها من هذا المشهد منذ دخول أبي سفيان على ابنته أم جبيبته إلى ركوبه بغيره وانطلاقه إلى مكة فهي " الولاء للمؤمنين والبراء من المشركين".

قال تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾⁽³⁾.

قال تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾⁽¹⁾.

(1) أجزت = يحمي، في حمى قوم.

(2) ابن هشام، أبي محمد عبد الملك، السيرة النبوية، ص 27، مصدر سبق توثيقه.

(3) سورة الفتح، آية رقم 29.

قال تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾⁽²⁾.

ثالثاً: جزاء من نقض العهد

هنا ومن هذا الموقف تبرز السمة الجدية من سمات المنهج الدعوي في الإسلام فهو دين الفصل وليس بالهزل، لذلك نرى أن رسولنا محمداً ﷺ يعلمنا أن القوة يجب أن تقابل بالقوة ولكن استعمال القوة يجب أن يصدر عن شورى فنرى أن الرسول القائد، مع أنه مُسَدِّدٌ بالوحي، ولن يضيعه الله، ولن يتخلى عنه، فهو معصوم من الله، ومع ذلك يمارس الشورى، ويستأنس بها، خاصة في الأمور المصيرية، فنراه لا ينفرد برأيه فيخرج من حجرته ويجلس عند بابها.... فكان إذا جلس لوحده لم يأتئه أحد حتى يدعوه، فاستدعى أبا بكر الصديق فناجاه طويلاً ثم قال له: اجلس فجلس عن يمينه، ثم استدعى عمر بن الخطاب فناجاه طويلاً، فرفع عمر صوته، فقال: يا رسول الله، هم رأس الكفر! وهم الذين زعموا أنك ساحر! وأنت كاهن! وأنت كذاب! وأنت مفتر! حتى ذكر كل شيء كان أهل مكة يقولونه له ثم قال: وأيم الله لا تذلل العرب حتى تذلل أهل مكة، فأمر رسول الله ﷺ عمر أن يجلس، فجلس من الجانب الآخر، ثم دعا ﷺ الناس فقال: ألا أحدثكم بمثل صاحبكم هذين؟ قالوا: نعم يا رسول الله، فأقبل بوجهه إلى أبي بكر فقال: إن إبراهيم كان ألين في الله من الدهن في اللبن. ثم أقبل بوجهه على عمر فقال: إن نوحاً كان أشد في الله من الحجر⁽³⁾.

... حقاً أنه القائد الشجاع الحكيم، محمد ﷺ، وما مثل الشجاعة في الحكيم. انه القرار الراسخ الشامخ وهو: السير إلى قريش، وفاءً بعهد خزاعة، وعقاباً لقريش لنقضها للمعاهدة، وهذا يعتبر تشريفاً للأمة حيث إذا حصل اعتداء على الحليف، فإن ذلك نقض للعهد مع كل الحلفاء، فيجب معاقبة الجميع، نقض العهد يوجب العقوبة، وإن نقض شرط من الشروط أو بند من البنود، يعني نقض كل البنود المتفق عليها، وهذا يعني إلغاء العهد، إذ العقد: كل متكامل يكمل بعضه بعضاً. وفي هذا منهج صريح لا بأس فيه.

... ولنا عبرة أخرى وهي عندما عاونت قريش بكراً على خزاعة التي هي في حلف الرسول، عندئذ يجوز للمسلمين نقض المعاهدة حالاً، ولا حاجة لإشعار العدو بذلك، بل للدولة الإسلامية أن تغزوهم بدون إشعار.

ودليل آخر عندما نقضت بنو قريظة وثيقة المعاهدة "الصحيفة" حيث أعانت المشركين على المسلمين في غزوة الخندق "الأحزاب" ماذا فعل ﷺ، قال: "من كان سامعاً مطيعاً فلا يصلين

(1) سورة المجادلة، آية رقم 22.

(2) سورة آل عمران، آية رقم 28.

(3) أبو فارس، محمد عبد القادر، فقه السيرة، ص282، مصدر سبق توثيقه.

العصر إلا في بني قريظة " حيث حاصرهم الرسول ﷺ خمساً وعشرين ليلة حتى أجهدهم الحصار وقذف في قلوبهم الرعب، ونزلوا على حكم سعد بن معاذ وهو: أن يُقتل الرجال، أن تُقسَم الأموال، وأن تُسبى الذراري(1). حقاً إنه لقول فصل وما هو بالهزل، وأن المسلمين عند عهودهم. قال تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتُوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ (2).

رابعاً: السرية التامة والتدابير الأمنية

أمر رسول الله ﷺ بالتجهيز للمعركة، فأمر أهله أن يجهزوه، فدخل أبو بكر الصديق على ابنته عائشة رضي الله عنها، وهي تحمّل جهاز رسول الله ﷺ، لشد الرحال صوب مكة المكرمة، أبو بكر الصديق يسأل ابنته؟ أمركم رسول الله ﷺ أن تجهزوه؟ ولم تصنعين هذا الطعام؟ فسكتت.

أبو بكر: أيريد رسول الله ﷺ أن يغزو؟ فصمتت.

أيريد رسول الله ﷺ بني الأصفر فصمتت.

فلعله يريد أهل نجد؟

فلعله يريد قريشاً؟ فصمتت.

فأين تريهه يريد؟ قالت: لا - ما أدري.

ثم إن رسول الله ﷺ أعلم الناس أنه سائر إلى مكة، وأمرهم بالجد والتهيؤ وقال: اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبغتها في بلادها، ثم أمر ﷺ الناس أن يتجهزوا للقتال(3).

هنا... لا بد من وقفة مع صحابي جليل اسمه حاطب بن بلتع، الذي كتب كتاباً إلى قريش يُخبرهم بمسير رسول الله ﷺ إليهم، ثم أعطاه امرأة وجعل لها جعلاً على أن تبليغه قريشاً فجعلته في قرون في رأسها، ثم خرجت به، ثم أتى الخبر إلى الرسول ﷺ من السماء بما فعل حاطب، فبعث ﷺ، علياً والمقداد... انطلقا حتى أتيا " روضة خاخ " فإن بها طعينة معها كتاب إلى قريش، فانطلقا حتى وجدا المرأة في ذلك المكان، فقالا لها: أمعك كتاب؟ فقالت: ما معي كتاب، ففتشنا رَحْلَهَا فلم يجدا شيئاً، فقال لها علي رضي الله عنه، والله ما كذب رسول الله ﷺ، والله لتخرجن الكتاب أو لنجردنك، فلما رأت الجدّ منه، قالت: اعرض عني، فحلت قرون شعرها فاستخرجت منه الكتاب، فأتيا إلى رسول الله ﷺ.

(1) العلاقات الدولية في الإسلام، منشورات القدس المفتوحة، ط 1، 1996م، ص 253.

(2) سورة التوبة، آية رقم 4.

(3) ابن هشام، أبي محمد عبد الملك، السيرة النبوية، ج 4، ص 29. مصدر سبق توثيقه.

فإذا فيه: من حاطب بن بلتعة إلى قريش يخبرهم بمسير رسول الله ﷺ إليهم.

محمد ﷺ يدعو حاطباً: ما هذا يا حاطب؟

حاطب: لا تعجل علي يا رسول الله، والله إنني لمؤمن بالله ورسوله وما ارتددت وما بدلت، ولكني

كنت إمرأً ملصقاً في قريش، ولي فيهم أهل وولد، وليس لي فيهم قرابة يحمونهم....

عمر بن الخطاب: يا رسول الله دعني اضرب عنقه، فإنه قد خان الله ورسوله وقد نافق.

محمد رسول الله: يا عمر... انه قد شهد بدرأً وما يدريك يا عمر لعل الله قد اطلع على أهل بدر

فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم، فذرفت عينا عمر وقال: الله ورسوله أعلم⁽¹⁾.

نجد حاطباً يعمل عملاً لم يكن في الحسبان، صحابي... بدري... يبعث رسالة إلى قريش يخبرهم

بمسير الرسول.... ﷺ العبرة....

إن الصحابي غير معصوم ولو كان بدرياً.

وجوب المحافظة على أسرار المسلمين.

تعهد الله سبحانه لرسوله الكريم بالنصر.

إذ لو تحقق لحاطب ما أراد لعلت كارثة بالجيش الإسلامي، ولكن عناية الله منعت هذه الكارثة،

جواز استعمال التهديد في تحصيل المعلومات، الانضباط والسرعة في تنفيذ المعلومات في الأمور

العسكرية، حيث قال علي والمقداد: " فانطلقنا تعادى بنا خيلنا "

الصحابة هؤلاء عندما أخذوا الكتاب من المرأة لم يطلعوا على ما فيه. الاعتدال في التصرف حيث

أن رسول الله لم يغلظ على حاطب لأنه بدري. الأهل والأموال التي قد تكون سبباً في فتنه المسلم،

فيضعف أمامها فالذي حمل حاطباً على هذا التصرف هو أهله.

قد تشفع سابقة الرجل له وتقبل عثرته، وقد دفعت عنه عقوبة محققة.

يا الله كن معنا في هذه الأيام كما كنت مع الرسول ﷺ وحيث أعلمته عن حاطباً، فإن لم نخبرنا عن

أمثال حاطب فمن يخبرنا يا الله؟؟؟

الجواب... ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾⁽²⁾.

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾⁽³⁾.

عن أبي هريرة قال رسول الله ﷺ: " إن الله قال: من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب

عبي إلي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، وما زال عبي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا

أحبيته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي

(1) الجوزية، ابن قيم، زاد المعاد في هدي خير العباد، ج 2، ص 162. مصدر سبق توثيقه.

(2) سورة البقرة، آية رقم 257.

(3) سورة النحل، آية رقم 128.

بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن إستعاذني لأعيذنه، وما ترددتُ عن شيءٍ أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن، يكره الموت وأنا أكره مساءته"⁽¹⁾.

قلوب العارفين لها عيونٌ
وأجنحةٌ تطيرُ بغيرِ ريشٍ
ترى ما لا يراه الناظرينا
إلى ملكوتِ ربِّ العالمينا

ويظهر معنا هذا بأجلى وأعجب صورته المشهورة، ما حصل مع عمر بن الخطاب وسارية فإلى هناك: هذه الرؤيا، يطيب لي ذكرها في سطور.

حيث تظهر هذه الرؤية Vision بأجلى صورها المشهورة، فقد عبر عنها علماء الغرب النفسيون بلقب هبة التلباثي Telepathy والمقطع الأول من الاتصال Telle والثاني Pathy معنى الشعور " الشعور والاتصال البعيد" Tele-communication.

كان عمر رضي الله عنه يخطب بالمدينة المنورة الجمعة، فالتفت من الخطبة ونادى يا سارية بن حصن! الجبل... الجبل! ومن استرعى الذئب ظلم. لم يفهم السامعون مراده وهو يخطب الجمعة، وبعد أن قضى صلاته، الصحابة: ما الذي ناديت يا أمير المؤمنين؟ قال: أوسمعتم.

قالوا: نعم، وكل من في المسجد.

فقال: وقع في خلدي أن المشركين هزموا إخواننا وركبوا أكتافهم وأنهم يمرون بجبل، فإن عدلوا إليه، قاتلوا من وجدوه وظفروا، وإن جاوزوه هلكوا، فخرج مني الكلام. جاء البشير بعد شهر فذكروا أنهم سمعوا ذلك اليوم وتلك الساعة وهم عند الجبل صوتاً يشبه صوت عمر بن الخطاب يقول: يا سارية بن حصن! الجبل... الجبل. فعدلنا إليه ففتح الله علينا.

هذا النوع من المكاشفة، إما فإساسة مؤمن حيث أنه ينظر بنور الله، كما قلنا كنت بصره الذي يبصره.... وسمعه الذي يسمع به....

أو الرؤية vision أو الاتصال البعيد كما يقول النفسانيون Telepathy أو هبات من الله لعباده المؤمنين، حيث ان الذي يطبق الدين الكامل على نفسه، تنتزل عليه النصرة من الله، وأن الذي لا يطبق الدين الكامل على نفسه نعم.... يؤجر، ولكن لا تنتزل عليه النصرة من الله. فعمر رضي الله عنه طبق على نفسه الدين الكامل فكان الله معه⁽²⁾.

(1) العسقلاني، ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، باب التواضع، ج 11، رقم الحديث 6502. ص414.

(2) العقاد، عباس محمود، عبقرية عمر، دار الكتاب العربي، مصر، 1972م، ص 24.

خامساً: الرسول القائد الأعلى للقوات المسلحة الإسلامية يصدر أوامره

1- الرسول ﷺ يمنح المهاجرين يوم فتح مكة شعاراً: " يا بني عبد الرحمن " وشعار الخزرج: " يا بني عبد الله " .

وشعار الأوس: " يا بني عبيد الله " .⁽¹⁾

2- الرسول ﷺ يُمسك إناءً فيه ماء فيشرب نهاراً ليراه الناس، حيث كان فتح مكة في رمضان، ويأمر الجيش الإسلامي بالفطر، وأنه وصف من لم يفطر في رمضان بأنهم "العصاة" حيث قال: إنكم قد دنوت من عدوكم والفطر أقوى لكم .

3- الرسول ﷺ يأمر بالجيش أن يُعسكر على مشارف مكة على بعد عشرة كيلومترات. يأمر بقطع الأجراس من أعناق الإبل، يأمر كل جندي أن يُشعل ناراً في وقت واحد... قريش تسمع صهيل الخيل.... ورغاء البعير، حشد هائل... عشرة آلاف شعلة نار مرة واحدة... لا شك أن ذلك يُلقي الرعب والهلوع في نفوس أهل مكة..... النار التي أوقدوها للحرب تكشف أي حركة مشبوهة للأعداء.....

الرسول ﷺ يبعث العباس رضي الله عنه، سفيراً لقريش يطلب منهم الاستسلام خوفاً عليهم من الهلاك، وحقناً لدمائهم التي لا طاقة لهم بقتال الجيش الإسلامي.

فإذا العباس رضي الله عنه يلتقي مع أبي سفيان حيث بعثته قريش يستطلع الأمر، فإذا رأى رقة في أصحاب محمد آذنه بالحرب، وإن رأى أن لا طاقة لهم بمنازلة محمد ﷺ وجيشه آذنه بالجوار .

... أما أن لقادة العرب والمسلمين أن يأخذوا العبر والدروس من هذا المنهج النبوي؟ إنها مدرسة محمد ﷺ ، إنها الثقافة التي زرعتها في قلوبهم!!!

دروس وعبر نستنبطها من هذا المشهد:

أ- منها عنصر المفاجأة... قال تعالى: ﴿أَخَذْنَا هُمْ بِعَتَّةٍ فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾⁽²⁾ .

ب- عنصر الترهيب والرعب، قال تعالى: ﴿سَأَلْتَنِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾⁽³⁾ .

ج- الإعداد والاستعداد: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾⁽⁴⁾ .

ولنا عبرة ما أجددنا أن نقف عندها!! وهي عندما لقي العباس الذي ذهب يستكشف الأمر لرسول الله فإذا به يلتقي رؤوس الكفر من قريش، أبا سفيان بن حرب وبديل بن ورقاء.

(1) ابن هشام، أبي محمد بن عبد الملك، السيرة النبوية، ج 4، ص 38، مصدر سبق توثيقه.

(2) سورة الأنعام، آية رقم 44.

(3) سورة الأنفال، آية رقم 12.

(4) سورة الأنفال، آية رقم 60.

العباس يستأمن أبا سفيان، ويركب خلف العباس على بغلته التي هي لرسول الله، ويذهب العباس ومعه أبو سفيان رأس الكفر، الحمد لله الذي أمكن منك من غير عقد ولا عهد، فلما رأهم عمر قال: يا رسول الله: دعني اضرب عنقه، ولكن العباس قال: يا رسول الله قد أجرته....

الرسول ﷺ، يأمر العباس ان يذهب ومعه أبو سفيان ويأمره أن يأتي غداً صباحاً.

الرسول ﷺ، يدعو أبا سفيان للإسلام، فأسلم وشهد بالشهادتين.

الرسول ﷺ، يطلق سراحه ويرسله إلى أهل مكة.

أبو سفيان ... يقتنع أن لا طاقة لهم بجيش المسلمين فيأمره رسول الله أن يدعو قريش إلى الاستسلام ويؤمنهم على حياتهم بقوله: من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن دخل المسجد الحرام فهو آمن، ومن دخل داره وأغلق عليه الباب فهو آمن⁽¹⁾.

وفي الحديث الصحيح عن عبيد بن إسماعيل حدثنا أبو أسامة عن هشام عن أبيه عن رسول الله ﷺ، قال للعباس: احبس أبا سفيان عند " خطم الخيل "، حتى ينظر إلى المسلمين، فحبسه العباس، فجعلت القبائل تمر مع الرسول كتيبة كتيبة، على أبي سفيان وهو يقول يا عباس: من هذا؟ قال هذه غفار قال: مالي ولغفار؟ وتمر جهينة وسعد بن هذيم، وسليم، ثم الأنصار عليهم سعد بن عبادته معه الراية، فقال: يا أبا سفيان يا عباس: اليوم يوم الملحمة، اليوم تستحل الكعبة، ثم جاءت كتيبة وهي أقل الكتائب، فيها رسول الله ﷺ وأصحابه وراية النبي ﷺ مع الزبير بن العوام، فلما مر رسول الله ﷺ بأبي سفيان، قال: ألم تعلم ما قال سعد بن عبادته يا رسول الله؟ قال ﷺ: كذب سعد، ولكن هذا اليوم يوم المرحمة، يوم عظيم يوم يُعظم الله فيه الكعبة، وأمر رسول الله ﷺ أن تركز رايته بالحجون⁽²⁾.

كيف عالج ﷺ نفسية أبي سفيان؟ زعيم مكة وسيدها!! وقد أسلم للتو، حيث أن إيمانه كان ضعيفاً، وهو يميل إلى أن يكون له شيء في الفتح!! دار أبي سفيان كان لها حرمة!!

البيت الحرام حرمة، كل من أغلق بيته فله حرمة، الناس يفتحون الدور ويُغلقون على أنفسهم البيوت، ويلقون السلاح بعد أن خطب أبو سفيان خطابه التاريخي حيث قال: يا معشر قريش: هذا محمد قد جاءكم فيما لا قبل لكم به، فلا تقتلوا أنفسكم....

... هكذا يدخل محمد ﷺ مكة دخول الهداة المتواضعين، ولم يدخلها دخول الجبارين المستكبرين، ويسأل أصحابه ﷺ، ماذا تقولون: (إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان تواباً)؟، قال بعضهم: أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا، وقال بعضهم لا ندرى! والبعض الآخر لم يقل شيئاً، قال ابن عباس رضي الله عنه: هو أجل رسول الله ﷺ، ثم قال ﷺ "إن مكة حرّمها الله، فلا يحل لأمرئ يؤمن بالله واليوم

(1) شلبي، محمود، حياة رسول الله، ص198، مصدر سبق توثيقه.

(2) البخاري، محمد بن إسماعيل بن المغيرة، المطبعة الكبرى، بولاق، مصر، ج5، 1312هـ، ص147.

الآخر أن يسفك بها دماً، ولا يعضد بها شجراً⁽¹⁾ ثم نزل ﴿ مكة واطمأن الناس، ثم خرج حتى جاء البيت وطاف سبعاً على راحلته فلما قضى طوافه وقف على باب الكعبة، وقد اجتمع إليه الناس، فقال: " لا اله إلا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده، ألا كل مأثرة أول مال يدعى، فهو تحت قدمي هاتين، إلا سدانة البيت، وسقاية الحاج، ألا وقتيل الخطأ شبه العمد بالسوط والعصا الدية مغلظة، مائة من الإبل، أربعون منها في بطون أولادها، يا معشر قريش: أن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية، وتعظمها بالآباء، الناس من آدم وآدم من تراب، ثم تلا هذه الآية، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾⁽²⁾.

يا معشر قريش: ما ترون أني فاعل فيكم؟

قالوا: خيراً أخ كريم، وابن أخ كريم.

قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء⁽³⁾.

أقام ﴿ بمكة بعد فتحها خمس عشرة، ليلة يقصر الصلاة، حيث كان فتح مكة في العشرين من رمضان سنة ثمان من الهجرة، وقد تخوف الأنصار من بقاء رسول الله، ﴿ في مكة لأنها بلده ووطنه ومولده، فقال: معاذ الله المحيا محياكم والممات مماتكم⁽⁴⁾.

سادساً: الرسول القائد يُصدر عفواً تاماً. ويأخذ منهم البيعة ويبعث البعوث

ما أوجنا إلى أن نأخذ العفو منهجاً لنا بين بعضنا بعضاً.

ما أوجنا إلى تجديد البيعة لرسول الله.

ما أوجنا إلى بعث السرايا والبعوث.

اذهبوا فأنتم الطلقاء... يستثني ﴿ نفرأ من مجرمي الحرب، حيث أنه أمر بقتلهم ولو كانوا متعلقين بأستار الكعبة، فكان ﴿ حازماً مع أناس لسوابقهم الإجرامية التي ارتكبوها ضد الدعوة الإسلامية، وإن تعلقوا بأستار الحرم فإن ذلك لا يفيد مفسداً ولا مجرماً، وأنه يجوز استيفاء العقوبة في الحرم، إلا أن الإسلام يجبُّ ما قبله من الكفر وغيره، والتوبة تجبُّ ما قبلها كذلك⁽⁵⁾ فمن جاء مسلماً من مجرمي الحرب عفا عنهم، ودخل الناس في دين الله أفواجا، وأقبلوا يبأيعون رسول الله على السمع

(1) البخاري، محمد ابن إسماعيل ج 5، ص150، مصدر سبق توثيقه.

(2) سورة الحجرات، آية رقم 13.

(3) ابن هشام، السيرة النبوية، ج 4، ص 40، مصدر سبق توثيقه.

(4) المباركفوري، صفي الدين، الرحيق المختوم، ص394، مصدر سبق توثيقه.

(5) أبو فارس، محمد عبد القادر، فقه السيرة، ص290، مصدر سبق توثيقه.

والطاعة، في المكره والمنشط وعلى أثره، كذلك بايع **ك** النساء، ومنهن هند زوج أبي سفيان، ودخل قادة المشركين في الإسلام، مثل سهيل بن عمرو، عكرمة بن أبي جهل، صفوان بن أمية، الحارث بن هشام، حويطب بن عبد العزى، وذو الجوشن الكلابي، وأبناء أبي لهب عتبة ومُتعب.

واطمان رسول الله **ك** بعد الفتح، حيث بعث السرايا والبعوث، فقد بدأ رسول الله يبعث البعوث والسرايا، بعد رجوعه من مكة، ذاك السفر الطويل، وبدأ يستقبل الوفود، ويبعث العمال، ويبعث الدعاة الى الله وهذه صورة مصغرة من هذه البعوث والسرايا والغزوات.

أقول لقادة العرب والمسلمين من لهذا المنهج؟ من لها؟ من يبعث البعوث والسرايا والمغازي؟ من يعلق الجرس في زمان خرس في الألسنة، في زمن تربعت فيه الدنيا على القلوب، في زمن تخاذل الناس فيه عن الدعوة إلى الله.

هكذا نرى أنه **ك** بايع أصحابه في الحرب على أن لا يفرّوا، وربما بايعهم على الموت، والجهاد، والإسلام، والهجرة قبل الفتح، والتوحيد والتزام الطاعة لله ورسوله، وبايع الفقراء من أصحابه على أن لا يسألوا الناس شيئاً، وكان السوط يسقط من أحدهم فينزل يأخذه ولا يقول لأحد: "إياه ناولني"، وكان إذا لقي عدوه وقف ودعا الله ثم استنصر الله، وكأن يسحب الرجل يقاتل تحت راية قومه⁽¹⁾.

وكان إذا لقي العدو قال: اللهم منزل الكتاب ومجري السحاب وهازم الأحزاب، اهزمهم وانصرنا عليهم، اللهم انزل نصرك، اللهم أنت عضدي، وأنت نصيري، وبك أقاتل وكان يقول سيهزم الجمع ويولون الدبر بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر، وكان إذا حمي الوطيس واشتد القتال كان يقول: أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب. وكان أقربهم إلى العدو، وكان يجعل لأصحابه شعاراً في المعركة يعرفونه، وكان ينهي عن قتل النساء والولدان، وكان إذا بعث سرية يوصيهم بتقوى الله ويقول: سيروا بسم الله وفي سبيل الله، وقاتلوا من كفر بالله ولا تمثلوا ولا تغدروا ولا تقتلوا وليداً. وكان يأمر بالتيسير ويقول: "يسروا ولا تعسروا أو سكنوا ولا تنفروا"⁽²⁾.

ونهى عن التحريق بالنار، وقتل الصبية والنهب، وإن النهب ليس بأحل من الميتة، ونهى عن إهلاك الحرث والنسل، وقطع الأشجار إلا إذا اشتدت إليها الحاجة، وقال عند فتح مكة لا تجهزن على جريح، ولا تتبعن مدبراً ولا تقتلن أسيراً، ومن سنته ان السفير لا يقتل، وشدد في النهي عن قتل المعاهدين حتى قال: "من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها لتوجد من مسيرة أربعين عاماً"⁽³⁾.

(1) الجوزية، ابن قيم، زاد المعاد في هدي خير العباد، ج 2، ص 64. مصدر سبق توثيقه.

(2) مسلم، أبي الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، ج 3، ص 1359، مصدر سبق توثيقه.

(3) الهندي، علاء الدين علي المنقي بن حسام الدين، كنز العمال، مؤسسة الرسالة، بيروت، ج 4، ص 362،

عاماً 1979م.

.... نرى انه ۲ غير أغراض الحروب وأهدافها، حيث كانت عبارة عن النهب والسلب والقتل والإغارة والظلم والبغي والعدوان والثأر والكبت وتخريب العمران، وتدمير البنيان، وهتك حرمان النساء، والقسوة بالضعاف والولائد والصبيان، وإهلاك الحرث والنسل، والعبث والفساد في الأرض⁽¹⁾.

فما أوجنا إلى وصاياك يا رسول الله!

ما أوج البشرية اليوم إلى تعاليمك!

أين الحرب النظيفة؟ أين نجدها اليوم؟

هل نجدها في سجون غوانتنامو وأبو غريب!!!!

حقاً.... نجدها في سيرة أولي العزم من الرسل الذين بدأ بهم نوح مروراً بإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد خاتم المرسلين.

(1) المباركفوري، صفي الدين، الرحيق المختوم، ص 426، مصدر سبق توثيقه.

الباب الرابع

سمات الدعوة المطلوبة في هذا العصر وتتضمن فصلين

الفصل الأول: التحديات التي تعترض الدعوة والدعاة في هذا العصر

الفصل الثاني: كيفية إعداد الدعاة إلى الله

الفصل الأول

التحديات التي تعترض الدعوة والدعاة في هذا العصر.

مما لا شك فيه أن دعوة الرسل الذين أرسلهم الله، ومن بعدهم الدعاة إلى الله الذين خلفوا الرسل، تقوم على توحيد الله، ونبذ سلطان الطواغيت، وهذا في حد ذاته يصطدم مع هؤلاء الذين لا يعطون ولاهم للعقيدة والتوحيد، فمن هنا تبدأ المواجهة الأولى التي تكمن في التحديات الآتية:

1- الموقف الرسمي في البلد الذي يقطنها الداعية

2- الجهل

3- التمويل

4- الأسرة والأهل في بيت الداعية

5- العلم بلا خلق

1- ومع المعضلة الأولى التي تعترض الدعاة إلى الله وهي " الموقف الرسمي " .

ومن دراستنا لمنهج أولي العزم من الرسل، رأينا كيف كان يقف الملامن قوم كل نبي تجاه أنبيائهم، وكان آخرهم خاتم الأنبياء محمد ﷺ، فهذا ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي، الذي كان متحنفاً عالماً ومنتصراً حيث قرأ الكتب التوراة والإنجيل. ... تخبره خديجة رضي الله عنها بما أخبرها به محمد ﷺ، عندما جاءه جبريل وهو في غار حراء، وقال له اقرأ.....

قال ورقة: قدوس قدوس، والذي نفس ورقة بيده لئن كنت صدقتيني يا خديجة، لقد جاءه الناموس الذي كان ينزل على موسى، وانه لنبي هذه الأمة، فقول لي له فليثبت⁽¹⁾ وكان مما قاله ورقة " ما جاء أحد بمثل ما جاء به محمد إلا أودي فيا ليتني جذعاً⁽²⁾ وأكون حياً إذ يخرجك قومك فقال ﷺ أو مخرجي قومي؟ قال نعم... لم يأت أحد بمثل ما جئت به إلا وعودي، وإن يدركني يومك لانصرنك نصيراً مؤزراً⁽³⁾ .

فالأذى سنة لكل نبي ورسول، ومن سار على نهجهم من الدعاة إلى الله.

قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾⁽⁴⁾.
بمعنى: هؤلاء أعداؤك يا محمد، فكانوا أعداء لإخوانك من الأنبياء الذين سبقوك وكلمة جعلنا تفيده

(1) شليبي، محمود، حياة رسول الله، ص33، مصدر سبق توثيقه.

(2) جذعاً = شاباً قوياً. ابن منظور، لسان العرب، مصدر سبق توثيقه.

(3) السباعي، مصطفى، السيرة النبوية، دروس وعبر، المكتب الإسلامي بيروت، ط 9، 1966م، ص 44.

(4) سورة الأنعام، آية رقم 112.

الاستمرار لمن سلك نهجك يا محمد. لكن هذا الأذى والشر والمكر الذي تعانيه يا محمد أنت ومن اتبعك، لا يحق إلا بأهله.

قال تعالى: ﴿وَلَا يَحِقُّ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّةَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ (1).

وهذه سنة الله في هلاك الذين يؤذون الأنبياء، ونجاة الدعوة إلى الله.

... من المعلوم أن الدعوة تقوم على أساس الالتزام مع الله، لذلك لا يهيمه الموقف الرسمي في بلاده، خاصة إذا كان الرقيب الذي يشرف على الداعية هو العقيدة فيأخذ أقواله ومفرداته منها، لأنها الفيصل في مسألة الرقابة، وأن العقيدة مدير داخلي لا يفارق صاحبه.

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ﴾ (2).

فالداعية المبلغ لا يهيمه إذا عرض حياته وأهله ومن يُعيلهم لخطرٍ يعود عليه من أجهزة الدولة التي يقطن فيها، فالداعية بين أمرين لا ثالث لهما: يختار الموت، ولا يكتفٍ شهادة الله، فلا يهادن في ذلك، ولا يقول: "حط راسك بين هالروس" ويعتبر هذا صراعاً نفسياً من اعقد التحديات أمام الدعوة والدعاة⁽³⁾. إذ كيف يجلس الداعية في بيته وهو يرى الناس يموتون على غير لا إله إلا الله، والله سبحانه يقول: ﴿قُمْ فَأَنْذِرْ﴾ (4) خاصة وقد صور لنا خاتم الأنبياء والمرسلين حال البشرية في هذه الأيام وأنها بحاجة إلى من يُصحح مسيرتها، فعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "ما من نبي بعثه الله من أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون، وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره، ثم إنه تخلف من بعدهم خلوف، يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل"⁽⁵⁾

... أما الداعية إلى الله إذا جلس على أبواب السلاطين وتردد على عتباتهم مستجدياً أصحاب السلطان، مقابل الحصول على أطماع الدنيا، فلا شك أن هذه هي الطامة الكبرى، فتكون على حساب دعوته ومنهجه⁽⁶⁾.

(1) سورة فاطر، آية رقم 43.

(2) سورة الأحزاب، آية رقم 39.

(3) الذهبي، محمد حسين، المؤتمر العالمي لتوجيه الدعوة والدعاة، السعودية، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، 1397/2/29هـ - 22.

(4) سورة المدثر، آية رقم 2.

(5) أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، دار الفكر، بهامشة منتخب كنز العمال على سنن الأقوال والأفعال، ج 1، ص 458.

(6) صادق أمين، الدعوة الإسلامية، فريضة شرعية، وضرورة بشرية، 1976م، ص 60.

نرى كثيراً من الدعاة إلى الله، يهربون من مجال الدعوة إلى مجالات أخرى، حيث يرون فيها أكثر أمناً، فيعتبرون أنفسهم بين فكي كماشه، فتراهم يخافون الموقف الرسمي بأجهزته وعمالته ومنافقيه، والتقارير التي تُرفع اليهم يومياً من زبانتهم ومخابراتهم.

2- الجهل

فهو الداء العضال الذي يقتل صاحبه أولاً. وصدق المثل " عدو عاقل خير من صديق جاهل" لذلك: أي عمل يريد ان يقوم به الإنسان يجب أن يتفقه فيهقبل الشروع فيه حتى إذا أراد ان يبيع ويشترى يجب أن يتفقه كيف يبيع ويشترى، فكي فإذا كان الأمر يتعلق بهداية الامة؟ فلا بد للداعية إلى الله أن يبلغ دين الله على بصيرة.

المريض يسأل الطبيب عن دوائه ، وإذا أردنا بناء بيت فنسأل المهندس ليشرح على التصميم، والشريعة مصدرها الرئيس: القرآن والسنة، قال تعالى: ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾⁽¹⁾، معنى اسألوا علماء التخصص كلاً في مجال تخصصه، وحتى لا يقموا أمتهم في واقع جديد يجب على الدعاة إلى الله أن يدعوا إلى الله على بصيرة، والبصيرة عكس الجهل⁽²⁾. والجهل لا شك أنه يحمل بعض المنتسبين إلى الإسلام إلى ابتداع أشياء بعيدة عن روح الإسلام، ومع هذا يُعلن هؤلاء أنهم أهل الله وأحبائه، وأن لهم صلاحية ليست للأنبياء والرسل، إذ يعتبرون أن بإمكانهم أن يأخذوا الدين وشرائعه من الله مباشرة، بغير واسطة جبريل، أو محمد ﷺ، فتراهم يبتدعون في الدين ولا يتبعون، ورحم الله الأمام مالك، إمام دار الهجرة إذ يقول: من ابتدع في الإسلام بدعة فراها حسنة، فقد اتهم محمداً عليه السلام بالخيانة، لأنه لا يوجد في الإسلام شيء اسمه بدعة حسنة⁽³⁾.

ويمكن اعتبار الجدل العقيم من الجهل، فالذي يجادل بغير علم فإنه يجادل لمجرد الهوى، فالطريق واضحة لا اعوجاج فيها، ولا شك ولا شبهة، يعظ الناس، ويتعظ يأمر ويأتمر، صادق في قوله وفعله، يقول ويفعل⁽⁴⁾، فإذا أراد الداعية إلى الله أن ينفي عن نفسه الجهل فعليه أن يبدأ بالأولويات في الدعوة إلى الله، فيوجد المهم أولاً، ثم يتدرج في دعوته، فالأهم أولاً: أن نصلح أنفسنا، فذلك أوجب من أن نتصدق ونحن فقراء، ونبدأ بالغير ونترك من نعول. إذ من الخطأ أن نبدأ بالدعوة إلى

(1) سورة النحل، آية رقم 43.

(2) الصابوني، محمد علي، صفوة التفاسير، ج 2، ص 292، مصدر سبق توثيقه.

(3) محمد أمان الله علي، مشكلات الدعوة والدعاة في العصر الحديث، المؤتمر العالمي لتوجيه الدعوة واعداد

الدعاة، ص 11، 24 - 1397/2/29م.

(4) الصابوني، محمد علي، صفوة التفاسير، ج 2، ص 282، مصدر سبق توثيقه..

الله والنصح والإرشاد للناس، ونحن نعاني من الفراغ الروحي والدعوي⁽¹⁾ فنجد أن كثيراً من الدعاة إلى الله والوعاظ المؤهلين قلة محدودة جداً، فنجد من يمارس الوعظ هوايةً، دون أن يكون له أي مستوى من المعرفة الدينية الضرورية التي تكفي لمواجهة حاجات الناس المستجدة، فنجد أن مواعظهم لا تفي بحاجات الناس، وخاصة الذين يتسلحون بثقافة العصر، حتى أننا نجد الساحات الإسلامية خالية من الدعاة الحقيقيين.

وهناك معضلة كبرى وهي: أن الطالب المتفوق في التوجيهي، نجد من يقول له أنت حصلت على معدل عالٍ فيحرمون عليه دراسة الشريعة والعلوم الدينية، فيقولون له أنت يجب أن تدرس طباً، أو هندسة، لقلة عقولهم وجهلهم يحسبون إن هذه العلوم أكثر أهمية ومكانة وسيولة^{(2)!!؟؟} وغاب عن أنفسهم أن العلوم الشرعية هي التي توجه كل علم فالطبيب والمهندس والصحفي والأستاذ وغيرهم بحاجة ماسة إلى معرفة مواقعهم من العلوم الشرعية، فهي التي تقرر موقعه في خريطة العالم السياسية والعلمية والثقافية والروحية والعسكرية وغيرها. فالعلم بأحوال الدنيا ومستجدات العصر ومتطلباته، يجب على الداعية إلى الله أن يكون مطلعاً عليها، عليمًا بتقلباتها. فالعصر الذي نعيش فيه مليء بالتقنية والمعلوماتية والتقدم العلمي المذهل والانتاج غير المحدود. هذا كله يتطلب الاطلاع على ثقافات الأمم، فلا بد من التجديد في الأدوات والوسائل والمضمون والشكل، وهذا ما ينبغي التركيز عليه.

3- التمويل

إن الذي يُمعن النظر في هذا العنوان الجانبي، يشعر بأنه حديث الساعة، حيث أن أعداء الإسلام ضربوا الحصار الكامل على المؤسسات العامة والخاصة، والخيرية والمدنية كافة حتى شمل هذا الحصار لجان الزكاة، وأصبح يشار إليها بأنها الممول الرئيس للإرهاب. ولأن أعداء الإسلام يكيدون ليل نهار للنيل من ديننا الحنيف، وإن المال هو عصب الحياة، لذا، فإن أعداء الإسلام يقولون إن المال هو الصخرة التي يقوم عليها البناء، هذه الصخرة يجب أن نعمل على تحطيمها، حتى لا يتسنى للمسلم أن يقوم بأي عملية بناء، والبناء لا نعني فيه البناء العمراني فحسب، بل البناء العلمي والتقني والحضاري والثقافي والحربي والاقتصادي وغير ذلك⁽³⁾.

(1) جمال، أحمد محمد، المشكلات والصعوبات التي تعترض الدعوة والدعاة، المؤتمر العالمي لتوجيه الدعاة، المملكة العربية السعودية، المدينة المنورة، الجامعة الإسلامية، 24-29/2/1397هـ.

(2) الذهبي، محمد حسين، المؤتمر العالمي لإعداد الدعوة والدعاة، السعودية - الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، 24-29/2/1397هـ.

(3) الذهبي، محمد حسين، مشكلات الدعوة والداعية، مصدر سبق توثيقه.

.... إنه الصراع الاقتصادي بين الشعوب والأمم، هكذا يُعلنون... وعلى الرغم من أهمية الاقتصاد، والمال والتمويل، فإن ما تخفي صدورهم أعظم، فهذا الصراع الاقتصادي التمويلي، يخفي وراءه صراعاً عقدياً، حيث هو لب الصراع في وقتنا الحاضر، والدليل على ذلك وجودهم العسكري في العراق وأفغانستان وغيرها. فنجد أن أعداء الإسلام يمنعون وصول المال إلى أي مشروع لا يريدونه، ويدعمون المشاريع التي لا تمثل خطراً عليهم كما يزعمون، فمثلاً تُصرف ميزانيات ضخمة وترصد لتوجيه المناهج والإعلام، والتغريب، والغزو الفكري، وهجرة العقول، وتحرير المرأة، والتنمية الاقتصادية، والصحافة الموجهة، والأزياء الفاضحة، فيوجهون هذه المشاريع لخدمة مصالحهم، فتكون موجّهة لا موجّهة. بينما نجد العجز في تمويل الدعوة إلى الله، لأن الدعوة إلى الله هدفهم معروف، وهو تحرير الشعوب من العبودية لغير الله، والتي يحرص الغرب على استعبادها وكبت إيراداتها، لهذا: كان إعلان الحرب على الدعوة وخاصة مصادر رزقهم⁽¹⁾، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ﴾⁽²⁾. هذا الإنفاق، وهذا التمويل، نجد أنه ينفق على أي حركة تقوم في أي بلد هدفها النيل من الإسلام عندها يقوم الغرب بتمويلها، ويُدقق عليها بغير حساب، هذه الحركات إذا كان ولاؤها للغرب فإنها تحصل على التمويل من كل حذب وصوب، سواء كانت في الباكستان أو أفغانستان، أو العراق، أو السودان، أو الصومال، أو فلسطين، أو في أي بلد مسلم، ويطلق على هذه الحركات اسم حركات التحرر في العالم، بحيث يجب الوقوف بجانبها ودعمها اقتصادياً ومالياً⁽³⁾.

... لهذا نرى أنهم يضيقون الخناق على الدعوة إلى الله مالياً، لأنهم يعلمون أن الأموال إذا وقعت في يد الداعية إلى الله فسوف يستغلها في إيجاد دعاة إلى الله مخلصين يدافعون عن الإسلام. وهذا ما يرفضونه جملةً وتفصيلاً.

... فلو تصورنا أن كل مليون من البشر يكفيهم داعية واحد، لكان العدد المطلوب من الدعاة إلى الله بضعة آلاف داعية، هؤلاء الدعاة إلى الله، وهذا العدد من الدعاة إلى الله من يؤملهم؟؟.

فالتمول ومصادره في الشريعة الإسلامية، كثيرة أبوابه، سواء في أوقات السلم والحرب، ويدخل هذا في باب رعاية مصالح الأمة التي يقررها الحاكم المسلم فيقوم بتمويلها من بيت مال المسلمين بما يرى فيه مصلحة المسلمين⁽⁴⁾، فيستطيع الحاكم المسلم الانفاق على كل ما يطرأ على الأمة، حتى من أموال المسلمين الخاصة وهذا من باب المباحات للحاكم المسلم أن يأخذ بها، وأن يتبنى ما

(1) أبو فارس، محمد عبد القادر، أسس الدعوة ووسائل نشرها، ص73، مصدر سبق توثيقه.

(2) سورة الأنفال، آية رقم 36.

(3) جريشة، علي أساليب الغزو الفكري في العالم الإسلامي، د.ت.

(4) النبهاني، تقي الدين، النظام الاقتصادي في الإسلام، منشورات حزب التحرير، بيروت، لبنان، ط4، 1990م،

يراه لازماً لتحصيل الأموال، وضبطها وحفظها وتوزيعها وإنفاقها حسب ما يؤديه إليه اجتهاده في رعاية شؤون الأمة وقضاء مصالحهم، يفرض الضرائب على المسلمين بالقدر اللازم، ولا يحل له أن يفرض أكثر من القدر اللازم لتلبية حاجات الأمة، فإن تعطيل الدعوة إلى الله فيه ضرر على الأمة وإزالة الضرر عن الأمة واجب.

.... تعد موارد بيت المال من أوسع الموارد في العالم، ومنها: الأنفال، الغنائم، الفبيء، الخمس، الخراج، الجزية، الملكيات العامة بأنواعها، أملاك الدولة، العشور، مال الغرامات الذي تأخذه الدولة، خمس الركاز والمعدن، مال من لا وارث له، مال المرتدين، الضرائب، أموال الصدقات.⁽¹⁾ والسبب الرئيس في قلة التمويل⁽²⁾!!! أن التمويل والسيولة مع الدعاة إلى الله هو عين الإرهاب بزعمهم!

4- الأسرة والأهل في البيت

كثيراً من الدعاة إلى الله من يكون نشيطاً، لا يعرف الكلل ولا الملل، يعمل كالدينمو لا يفتر... ولكن... نراه عندما يتزوج ينكمش ويتقوقع وينطوي على نفسه وبلده، وجيرانه حتى بلده وجيرانه ينكمش عنهم... ويعود السبب في هذا إلى أن الزوجة لا تعرف واجبها تجاه الدعوة أولاً وزوجها ثانياً.... فتكون المعضلة الكبرى إذا تربعت الزوجة والأهل على قلب الداعية.

إذ كيف يكون الداعية داعية وزوجته غير ملتزمة، لا بالجلباب ولا بالدعوة... فهي بعملها هذا تتفر الناس من زوجها بدلاً من العمل على جلب قلوب الناس لزوجها، بهذا يكون الداعية عرضة لمهاجمة الآخرين، وتشويه سمعته قال تعالى: ﴿إِنَّ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾⁽³⁾.

وقال تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾⁽⁴⁾، معنى فتنة: محنة تشغل القلب بالدنيا. لذلك يجب على الداعية أن يكون على يقين من سلامة العقيدة عند زوجته وأهله، حريصاً عليهم رؤوفاً بهم، فهو بعمله هذا يحمي نفسه أولاً من المساعلة أمام الله، ويحمي نفسه من نار عظيمة⁽⁵⁾، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾⁽⁶⁾، فالمرأة لا شك

(1) زلوم، عبد القديم، الأموال في دولة الخلافة، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط1، 1983م، ص35.

(2) الذهبي، محمد حسين، المؤتمر العالمي لتوجيه الدعوة والدعاة، السعودية، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، 1397/2/29هـ-24.

(3) سورة التغابن، آية رقم 14.

(4) سورة الأنفال، آية رقم 28.

(5) الصابوني، محمد علي، صفوة التفاسير، ج 3، ص 51، مصدر سبق توثيقه.

(6) سورة التحريم، آية رقم 6.

أنها تؤدي رسالة فهي: أم وأخت وزوجة، حيث هي الجامعة التي لا بد أن يتخرج منها الأجيال، فإذا صلحت صلح خريجوها وإذا فسدت فسد خريجوها، فالحرص كل الحرص على اختيار الزوجة التي تكون عوناً لزوجها في الدعوة إلى الله، فالبيت المسلم هو نواة الجماعة المسلمة وهو الخلية التي يتألف منها ذلك الجسم الحي وهو... المجتمع الإسلامي، فالبيت الواحد قلعة من قلاع العقيدة الإسلامية، فلا بد أن تكون القلعة متماسكة من داخلها، حصينة في ذاتها، كل فرد من أفراد الأسرة يقف على ثغرة لا ينفذ إليها أحد، فالأسرة إذا اختلت يسهل اقتحام هذا المعسكر من داخل قلاعه، فلا يصعب على طارق، ولا يستعصي على مهاجم، فالإسلام يُنظم البيوت، ويُقيّمها على المنهج الإسلامي. لذلك، جُهد الداعية يجب أن يوجّه إلى بيته أولاً... الزوجة، والأم، والأولاد، والأهل⁽¹⁾. لذلك هيئوا أنفسكم أيها الدعاة إلى الله لتكوين أُسرٍ سليمة قبل أن يقع الامتحان، ويحدث ما ليس بالحسبان، فإن الذين يسيرون في درب الإسلام كثيرون، أما الذين يكملون الطريق فقليلون⁽²⁾.

5- العلم بلا خلق

"وعالمًا بعلمه لم يَعْمَلَنَّ، معذبًا من قبل عُبَادِ الوثن"، كيف بنا أمام داعية إلى الله، متكلمًا، بليغًا، ناصحًا، يُحرّك القلوب، ويُنير الهمم فيدفعها إلى قول كلمة الحق، ثم لا يلبث المستمعون المعجبون بعلم هذا الداعية وفصاحته ودهائه أن يُفجعوا فيه، بل يُفجعوا بجميع الحقائق التي كان يدعو إليها حيث أنها مناقضة تمامًا لما كان يقول!!!

حقاً إنها الفاجعة الكبرى بل المعضلة العقيمة، عندما يشاهد الناس سلوك الداعية، من ركوع وسجود بين يدي الظلمة والكبرياء وتَسْبِيحِهِ بِحَمْدِهِمْ، وتخرج الفتاوي منه بصلاح مسيرتهم، يا ترى.... من يُصدق كلامه الرصين؟ وهو يرون عمله المُشِين؟..... إنه الواقع الذي يرونه بأعينهم⁽³⁾.

قال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾⁽⁴⁾ بئس هؤلاء يحملون النور، ولا ينتفعون به، مثلهم كمثل الحمار، لا ينتفع من الأسفار التي يحملها إلا التعب والعناء، بل ويُضرب هذا المثل لكل حامل علم من علوم الدنيا وغيرها ولم يعمل بعلمه⁽⁵⁾.

(1) قطب، سيد، في ظلال القرآن، مجلد 8، ص 172. مصدر سبق توثيقه.

(2) يكن، فتحي، قوارب النجاة في حياة الدعاة، دار الإيمان، بيروت، 1977م، ص 50.

(3) أحمد محمد جمال، المشكلات والصعوبات التي تعترض الدعوة والدعاة، المؤتمر العالمي لتوجيه الدعوة وإعداد الدعاة، السعودية، المدينة المنورة، الجامعة الإسلامية 24-29/2/1397هـ.

(4) سورة الجمعة، آية رقم 5.

(5) الصابوني، محمد علي، صفوة التفاسير، مجلد 3، ص 379، مصدر سبق توثيقه.

ومثل الداعية إلى الله كممثل القائمين على التربية والتعليم والتدريس والوعظ والإرشاد وغير ذلك، فهم دعاة إلى الله كل في موقعه، فالدعاة إلى الله، يجب أن يوافق علمهم عملهم. وإلا تكون المعضلة في مجال الدعوة. لذلك يجب على الداعية أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، يزرع أبناءه عن أخلاق السوء، من كذب أو اعتداء أو إيذاء، فإن خالف قوله عمله يطبق عليه قول الشاعر:

تَصِفُ الدَّوَاءَ لِذِي السَّقَامِ وَذِي الضِّنَا كَيْمَا يَصِحُّ بِهِ وَأَنْتَ سَقِيمٌ

فرجال الإدارة هم دعاة إلى الله، وكذلك العلماء، والآباء، والأمهات، والتجار، فالمسؤولية تقع على عاتق الجميع، فلا يوجد شيء اسمه "رجال الدين" فالأمة كلها مسؤولة⁽¹⁾. فمن العار أن يأمر الداعية على الله بالمعروف ولا يأتية وينهى عن المنكر ويأتيه. فالعلم بلا خلق يؤدي تشتت الخطاب الدعوي وفشله في تحقيق أهدافه، علماً أن الأمة الإسلامية أحوج ما تكون إلى توحيد الخطاب الدعوي الذي يساهم في رطب الصدع وتحقيق الأهداف المتوخاة من الدعوة إلى الله. بهذا نرى أن اتباع الهدي النبوي في الدعوة على الله يعم الأمن والفلاح والعزة والكفاية والنصرة والولاية والتأييد وطيب العيش في الدنيا والآخرة، وبمخالفة الهدي النبوي تكون الذلة والصغار والشنار والخوف والضلال والخذلان والشقاء في الدنيا والآخرة.

(1) القرضاوي، يوسف، أين الخلل، دار الصحوة، القاهرة، ط 1، 1985م، ص 25.

الفصل الثاني

كيفية إعداد الدعاة إلى الله

إن نجاح أي عمل في الغالب يتوقف على نوعية العاملين فيه، فرب رجل يُعدّ بألف رجل. ورب ألف رجل لا يساويون رجلاً. لقد أصبح العمل في وقتنا الحاضر يُنَاط بأصحاب التخصص والمعرفة، فهذه سمة من سماته، فلا بد من التخصص في كل شيء وتوزيع الأعمال حسب التخصصات المناسبة. "الرجل المنايب في المكان المناسب".

وبما أن مطالب الحياة أصبحت معقدة ومتشابكة فلا بد للدعاة المخلصين أن يقدموا حلولاً للتحديات التي تواجه الأمة، وهذا كله بحاجة إلى دعاة مخلصين، يقدمون الدين للناس بطريقة شيقة بحيث يقبلهم الآخر، فهل أصبح الداعية اليوم مؤهلاً لحمل هذه الرسالة؟ علماً وفكراً واجتماعاً، وسياسيةً، وورعاً، وأخلاقاً وتقياً؟

هل يستطيع الداعية اليوم مواجهة ما يدور في العالم من انقسامات؟ فرق، طوائف، أحزاب، تتاحر، كلُّ يدعي الكمال وأن غيره لا يحق له الحياة.

هل الداعية اليوم قادرٌ على استنباط الحلول والإجابات الصحيحة المستنبطة من كتاب الله وسنة رسوله؟

للإجابة على هذه التساؤلات يجب أن نتعرف على الجهات التي تتولى إعداد الدعاة، والمناهج التي يتسلحون بها، والوسائل التي تكوّن الشخصية الدعوية في هذا العصر.

أولاً: المناهج

يجب أن تعد المناهج إعداداً لائقاً منصفاً بعيداً عن الغلو والتفريط وأن تكون نابعة من دين الله، مستمدة من القرآن والسنة. التي تعدّ المصادر الموثقة. فالمناهج يجب أن تكون الثقافة التي ينهل منها الدعاة إلى الله علومهم، هذه الثقافة تعني المدرسة التي يتخرج منها الدعاة إلى الله، فتكون الثقافة بمثابة جوِّ عام يسوده الدعوة إلى الله، هذا المنهج يجب أن يستنبط من كتاب الله وسنة رسوله، وليس من آراء البشر وشروحهم مهما بدت قيمتها في نظر من يضعونها⁽¹⁾.

ثانياً: اللغة التي يستعملها الداعية إلى الله

قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾⁽²⁾.

(1) الذهبي، محمد حسين، مشكلات الدعوة والداعية في العصر الحديث، المدينة المنورة، المؤتمر العالمي لتوجيه

الدعوة، مصدر سبق توثيقه.

(2) سورة ابراهيم، آية رقم 4.

لغة القوم تعني: مخاطبة الناس بالبيان الذي يفهموه، وما يترتب عليه من هدى - بلسان قومه - بلغة قومه.

فبيّن لهم شريعة الله باللغة التي يتداولها القوم، حتى تتحقّق الغاية من الرسالة، وأن الذي يفهم لغة القرآن الكريم ويفقهها يحافظ على لغته من الضياع، واللغة تعني: تجميل المنطق بالنحو والتركيب والعبارات فمن يُحرّم اللُّغة يختلّ نطقه.

حيث من شروط الاجتهاد لهذا الدين أن يمتلك ناصية اللغة امتلاكاً تاماً⁽¹⁾.

.... فاللغة تعتبر الأداة الرئيسة للداعية، ولكل باحث، وربما أمكن القول إن كل خلاف بين المفسرين مرده في الدرجة الأولى إلى اختلاف اللغويين.

كيف يتحصل الدعاة إلى الله على التكوين اللغوي؟ لا بد من التبحر في علوم اللغة، لأن هبوط المستوى اللغوي عند الداعية إلى الله، يُعدُّ الثغرة التي تكون سبباً في عجز الداعية عن ربط الناس بإله الناس.

.... وليعلم الدعاة إلى الله أن القرآن الكريم هو الوعاء الأول للغة السليمة، وبما أن ثقافة العصر تفرض نفسها اليوم على عقول الناس، يجب ربط الناس بالوعاء الأول للثقافة بوساطة اللغة، وإلا كان الداعية إلى الله مغلقاً، ضيق الأفق.

.... إن التاريخ يذكر بالفخر والإعزاز هؤلاء الرجال الذين تسلّحوا بثقافة عصرهم، من أمثال أبي حنيفة، ومالك، والشافعي، وأحمد بن حنبل رضي الله عنهم.

فاللغة تعتبر نقطة البدء التي لا بد منها، ثم يكون بعدها الانفتاح على ثقافة العصر. فالقرآن نزل بهذه اللغة، فليس من شأن الداعية أن يعرف جميع اللغة، ولا أن يستعمل كل دقائقها، ولا استيعاب كل مفرداتها، وتسهيلاً على الداعية، عليه أن يأخذ من اللغة ما يكفيه لتحسين لغته، حتى يكون مقبولاً عند من يدعوهم⁽²⁾.

ثالثاً: كيف يكون الداعية ناجحاً في دعوته؟

لا بد لنجاح الداعية إلى الله، من إعداد واستعداد، هذا الإعداد يكمن في تصحيح المسار التكويني العلمي العملي في حياة الداعية. وأن يبتعد عن الأسلوب التعليمي التلقيني الذي يعتمد على الحفظ والاستظهار، ويتبع أسلوب الفهم والاستيعاب.

فالداعية قدوة للناس، وشرط القدوة هو: تطابق القول والعمل على المنهج الصحيح، لأن هذا يعتبر شعار كل داعية وشعار كل موحد.

(1) قطب، سيد، في ظلال القرآن، ج 2، ص 136، مصدر سبق توثيقه.

(2) أبو زهرة، محمد، تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والتاريخ، دار الفكر العربي، ص 322.

لهذا يجب إنشاء كلية للدعوة الإسلامية بتمويل إسلامي عام، ويُختار لها الدارسون اختياراً دقيقاً، من خلال نظام محكم للقبول لا يمر منه إلا من تتوافر فيه مقومات خاصة، تؤهله لأن يكون داعية بمفهوم الداعية الصحيح، هذه الكلية يجب أن تختلف عن المؤلف في النظم الجامعية، أو المدرسة العادية، فالدراسة والتربية فيها متكاملان وتبدأن من سن مبكرة، والمراحل فيها مترابطة، والحياة فيها تتيح لمنتسبيها معاشة الإسلام معاشة حية، تحوله إلى نسيج نفسي وعقلي داخل الدارسين، وإلى ظواهر صادقة في سلوكهم، ويجب أن تشمل نظم التقويم فيها على الجانب: العلمي والأدبي والتربوي والمعرفي والسلوكي.

... أما هيئة التدريس وجهاز التربية فيها، فيجب أن يكون كله من دعاة مهتمين بالدعوة إلى الله، إلى جانب علمهم وخبرتهم، كي نجعل منهم مجاهدين محتسبين يؤدون رسالة، وليس مجرد موظفين يتقاضون أجوراً يتنافسون عليها. هذه الكلية، يجب أن يتوافر فيها ما يُعطي الثغرات التالية:

§ ثغرة النقص في التكوين اللغوي.

§ ثغرة الانفصام عن المصدر الأصلي للإسلام ممثلاً في الكتاب والسنة.

§ ثغرة الانغلاق وعدم الولوج لثقافات العصر واقتحامها وتحديد مواقف منها.

هذه الكلية يجب أن يكون فيها خطة واسعة للتدريب العملي على البحث العلمي، وممارسة فنون الدعوة العملية، من خطابة، ومحاضرة ودروس، وحوار ومناظرة، وإذاعة⁽¹⁾، وبريد الكتروني، وانترنت، ومواكبة أي تقدم تقني.

كذلك الداعية اليوم، يجب إعدادها إعداداً يتناسب مع العصر علماً أننا نعيش في عصر وصلت فيه وسائل الاتصال إلى ما لم تعرفه الدنيا ولا سمعت به قبل بضع سنين، لذلك بوساطة هذه الوسائل في الاتصال، يجب أن يكون الداعية مهيأً لإيصال كلمته ودعوته إلى قلوب العالمين وعقولهم، وهذا ما يفي بالقليل من متطلبات العصر.

فلماذا لا تتطور الكلمة... وقد طور المسلمون واستحدثوا الكثير الكثير، لماذا لا تتطور الكلمة... وقد أصبح العالم كله عبارة عن أسرة صغيرة، يستطيع الداعية إلى الله أن يوصل كلمته إلى العالم بأسره وهو على سريره وفي غرفته، ويستطيع الداعية بهذا أن يخاطب الناس على مختلف أطرافهم وأعمارهم وتخصصاتهم، ويستطيع الدعاة إلى الله بهذا الإعداد أن يحملوا ثقافة العصر، ثقافة الدين، ثقافة الفكر الإسلامي الناضج، ثقافة المنهج النبوي الذي سار عليه أولو العزم من الرسل، فتكون هذه الثقافة، المدرسة التي يتخرج منها الدعاة إلى الله، الذين يلتزمون بالأدب الإلهي الذي سنّه الله

(1) الذهبي، محمد حسين، المؤتمر العالمي لتوجيه الدعوة والدعاة، مشكلات الدعوة والدعاة في العصر الحديث، المملكة العربية السعودية، المدينة المنورة، الجامعة الإسلامية، 24-29/2/1397هـ.

تعالى إلى إمام الدعوة محمد ⁽¹⁾، وتعتبر هذه الثقافة لب الموضوع فيجب التركيز عليها ألا وهي: ثقافة العصر بالفكر النبوي ضمن خطة ممنهجه مستوحاة من كتاب الله وسنة رسوله، مع تسخير قنوات الاتصال بمختلف أنواعها المكتب منها والمسموع والمرئي، من مذياع، ومنبر، وخطابة، ووعظ، وشبكة الاتصال "الانترنت"، وهاتف وتلفاز، والناسوخ الإلكتروني، وعلى المستوى الوطني والدولي والعالمي مع المحافظة على الأصالة والمعاصرة، وهذا يتطلب جهد كبير مستمد من منهج أولي العزم من الرسل، هذا الجهد نتحصل عليه بالمجاهدة. قال تعالى: ﴿الَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ ⁽²⁾.

فالله تبارك وتعالى قادر على ان يقول لأولي العزم من الرسل هذه دعوتكم مفروشه بالورد الاحمر، فانشروا أفكاركم. ولكن لا بد من الإعداد و الاجتهاد.

هذه الكلية هدفها تخريج دعاة إلى الله، تكون غايتهم الوصول إلى مرضاة الله، بتجريد الغاية لله وليس لأي غرض دنيوي، مع سمو في الأسلوب، واستقامة في المنهج، بما أرسنه الآية الكريمة قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ ⁽³⁾.

رابعاً: بصيرة الداعية

الداعية الذي نريد... أن يكون ابن العصر فيعرف الناس الذين يدعوهم، يتعرف على ثقافتهم، يقرأ مؤلفاتهم، يستمع إلى ما يقولون، حتى يستطيع أن يأخذ صورة عن موقفهم تجاهه، فعندما يعرف هذا الداعية أن أعداء الإسلام يعملون على تخريج أجيال ثقافتهم كما يلي:

أن هذا المسلم الداعية إلى الله العربي قادم غداً إليكم ليستأصل شأفتكم، ويستحل خضراءكم، ويزرعون هذه الثقافة في عقول أبنائهم، وان هذا الزرع ينمو حتى يستوي على سوقه، فيستطيعون بذلك تكوين رأي عام في أوساطهم ضد الإسلام والمسلمين!! فما هو دورك أيها الداعية؟؟؟ أمام هذه الثقافة ... لا بد وأن تعرف ماذا يفكرون؟؟؟ وتجادلهم على بصيرة، حتى تصل إلى إقناعهم.

على أن ما يؤمنون به هو زعم باطل، حتى وصل إلى قناعات عندهم، فالأمر ليس بالسهل، لذلك، الداعية يجب أن يقف على قاعدة صلبة، متسلحاً بالأدلة والبراهين العقلية والعلمية الصحيحة.

لذلك معرفة الثقافة التي تكونت ضدك أيها الداعية ضرورة لا بد منها، فمثلاً ثقافتهم يؤمنون بمنطق القوة، لا بقوة المنطق، ويؤكد ذلك ما قاله مناحم بيجن في كتابه " التمرد " " أنا أحارب إذا أنا موجود " ⁽¹⁾.

(1) قطب، سيد، في ظلال القرآن، ج 6، ص 333، مصدر سبق توثيقه.

(2) سورة العنكبوت، آية رقم 69.

(3) سورة النحل، آية رقم 125.

الداعية ابن العصر يجب أن يعرف أن أعداء الإسلام يُدرسون في جامعاتهم تخصصاً مجّاناً بحيث ينتخبون الطلبة بمواصفات ألمعيّة، فكراً وعقلاً، هذا التخصص اسمه "دراسات شرق أوسطية" ليتعرفوا من خلال هذا التخصص على العقليّة الإسلاميّة، فيأخذون مواقفهم من خلالها.

أعداء الإسلام يُعلمون أبناءهم أن المسلم: شهواني، منفعل، بعيد عن الحكمة، إرهابي، يظلم النساء، ويتزوج أربعة أو أكثر في وقتٍ واحد! فيرسمون صورة لأجيالهم أن الإسلام على هذا النمط من الفكر، وأن الإسلام كله ظلم، والأمثلة على ذلك كثيرة. منها الميراث بحيث يُفرقون بين الرجل والمرأة، حب الانتقام عند المسلم ولو بعد مئة سنة، فيصورون حالة حصلت مرة واحدة في التاريخ كله، ويعملون على تعميمها وكأنها ظاهرة، لا بل نهج يومي، يُعلمون أبناءهم في مدارسهم أن محمداً ﷺ ضد كل من هو غير مسلم، يعلمونهم: أن محمداً ﷺ أباح لنفسه ما يشاء، وحرّم على غيره ما يشاء.

يعلمون أبناءهم أن المسلم يحب الكرسي والمنصب، وأنه في سبيل ذلك لديه الاستعداد لإبادة الآلاف من الأنفس، يعلمون أبناءهم أن المسلم شهواني، وأن النساء يُسيطرن على المرتبة الأولى في حياتهم فهم شهوانيون، الهدف عندهم إشباع غرائزهم!!

لذلك فما هو موقفك أيها الداعية إلى الله، من هذه الثقافة؟

هذه الثقافة التي تعتبر إستراتيجيتهم الأولى وهي:

- § إيجاد الحاكم التابع - لتنفيذ مخططاتهم، " قلب الأنظمة".
- § إيجاد البطن الجائع - الحصار الاقتصادي والسيطرة على المؤسسات المالية.
- § إيجاد الكلام الخادع - الإعلام المضلل، صحف العالم بأيديهم.
- § إيجاد السيف القاطع - منطق القوة، إذا فشلت النقاط السابقة وقد لاحظنا ذلك في العراق وأفغانستان.

ثقافتهم.... إكذب - إكذب - إكذب - حتى يصدقك الآخر. فماذا أنتم فاعلون أيها الدعاة إلى الله؟ هل أعددتم أنفسكم لتجيبوا على هذه الثقافة؟ فإذا لم يعرف الداعية إلى الله هذه الثقافة... فكيف يدعو؟

أقول.... بالتبحر في كتاب الله وسنة رسوله هذه إستراتيجيتك أيها الداعية. بالإعداد والاستعداد، بالكيف والنوع لا بالكم - نعمل على إعداد الدعاة إلى الله. بالتقنية نفسها تواجه هذه الثقافة، بالأسلوب نفسه تواجه هذه الثقافة.

الداعية يذهب إلى الناس... يواجههم بلغتهم، بثقافتهم، يتعرف على الطريق، ولم يتقاعس لبعده الطريق، لم يقبع في بيته، وهو يرى هذه الثقافة تعزوه في بيته بل في غرفته، الداعية يسعى بالحق

(1) القرضاوي، يوسف، القدس قضية كل مسلم المكتب الإسلامي، بيروت، ط 2، ص 2، 2002م، ص 113.

الذي استقر في ضميره، وتحرك في شعوره، الداعية يذهب إلى الأفاصي. قال تعالى: ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾ (1).

الداعية ابن العصر، إذا أراد أن يعرف الآخر... وما هي ثقافته تجاه الغير؟ يجب عليه أن يقرأ كتاب الله.

قال تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ (2) نشاهده يومياً! وقال تعالى: ﴿ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ﴾ (3) نقض المعاهدات... نشاهده عياناً!

وقال تعالى: ﴿قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ (4) قله أدب مع الله. وقال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيْنِ سَبِيلٌ﴾ (5)، مهما يفعلون بأحد لا حرج عليهم، فهم لا يتقون بأحد من الاغيار، ويجب قتل المدنيين ولو كانوا أختياراً، يجب قتل أفضل الأختيار من الاغيار. وهذه التعاليم مقتبسة من التلموذ الذي يقده اليهود أكثر من التوراة، هذه سياستهم الميكيافيلية وهي: "الغاية تبرر الوسيلة" فالوسائل مشروعة عندهم (6). قال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (7).

أيها الداعية إلى الله هذه مهمتك!! إنها الوقوف أمام هذه التحديات فماذا أنت فاعل؟

(1) سورة يس، آية رقم 20.

(2) سورة البقرة، آية رقم 74.

(3) سورة الأنفال، آية رقم 56.

(4) سورة آل عمران، آية رقم 181.

(5) سورة آل عمران، آية رقم 75.

(6) القرضاوي، يوسف، القدس قضية كل مسلم، ص 116، مصدر سبق توثيقه.

(7) سورة آل عمران، آية رقم 75.

الخاتمة

اللهم اجعل خير أعمالنا خواتمها، وخير أيامنا يوم لقائك، واكتب لنا التوفيق والهداية وقابل إساءتنا بالعفو، وزلنا بالغفران، انك أنت الموفق والهادي إلى سواء الصراط وصل اللهم على خاتم أنبيائك ورسلك محمد نبي الرحمة ورسول الهدى.

.... هكذا نأتي إلى نهاية هذا البحث "منهج أولي العزم من الرسل في الدعوة إلى الله" ونذكر فيه خلاصة الموضوع وأهم النتائج التي تم التوصل إليها خلال البحث.

أشار الباحث في المقدمة إلى أهمية الموضوع لكونه يمس أهم جوانب الحياة حيث السعادة في الدنيا والآخرة مرتبطة بالسير على منهاج الأنبياء. فلا تزولُ قدما العبد بين يدي الله حتى يسأل عن مسألتين ماذا كنتم تعبدون؟ وماذا أجبتم المرسلين؟⁽¹⁾ حيث هم سفراء الله الذين أتوا بالمنهج المستقيم، فكانوا حجة على الخلائق أجمعين.

نلمس من صفحات هذه الرسالة، انه لا يوجد عمل في الدنيا بلا هدف، كما أنه لا يوجد في هذا الكون إنسان بلا رسالة يحملها إلى العالم.

فالدعوة هي المعبرة عن الرسالة، هذه الرسالة تحمل الرؤية التي لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها المتمثلة بدعوة أولي العزم من الرسل المسددة بالوحي، هذه الدعوة تمثل النموذج والمثل الأعلى لهداية البشرية.

هذه الدعوة ... أصبح لها تقنيات حديثة في وسائل نشرها.

هذه الدعوة... هي حقيقة الكلمة الطيبة التي تسهم في بناء الإنسان.

هذه الدعوة... نبتت من أصل متكامل هو الكتاب والسنة.

هذه الدعوة... تقدم للبشرية عطاء النبوة الخالد بإخلاص، وهذا يضفي عليها صفة الخلود.

هذه الدعوة... تمتلك الشهود الحضاري على البشر... قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾⁽²⁾. وهذه الميزة ما زالت مفتوحة أمام الدعاة إلى الله.

هذه الدعوة... تتطلب الإرادة القوية، فنجاح الداعية يكمن في مقدار ما يبصره من الكتاب والسنة، ويصبر على أدائه. هذه الدعوة... جاءت لتخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة، حيث يجب تجسيدها في الميدان الحضاري بحيث تكون المؤسسة التطبيقية لسعادة البشرية.

(1) الجوزية، ابن قيم، زاد المعاد في هدي خير العباد، ج1، ص المقدمة، مصدر سبق توثيقه.

(2) سورة آل عمران، رقم 110.

هذه الدعوة... يجب أن تبرز وتأخذ دورها في المؤسسات، بالتوجيه والإرشاد ومراكز البحوث، والمسجد والأسرة والنادي والمسرح وغيرها.

... إن أخشى ما نخشاه في هذه الأيام على الأمة الإسلامية أن يصبح لكل إنسان فهم خاص بعيد عن منهج أولي العزم من الرسل، هذا الفهم حمل بعض الناس على الإدعاء بأنهم وصلوا إلى درجة العصمة وأنهم قادرون على التغيير... وهنا يتجلى دور الدعاة المخلصين، فلا سعادة إلا بإتباع سبيل الرسل فبهديهم تستقيم الحياة، وأن الحاجة إلى مثل هؤلاء الدعاة المخلصين أكثر من ضرورة الجسد إلى الروح، والعين إلى نورها والروح إلى حياتها، بهذا تكون السعادة مُعلّقة بهديهم، فوصيتنا لكل من أحب نفسه، أن يتعرف على هديهم وسيرتهم ومنهجهم، وأن يجمع بين النظرية والتطبيق. بهذا يتجسد الدين قولاً وعملاً في حياة الناس كما هم أولوا العزم من الرسل فقد وحدوا خطابهم الدعوي، وهذا بحد ذاته دعوة إلى دعاة اليوم لتوحيد خطابهم الدعوي وخاصة في قضايا الأمة الكبرى، بهذا نحقق الفائدة الكبرى من منهجهم. كما ويوصي الباحث إنشاء جامعة مستقلة تقوم بتخريج الدعاة إلى الله ضمن أسس ومناهج مقتبسة من سيرة أولي العزم من الرسل هؤلاء الدعاة إلى الله، يستطيعون الوصول إلى نفوس الناس، نطقاً وكتابةً وأدباً ودعوةً وإحساناً في فن التعامل مع العالمين، فلا يتخرج الدعاة إلى الله إلا بعد دورات تدريبية تزودهم بوسائل الدعوة وأساليبها، بنطق فصيح ولغات مختلفة وتوجيه الشباب والشابات إلى التعليم بعد الثانوية العامة بمختلف التخصصات، فيكون المنتج سليم ويسوق إلى العالمين، كما يتم تسويقاً أي صناعة أخرى، فيرغب الناس التعرف على هذا الدين.

كما ويوصي الباحث زيادة على ما ذكر انه ما اعتصم احد بالله إلى ونصره.

فقد اعتصم بالله نوح عليه السلام فنصره، بقوله تعالى: ﴿ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ، وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴾ (1).

واعتصم بالله إبراهيم عليه السلام فنصره، قال تعالى: ﴿ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴾ (2).

واعتصم بالله موسى عليه السلام فنصره، قال تعالى: ﴿ أَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ، ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ ﴾ (3).

(1) سورة القمر، آية رقم 10-11.

(2) سورة الانبياء، آية رقم 69.

(3) سورة الشعراء، آية رقم 65-65.

واعْتَصِمَ بِاللَّهِ عَيْسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فَنَصَرَهُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾⁽¹⁾. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾⁽²⁾.

واعْتَصِمَ بِاللَّهِ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَنَصَرَهُ. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾⁽³⁾.

وَسَنَةَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي نَصْرِ الْمُؤْمِنِينَ جَارِيَةً، وَحَاشَى لَلَّهِ أَنْ يَخْلِفَ وَعْدَهُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾⁽⁴⁾.

ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ، وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بِنِعْمَتِهِ تَتِمُّ الصَّالِحَاتُ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

(1) سورة آل عمران، آية رقم 55.

(2) سورة المائدة، آية رقم 110.

(3) سورة التوبة، آية رقم 40.

(4) سورة الروم، آية رقم 47.